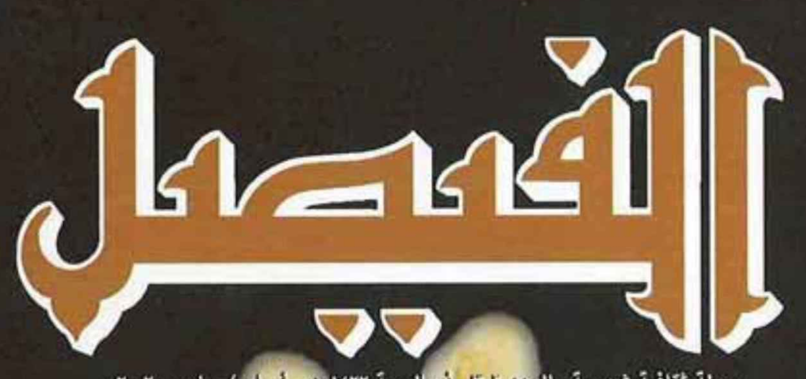


مجلة ثقافية شهرية - العدد ٣٠٦ - ذو الحجة ١٤٢٢هـ - فبراير / مارس ٢٠٠٢م
ALFAISAL MAGAZINE - No. 306 - FEB. / MAR. 2002

جوائز الآغاخان للعمارة الإسلامية

العرب وسؤال التاريخ

القدس الشريف مدينة الله لا مدينة داود

في الصحافة الإقليمية

القراءات الاستشراقية على اللغة العربية

النوبة: بوابة العرب إلى إفريقية

العلاقات الدبلوماسية بين هارون الرشيد وشارلمان

طرق التجارة في الجزيرة العربية قبل الإسلام

هشاشة العظام
الأسباب والعلاج

سيارات وخدمات متكاملة
من مصدر موثوق واحد

ABDULLATIF ALISSA GROUP  مجموعة عبداللطيف العيسى





سواء كنت تبحث عن سيارة جديدة نوفرها لك من شركة عبداللطيف العيسى للسيارات وكلاء جنرال موتورز وإيسوزو .

أو سيارة مستعملة مضمونة نوفرها لك من أوتوستار شركة السيارات العمومية

أو سيارة للإيجار اليومي أو الطويل الأجل نوفرها لك من شركة الأفضل لتأجير السيارات

وكل ذلك بالطبع تجده لدى إحدى شركات مجموعة عبداللطيف العيسى

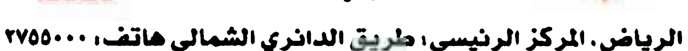
الشركات التابعة



شركة السيارات العمومية







وكيل معتمد

الرياض، المركز الرئيسي، طريق الدائري الشمالي هاتف: ٢٧٥٥٠٠٠



الناشر: دار الفيصل الثقافية

المحتويات

ضوابط النشر

- يفضل طباعة المادة المرسلة على الحاسب الآلي، وإرسال نسخة على قرص مرن إن أمكن، أو كتابتها بخط مقروء على ورق A4 جيد، مع إرفاق سيرة ذاتية، وصورة ملونة حديثة.
- لا تفضل المجلة نشر المقالات الانطباعية التي تخلو من المعلومات.
- يرجى إرفاق صور أصلية ملونة جيدة مع الاستطلاعات والموضوعات الملونة، ولا تقبل الصور المأخوذة من الصحف والمجلات.
- في حال إرسال قصة مترجمة، يرجى إرفاق الأصل المترجم.
- لا تنشر المجلة الموضوعات المترجمة مباشرة من مجلات أجنبية، إلا إذا كان هناك إذن مسبق منها، وإن كان لا مانع من اتخاذها مصدراً من مصادر الموضوع، مع توضيح مواضع الاقتباسات بشكل علمي.
- المواد التي يعتذر من عدم نشرها لا تعني بالضرورة ضعف مستواها، ولكن قد تكون هناك مواد كثيرة في الموضوع نفسه سبق نشرها، أو تنتظر النشر. ولا ترد المقالات إلى أصحابها بأي حال من الأحوال.
- يرجى إرفاق صورة غلاف الكتاب الذي يتم عرضه في باب «قراءات» مع بيانات وافية عن الكتاب المعروض يشمل: عنوانه واسم مؤلفه ودار النشر ومقرها، وسنة النشر، وعدد الصفحات.
- نأمل من الإخوة الكتاب الذين يراسلون المجلة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني.
- الموضوعات التي مضى عليها وقت طويل ولم تنشر في المجلة سيتم الرد على الكتّاب بعد إعادة تقويمها بغض النظر عن أنها قد أجيزت من قبل للنشر.
- لا تمنح مكافآت على ما ينشر في بابي « رسائلكم» و«ردود وتعقيبات».
- يرجى الاهتمام بالتوثيق، ومن أهم ما ينبغي مراعاته:
  - يفضل تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم مع تشكيلها، وذلك بذكر اسم السورة ووضع نقطتين بعدها ورقم الآية.
  - يفضل تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الحديث مع ذكر طبعة الكتاب.
  - التثبت من النقول التي تنقل من الكتب، ولاسيما المصادر والمراجع التراثية القديمة مع ذكر طبعة الكتاب.
  - تشكيل الشعر ما أمكن، وخصوصاً القديم منه.
  - ضبط أسماء الأعلام والشعراء والأماكن والأشياء غير المعروفة والكلمات غير المألوفة بالشكل الصحيح، والتأكد من أن أسماء الأعلام الأجانب مطابقة لما هو متداول في لغاتهم إن أمكن.

الموضوعات التي تنشر في المجلة تعبر عن آراء كتّابها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

السعر الإفرادي

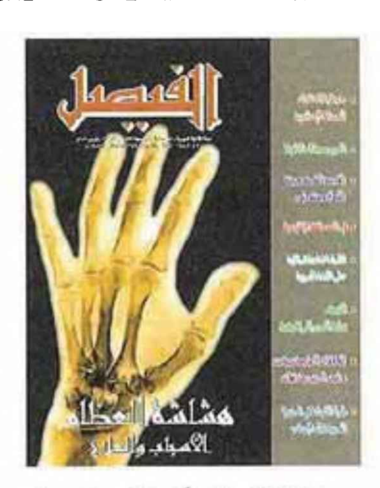
السعودية ٨ ريالات ـ الكويت ٦٥٠ فلس ـ الإمارات ٧ دراهم ـ قطر ٧ ريالات ـ البحرين ٧٥٠ فلس ـ عُمان ٧٥٠ بيسة ـ الأردن ٥٠٠ فلس ـ اليمن ٦٠ ريالاً ـ مصر جنيهان ـ السودان ٧٠ ديناراً ـ المغرب ٨ دراهم ـ تونس دينار واحد ـ الجزائر ٨٠ ديناراً ـ العراق ٤٠٠ فلس ـ سورية ٣٠ ليرة ـ ليبيا ٨٠٠ درهم ـ موريتانيا ١٠٠ أوقية ـ الصومال ٢٠٠٠ شلن ـ جيبوتي ١٥٠ فرنك ـ لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية ـ الباكستان ٢٠ روبية ـ المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد.

الموزعون

السعودية ـ الشركة السعودية للتوزيع ـ هاتف ٦٥٣٠٩٠٩(٠٢)، فاكس ٦٥٣٣١٩١(٠٢)، مصر ـ مؤسسة توزيع الأهرام ـ شارع الجلاء هاتف: ٣٣٩١٠٩٥ ـ فاكس ٣٣٩١٠٩٦ ـ ٢٠٢٠٠، سورية ـ المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ص.ب ١٢٠٣٥ هاتف ٢١٢٨٢٤٨، فاكس ٢١٢٢٥٣٢ ـ ١١، ٩٦٣٠٠، تونس ـ الشركة التونسية للصحافة ـ ٣نهج المغرب ـ فاكس ٣٢٣٠٠٤/ هاتف ٣٢٢٤٩٩ ـ ١ ـ ٢١٦٠٠، قطر ـ دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع ـ ص.ب ٣٤٨٨ هاتف ٤٦٦١٢٨٢ ـ فاكس ٤٦٦١٨٦٥ ـ ٩٧٤٠٠، الأردن ـ شركة وكالة التوزيع الأردنية ـ ص.ب ٣٧٥ هاتف ٤٦٣٠١٩١ ـ فاكس ٤٦٣٥١٥٢ ـ ٦، ٩٦٢٠٠، البحرين ـ مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص.ب ٢٢٤ هاتف ٢٩٤٠٠٠ ـ فاكس ٥٣١٢٨١ ـ ٩٧٣٠٠، الإمارات العربية المتحدة ـ مكتبة دار الحكمة ص.ب ٢٠٠٧ هاتف ٢٦٦٥٣٩٤ ـ فاكس ٢٦٦٩٨٢٧ ـ ٤ ـ ٩٧١٠٠، الجزائر ـ مؤسسة E.B.D. PRESSE لتوزيع الصحافة. ت ٤٨٦١٥٥٥ فاكس ٤٨٦٢٤١٥ ـ ٢١٣٠٠، الكويت ـ شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع ص.ب ٢٩١٢٦ ت ٢٤١٧٨١٠/١١/١٢ ـ فاكس ٢٤١٧٨٠٩ ـ ٩٦٥٠٠، السودان شركة النحوي للتجارة والتوزيع ص.ب ١٠٣٧١ ت: ٧٧١٥٤٧/٢٧ فاكس ٧٧٤٣٣٦، المغرب MOROCO ـ SOCHPRESS - CASABLANCA - TEL:2400223, Fax:00212-2404041/32، باكستان PAKISTAN
PARADIS BOOKS & DISTRIBUTORS- KARACHI 75400, TEL:4314981/2 FAX: 0092-21-4554410.
الجمهورية اليمنية ـ القائد للنشر والتوزيع ت: ٢١٨٦١٥ ـ ٣ ـ ٩٦٧ فاكس ٢٢٢٣٢٨







هشاشة العظام أسبابها وعلاجها

هشاشة العظام مرض شاع في هذا العصر الذي ازدادت فيه الضغوط النفسية، وهو يصيب النساء أكثر من الرجال، وله أسباب كثيرة منها نقص التغذية، وعدم التعرض للشمس، وقلة المخزون من الكالسيوم، إلى جانب عامل الوراثة.
ما أعراض هذا المرض؟ وما وسائل الوقاية منه؟ وما علاجه؟ ولماذا سمي باللص الصامت؟

إدارة التحرير:
رئيس التحرير: يحيى محمود بن جنيد
مدير التحرير: عبدالله يوسف الكويليت

المراسلات للتحرير والإدارة:
ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ ـ
المملكة العربية السعودية
هاتف: ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ٤٦٥٢٢٥٥
ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الاشتراك السنوي:
١٥٠ ريال سعودي للأفراد، ٢٥٠ ريال سعودي للمؤسسات،
أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

رقم الإيداع في مكتبة الملك فهد الوطنية ١٤/٠٥٤٢
ردمد ١١٤٠ـ٠٢٥٨

«الفيصل» والمئوية الثالثة

كنت أنتظر، ككثير من الإخوة القراء في ربوع المعمورة، أن يتجند العاملون في «الفيصل» بمناسبة صدور العدد (٣٠٠)، وتكون منهم التفاتة طيبة بإصدار متميز للعدد المئوي الثالث، أو عمل شيء ما، خصوصاً أن «الفيصل» كان على رأس كل مئة عدد منها رئيس تحرير، فمن علوي طه الصافي الذي كان على رأس المجلة عند المئة عدد الأولى، إلى الدكتور زيد بن عبدالمحسن الحسين، الذي حصدت المجلة مئتي إصدار لها وهو على رأس هيئة تحريرها، وها هو ذا العدد الذي تختم به المجلة مئتها الثالثة والمجلة برأس تحريرها الدكتور يحيى محمود بن جنيد، وشهدت «الفيصل» في عهده تغييراً كبيراً، إذ فقدت المجلة في أثناء ذلك أبواباً ونوافذ كثيرة، وفتحت أخرى، وشكر ذلك فوج، وعابه آخرون، ولا يزال هذا يسيل الحبر على صفحات المجلة نفسها.

وبمناسبة مرور (٣٠٠) عدد من عمر مجلتنا المتجددة أقترح إصدار استبانة ضمن عدد لاحق يجيب الإخوة القراء من خلالها عن كثير من الأسئلة، التي تتمحور حول أبواب المجلة، وكل ما ينبغي أن تتناول، خصوصاً أن الفيصل ـ حسب علمي ـ لم تنشر أي استبانة منذ صدورها، وهذا حسب رأيي هو الفيصل بين طرفي النزاع من القراء حول التجديد والحفاظ على الخط السابق.
والله من وراء القصد.

بياز عبدالرزاق
ص.ب ٤٠٧ عين وسارة
ولاية الجلفة ـ الجزائر

التحرير:

نشكر لك هذا الاهتمام بمجلتك، وقد ظللت دوماً متابعاً لما ينشر فيها، ومشاركاً بالرأي. وملاحظتك دقيقة حول رؤساء التحرير والعدد المئوي، ونحن نرى أن يكون كل عدد من أعداد المجلة متميزاً إلا أن اقتراحك بتلمس آراء القراء جدير بالاهتمام، وسندرس كيفية تطبيقه حتى تأتي الاستبانة محققة لأهدافها.

أين الاقتصاد؟

إننا من قراء مجلتكم مجلة الفيصل المتابعين لها لما تتميز به من شخصية مميزة، ولما تحتويه من معلومات ثقافية متعددة، ولكن لنا في هذا المقام اقتراح نرجو أن يحوز على قدر من الاهتمام، وهو أن المجلة تفتقد للصفحة الاقتصادية، وتعلمون أهمية الاقتصاد في العالم أجمع، وما يجب أن يعرفه القارئ عما يدور حوله من أمور اقتصادية على المستوى الإقليمي والعالمي، ولا يخفى عليكم أن الصفحات الاقتصادية لها دور في مجال تسويق المجلة أيضاً وفي جلب الكثير من الإعلانات التي تعود بالفائدة على المجلة، آمل أن يرى هذا الاقتراح النور.

سعود بن محمد بن هاجد
رجل أعمال ـ الرياض

التحرير:

نشكر لك اقتراحك، ونفيدك أن الاهتمام بالواقع المعيش من أوليات المجلة، ولا شك أن الاقتصاد يمثل ركناً مهماً من أركان هذا الواقع، ومع أن «الفيصل» تنشر موضوعات لها أبعاد اقتصادية، فإن فكرة تخصيص زاوية أو صفحات لهذا الميدان الحيوي تستحق منا الدراسة والتطبيق في القريب ـ إن شاء الله.

كفى حديثا عن المسابقة!

أقول للقراء كفى التحدث عن المسابقة في صفحة رسائلكم. إذ لا يخلو أي عدد من أعداد المجلة من التطرق إلى موضوع المسابقة، وكيفية توزيعها، ومن سيربح ومن الذي لا يربح.

يبدأ القارئ بمدح المجلة وموضوعاتها ومقالاتها، وفي نهاية رسالته يبدأ بالتحدث عن المسابقة. وأقول لهم: إذا كان هم بعض القراء كيف يفوزون، ومن يفوز، ومن أي دولة الفائز؟ إذن لا داعي للمديح وليدخل القارئ مباشرة في موضوع المسابقة. وأقول لهم نيابة عن المجلة: لو كان هناك إمكانية لزيادة الجوائز وقيمتها لفعلت دون لفت نظرها إلى هذا الموضوع.

وباعتقادي أن هؤلاء يكتبون لكي يلفتوا نظر

أسرة المجلة لهم وأرجو ألا تعد رسالتي لفت نظر لكم، وإنما تحدثت بهذا الموضوع لكثرة من يتناولون المسابقة.

وأقول للأخ سمير عوني من سورية الشقيقة: إنه لا يجوز تخصيص الجوائز، بحيث ينال متسابق من كل دولة جائزة، لأنه يجب أن يكون السحب عشوائياً، حتى لو جاء الفائزون من دولة واحدة لأن هذا يدل على نزاهة السحب.

وذكر الأخ في العدد ٣٠٣ أن الفائزين دائماً من مصر واليمن والأردن، ولكن أسأله كم مرة فاز قراء من سورية بالجوائز الأولى في أعداد سابقة، بل إن هناك أكثر من فائز من سورية الشقيقة في بعض الأعداد، مما يدل على نزاهة السحب.

محمد شفيق حيمور
ص.ب ١٤٠٦٩٨
عمان: ١١٨١٤ الأردن

التحرير:

ننشر رأي الأخ القارئ، ونحن لا نوافقه فيه؛ لأن من حق الإخوة القراء الحديث عن الموضوع الذي يعنّ لهم، كما أن من حق الجميع السعي إلى الفوز بإحدى جوائز المجلة.

مبادرة

أنا من هواة قراءة مجلة الفيصل الغراء من مدة طويلة، ولديّ أعداد الفيصل من أول عدد ما عدا أعداداً قليلة جداً، ولدي أعداد مكررة، لأني كسبت أعداداً من ٢٠٨ إلى ٢٢٠، وكنت أشتري العدد نفسه ومستعد لإرسالها إلى من يحتاج إليها من دون مقابل، ولكن يؤسفني أن العدد ٧٥ وجدته ناقصاً، لأن أحد القراء قطع موضوع «الرايات والأعلام» ص٩١ (موضوع خاص)، وكذلك العدد التاسع قطع منه موضوع «حلب: القلعة التي لم تقهر»، الذي تضمنه باب «مدينة وتاريخ» ص٣٥.

لذلك أرجو إرسال هذين العددين، وأنا مستعد لدفع المبلغ المطلوب. ولكم جزيل شكرنا مقدماً.

م. أحمد عبدالراضي إدريس
كوم الضبع - نقادة - قنا
مصر

التحرير:

نشكر لك مبادرتك بإهداء ما لديك من أعداد زائدة من «الفيصل» لمن يرغب، ولثقتنا أن هناك كثيرين يرغبون في هذه الأعداد، ننشر عنوانك كاملاً، حتى يراسلك من لديه الرغبة مباشرة.

أما العددان اللذان أشرت إليهما فسوف نرسلهما إليك إهداءً، تقديراً لحرصك الشديد على متابعة المجلة، واحتفاظك بأعدادها.

ردود سريعة

الإخوة قراء الفيصل

نعتذر للإخوة المشاركين في مسابقة عدد رمضان الماضي، إذ لا يفوت على فطنة القارئ أن الشهر المقصود في السؤال الأول هو شهر شوال، وليس شهر رمضان، وقد وقعت غزوة الخندق في شهر شوال من السنة الخامسة للهجرة.

أما مؤلف «إعجاز القرآن» فهو مصطفى صادق الرافعي، وليس عبد القاهر الجرجاني كما ذهب بعض الإخوة القراء، إذ إن الأخير له كتاب مشهور بعنوان «دلائل الإعجاز»، وليس «إعجاز القرآن».

ونتيجة لما حدث من لبس لدى بعض القراء، عدت الإجابتان صحيحتين.

الأخ محسن أحمد عيدة الصيقري - إب - اليمن:

نشكر لك مشاعرك الرقيقة تجاه بلدك الثاني المملكة العربية السعودية، ومجلتك «الفيصل»، والتي عبرت عنها شعراً، ونأمل أن نكون عند حسن ظن أمثال من الإخوة القراء، ونتمنى أن نتلقى مشاركاتك الشعرية لتجد طريقها إلى النشر - إن شاء الله - وفق ضوابط النشر في المجلة.

الأخت ولاء الحق عبدالرحمن - حلب - سورية:

جميل أن تهتمي بما ينشر في مجلتك «الفيصل»، ونتقبل منك ومن جميع الإخوة القراء من النقد ما يفيد من أجل بلوغ مستوى أفضل، ولكن حديثك عن الصور التي تنشرها المجلة جاء مبهماً، وليتك تفصلين حتى يمكن تفادي أي قصور، ولا يفوتك أن الصور مادة مهمة لا غنى عنها لتأكيد أهداف المادة المقروءة، إلى جانب ما لها من وظيفة جمالية.

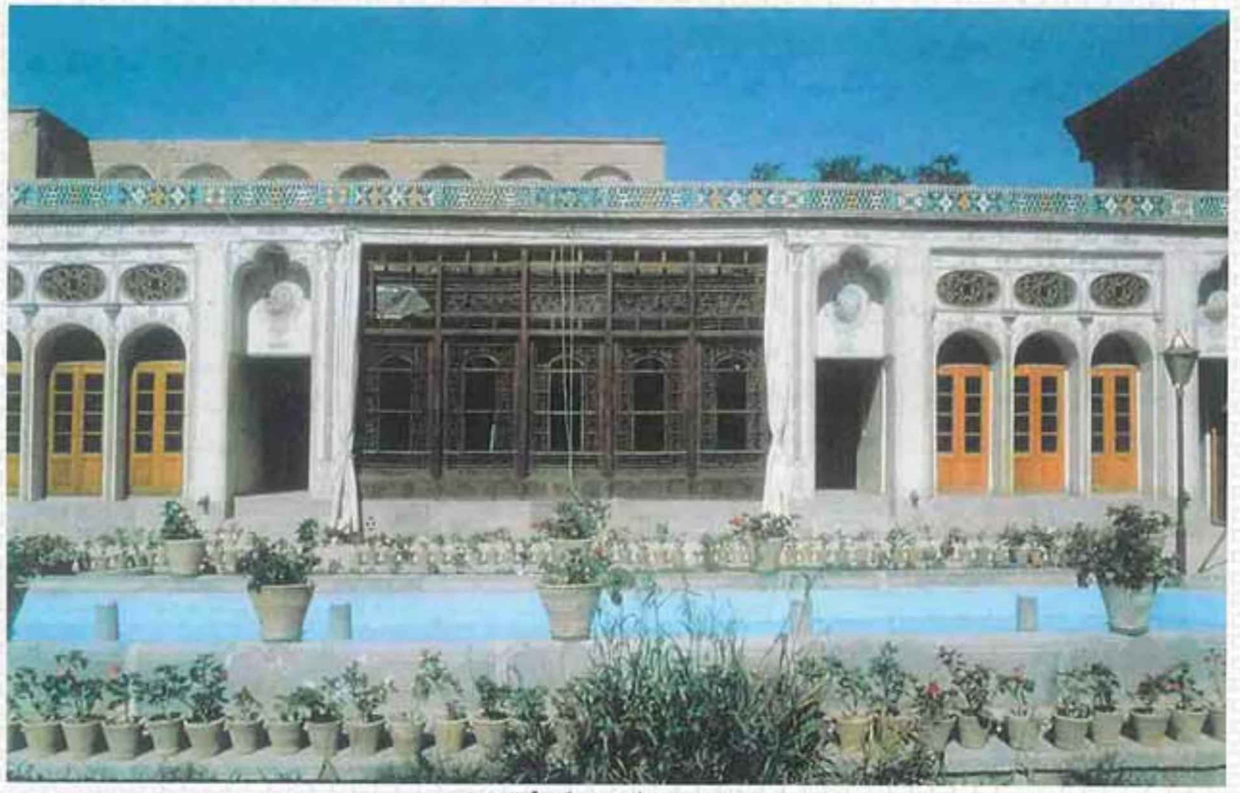
الأخ نبيل محمد علي حمدو - الحسكة - سورية:

الانطباعات الجيدة التي تكونت لديك عن الشباب الخليجي من خلال علاقاتك الشخصية تأتي للروح الجميلة التي تنظر بها إلى ما ينبغي أن تكون عليه العلاقات بين الأشقاء العرب.

ولاشك أن المجتمع العربي يحفل بالشباب الجاد الذي نأمل أن يرسم لوحة المستقبل الزاهية في عالم يموج بالتحديات.

جوائز الآغاخان للعمارة الإسلامية
قراءة واستنتاجات

محمود شاهين
دمشق. سورية



حياة جديدة في مبانٍ قديمة (إيران)

شهدت قلعة حلب الأثرية في سورية في السادس من تشرين الثاني/ نوفمبر عام ٢٠٠١م تظاهرة توزيع جوائز الآغاخان للعمارة الإسلامية في دورتها الثامنة (١٩٩٨- ٢٠٠١م)، وقد غطت تسعة مشروعات معمارية عائدة لثماني دول إسلامية هي: إيران، والمغرب، والهند، وغينيا، ومصر، والأردن، وتركيا، وماليزيا. أعقب حفل توزيع الجوائز في اليوم التالي، ندوة مطولة استعرضت فيها المشروعات الفائزة، ونوقشت جوانبها المعمارية والاجتماعية كافة بحضور أصحابها من مهندسين مصممين ومنفذين.



المعماريون الحفاة (الهند)

أنشئت جائزة الأغاخان للعمارة الإسلامية عام ١٩٧٧م للعمل على تعميق فهم الثقافة الإسلامية وتقديرها من خلال العمارة المعبرة عنها، وفي سبيل ذلك تقوم الجائزة بالبحث عن نماذج معمارية متميزة، وتقدير أوجه تميزها، ويغطي ذلك مجالات متنوعة تشمل التصميم المعاصر والإسكان الاجتماعي، وتنمية المجتمعات المحلية وأعمال الترميم وتحسينها، وإعادة استخدام المناطق والحفاظ عليها، كما يتضمن ذلك هندسة المواقع والقضايا البيئية.

وتسعى الجائزة من خلال جهودها إلى تحديد مفاهيم البناء التي تلبي، بنجاح، احتياجات وتطلعات المجتمعات التي يُشكل المسلمون فيها عنصراً حيوياً. وتُركز عملية الاختيار في الأعمال المعمارية التي لا يقتصر دورها على تلبية الاحتياجات المادية والاجتماعية والاقتصادية للشعوب فحسب، بل تتعداه إلى الاستجابة لتطلعاتها الثقافية والروحية وإثرائها، كما تُعطي اهتماماً لنماذج البناء التي تستخدم الخامات المحلية، والتقانات المناسبة، بطريقة مبتكرة، وكذلك بالمشروعات التي قد تُلهم بتطبيقات مماثلة في أماكن أخرى، وهذا ما يبدو واضحاً جليّاً، في مشروعات الدورة الثامنة للجائزة التي نستعرض فيما يأتي، أبرز مقوماتها وأهدافها، منتهين إلى ما خرجنا به من نتائج واستنتاجات حول المفاصل والتوجهات الثقافية والتقانية والاجتماعية التي تتحرك ضمنها مؤسسة الأغاخان الثقافية، صاحبة الجائزة التي تبلغ ٥٠٠ ألف دولار.

حياة جديدة في مبانٍ قديمة

تم تنفيذ المشروع المعماري في إيران، ويشمل أحياء تاريخية وسط مدن أصفهان، ويزد، وزنجان، وبو شهر، عانت من إهمال عام، بسبب النظرة إلى المنازل القديمة التقليدية، على أنها غير مناسبة للاحتياجات العصرية، وهي نظرة قاصرة، كما أن عملية البناء من دون نظام، تعدّ تهديداً حقيقياً للنسيج الاجتماعي، وهكذا ولدت فكرة اقتناء المباني التاريخية وترميمها، ثم بيعها أو تأجيرها، ومن ثم إيجاد استخدامات عملية جديدة لها، بما يحقق نفع المجتمع المحلي.

وقد رافق عملية الإعادة التأهيلية الجديدة لهذه المباني، عملية ابتكار في بعض الحالات، خاصة على صعيد وظيفة البناء، كتحويل (حمام الوزير) في مدينة (أصفهان) الذي يرجع إلى الحقبة الصفوية، إلى معهد للتنمية الثقافية للأطفال وصغار الشبان، كما تم إدخال المرافق العصرية إلى هذه المباني (كهرباء، وماء، وتدفئة وتهوية) من دون أن تكون ظاهرة، أو تسيء إلى جمالية البناء، ولم يتم إحداث تغييرات إنشائية فيها إلا في الحدود الدنيا، وقد تمت المزاوجة بين المواد التقليدية والمواد العصرية بكل انسجام وتوافق، مما جعل عملية الإعادة التأهيلية هذه، تحقق إدخال حياة جديدة إلى وسط المدن الإيرانية، وتحسين الأحوال المعيشية، وإعادة إحياء الطابع المعماري القديم، وتجديد النظرة إلى التراث الثقافي الثري، وتنشيط رعاية القطاع الخاص وتشجيعه على استثمار النسيج التاريخي الأنيق.

آيت إكتل

آيت إكتل قرية مغربية كانت منعزلة في جبال الأطلس الأعلى. يبلغ عدد سكانها ٢٠٠ ألف نسمة، لم يكن فيها كهرباء، وتجلب النساء الماء من ينابيع بعيدة، ويعتمد سكانها على زراعة الحبوب، وكل أسرة في هذه القرية، لها رجل يعمل في إحدى المدن المغربية، أو خارج البلاد، لإعالة أسرته.

عام ١٩٩٢م أسس المهاجر علي أمهان رابطة اجتماعية ثقافية، ومنها ولدت رابطة «آيت إكتل» للتنمية عام ١٩٩٥م. اليوم أصبحت الكهرباء متوافرة في القرية لمدة أربع ساعات يوميًا، والشوارع مُضاءة ليلاً، كذلك الماء، أصبح متوافرًا للري والشرب، كما تم إنشاء مكتبة جديدة، وإصلاح المستوصف، وهذه الإضافات المعمارية كافة نُفذت بالحجر المحلي، أو أدمجت بالعمارة القديمة في القرية، وفق التقانات التقليدية، وبخبرة أبناء القرية الذين عادوا إليها، مما جعل القرية تتحول إلى قدوة وأمثولة للقرى المجاورة.

المعماريون الحفاة

نُفذ هذا المشروع المعماري الفائز بجائزة الآغاخان في (تيلونيا) بالهند، ومن خلاله تم إحياء المعارف الريفية التي كادت تموت مع هجرة الريفيين إلى المدن. البداية كانت مع إنشاء «كلية الحفاة» في هذه المنطقة بولاية «راجستان». ومع مرور السنين، أصبح هذا المركز ينمّي الخبرات والإمكانات، وتم وضع خطة إنمائية شاملة، حملت شعار (فقراء الريف من أجل فقراء الريف) وكان حرم الجامعة أو الكلية هو الميدان المعماري الأول للتطبيقات التي أعادت استخدام الأخشاب وبقايا المعادن المتوافرة من مخلفات الآلات الزراعية، وعربات الثيران، وأجزاء المضخات، إضافة إلى القش. وقد سعت الكلية إلى إدماج العمل المحلي بالمواد المحلية، والشخص الذي أنجز هذا الحرم هو فلاح أمي، إلى جانب اثني عشر معماريًا حافيًا، بمساعدة نساء القرية. تم تنفيذ المباني في هذه المنطقة، بالمواد المحلية مثل أحجار الدبش مع ملاط الحجر الجيري، وتحت شعار (منزل لمن لا منزل له).

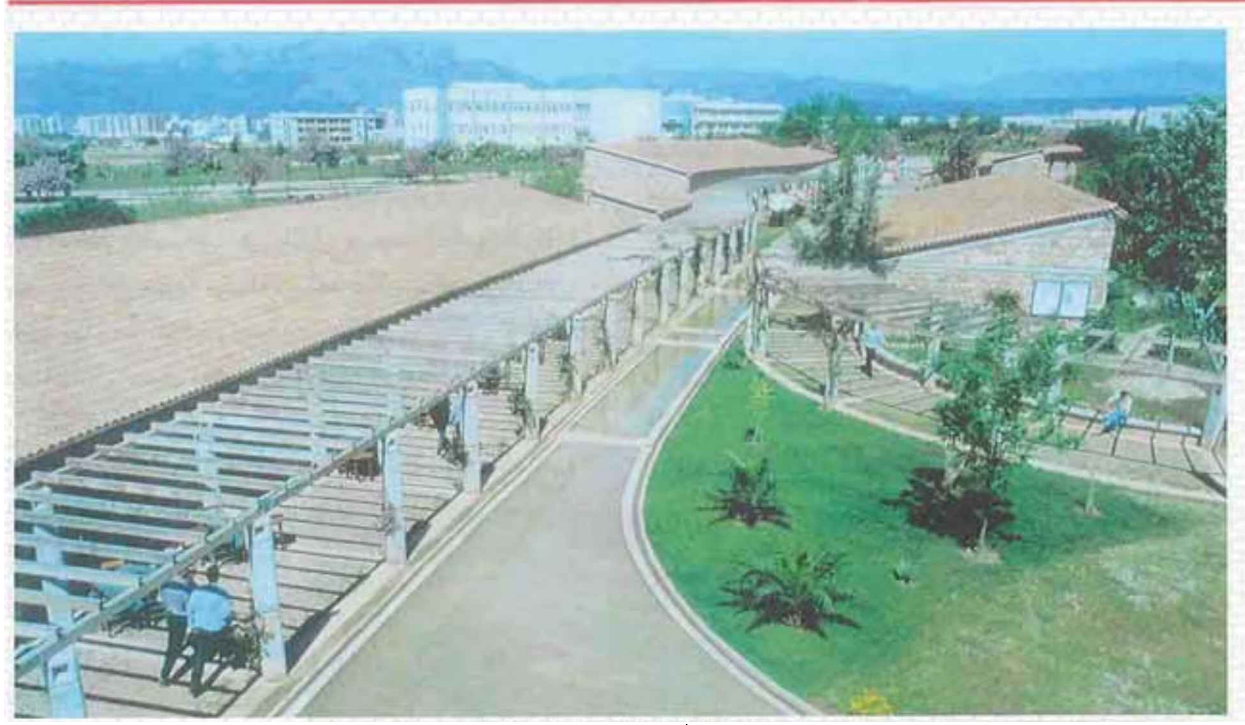
وفرت كلية الحفاة هذه أكثر من مئتي مسكن قليلة التكاليف، وقد أثبتت ملاءمتها لوظيفتها إلى أقصى حد. كما تم ابتكار نظام لتجميع الأمطار والاستفادة منها، مما جعل عدداً كبيراً من الفتيات يعدن إلى المدارس، بعد أن كن يمضين ساعات طويلة في جلب مياه الشرب من أماكن بعيدة.



آيت إكتل (المغرب)



مدرسة كاهيري إيلا (غينيا)



مركز أولبيا الاجتماعي (تركيا)

كلية الحفاة هذه، أحدثت تأثيراً هائلاً في منطقتها والمناطق المجاورة، مما جعلها تقوم بنشل السكان من الحلقة المفرغة التي كانوا يعيشون فيها، وسهلت إحياء التقانات المختلفة وطبقتها على نطاق واسع، كما تم حل المشكلات في هذه المنطقة بعد أن حار فيها العلماء والمهندسون ومتخصصو البيئة السكانية عدة سنوات.

مدرسة كاهيري إيلا

وهي مدرسة زراعية لتربية الدواجن، نفذت في (كوليابيه - كيندبا) بغينيا، وهي رابطة إنمائية دخلت في شراكة مع مزرعة دواجن، بهدف التعليم.

المساكن التقليدية في هذه المنطقة، بسيطة ومنفذة بالطوب بعد حرقه في قمائن محلية، وهو من نوعيّة بدائية، يحتاج تصنيعه إلى كميات كبيرة من الأخشاب. أدخل المعماريون تقنية إطار الخشب إلى جانب الحوائط الحاملة المبنية من طبقتين من الطوب الذي لا يحتاج إلى حرق، مما يعني صون الموارد الخشبية، وهذه التقنية ترد على المناخ السائد ولا تحتاج إلى طلاء.

تصميم هذا المشروع، جمع بين ثقافتين مختلفتين، دون التضحية بالخصائص المحليّة في جوها الأصلي، ويجمع بين إنشاءات خشبية معروفة في (فنلندا) ومواد محليّة في (غينيا) مع تحسينات تقنية بسيطة.

متحف النوبة

افتتح متحف النوبة بمدينة أسوان بمصر عام ١٩٧٧م بالتعاون بين الحكومة المصرية والأمم المتحدة لعرض ٣٠٠٠ قطعة تبرز ثقافة إقليم النوبة وحضارته ابتداءً من عصور ما قبل التاريخ حتى اليوم.

كان التمويل بكامله من الحكومة المصرية، ويُعدّ المتحف مركزاً لدراسات الآثار الإفريقية والشرق أوسطية، كما أنه متحف للمجتمع المحلي: يقع على الضفة الشرقية للنيل قرب مقلع غرانيت قديم، أقيم على مرتفع من أجل صيانة التشكيلات الصخرية، وإفساح منظر واسع أمام مقابر الفاطميين والمسلة غير الكاملة. الموقع هذا يخدم خطوط (الكونتور) ومظهره الخارجي المكوّن من صخور رملية محلية، يساعد على تعميق علاقة المتحف بالموقع، وقد أُدخل كثير من العناصر المحلية التقليدية (كالمثلث) إليه، وأدمجت بصورة دقيقة في التصميم.

هذا المتحف يصون حضارة من الحضارات القديمة، ويوفر نقطة مركزية لنشاط المجتمع المحلي المعاصر.

محمود شاهين

قرية الأطفال

تقع في العقبة بالأردن، وقد جاءت عصريّة التصميم، بطريقة تخدم القديم، وهي ملاذ للأطفال اليتامى. وضعت مقاييس هذا المشروع بدقة تحترم البيئة، وتوفر مكاناً يشعر فيه الأطفال بأنهم فعلاً في المنزل. صممه (جعفر طوقان) ويضم مرافق حيوية مختلفة، ويأخذ شكل عناقيد من المباني، تحيط بها مساحات خارجية مفتوحة للهواء الطلق، ومغطاة بغطاء نباتي جميل وأشجار للتظليل.

أكبر جانب مبتكر في التصميم هو اعتماده على الكسوة التقليدية بأحجار الغرانيت دون تسوية، وهذه التقنية مستلهمة من نموذج المنازل الباقية على الطريقة التقليدية في مدينة العقبة القديمة، فقد استغلت الأحجار الطبيعية الموجودة في الجبال القريبة، كما اشترط عدم تسويتها بآلات والمحافظة على طبيعتها تماماً. وتم تدريب عدد من الحرفيين على تجهيزها، مما ساهم في إحياء تقانات البناء القديمة، كما أدخلت عناصر حديثة بالاستعاضة عن العناصر الخشبية في الإنساء بخرسانة سابقة الصنع.



قرية الأطفال (الأردن)

إن اعتماد المواد الصناعية في عملية البناء في الأردن (والدول العربية كافة) همّش مساهمة المجتمعات المحليّة في عملية البناء هذه، وأدى إلى ندرة المعماريين واليد العاملة الماهرة المدربة، لذلك جاءت هذه القرية لتشكّل نموذجاً يحتذى، وشجّعت السلطات المحليّة على تحسين البنية الأساسية في المدينة القديمة التي أصبحت تُشكّل قلب النسيج الحضري في المدينة، وساهم هذا في بروز نزعة الأبنية التي تمزج بين العصري والمحلي، مع استخدام المواد المتوافرة في البيئة. هذا الطراز المعماري، انعكس على تصرف أطفال القرية بطريقة منظمة ومتحضرة ومهذبة.

مركز أوليبا الاجتماعي

وهو موجود في (أنطاليا) بتركيا، ويتألف من حرم جامعة على البحر الأبيض المتوسط، ومُشكّل من مبانٍ متناثرة مبنية بطريقة لا انسجام فيها، فهي من عدة طرز، ولا علاقة تربطها بالمدينة القديمة، وليس لها أي طابع خاص بها، كما أن الاتصالات بين الطلاب والأساتذة صعبة وغير منسّقة.

كان المعماري (جنكيز بيكتاش) يرى أن ازدهار الإحساس بالمجتمع المحلي يتطلب أن يتمكن الناس (من مختلف المهن) من اللقاء بصورة غير رسمية، في مساحة مشتركة، مثل الأغوار اليونانية، أو الفورم الروماني، أو البازار الشرقي، حيث يمكن أن يحدث تعلم تلقائي.

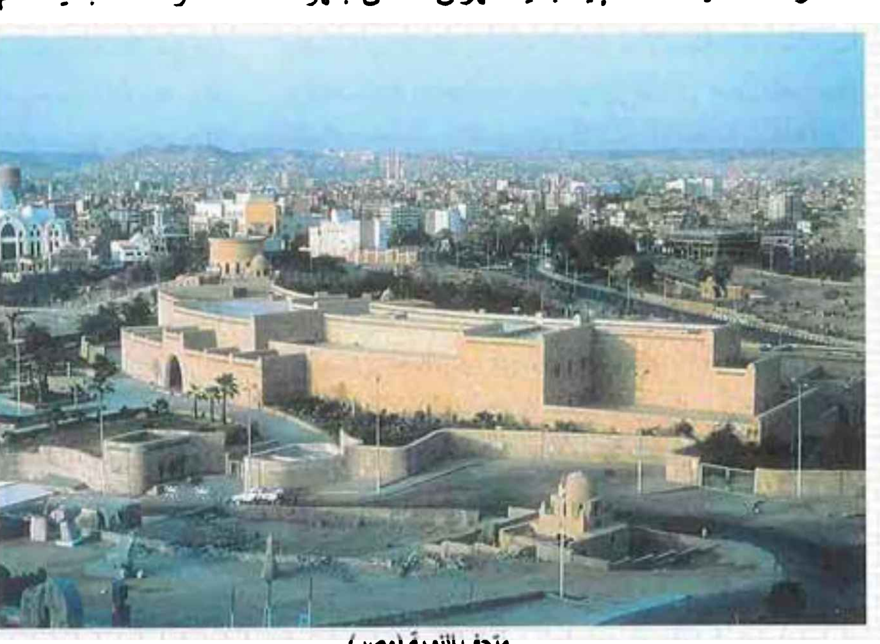
على هذا الأساس، فإن تصميم المجمّع يعتمد على فكرة السوق التقليدي، بوجود سلسلة من المباني، تنتظم حول محور مركزي. وقد تم تعديل المركز بحيث يحقق إدماج الحرم بالمجتمع المحلي، كما سمح المعماري للعمال والحرفيين المحليين باستخدام معارفهم والمواد التي اعتادوا عليها، كما أنه تولى تدريس بعض التقانات القديمة، مما أحيا تقاليد البناء في المنطقة، وتم الإبقاء على الأشجار القديمة وصيانتها، وأضاف المعماري أشجاراً أخرى،

بالإضافة إلى الأزاهير والنباتات المأخوذة من البيئة المحلية، كما أدخلت مساحات عشبية ونباتات متسلقة.

هذه الإضافات حققت عملية ربط المباني المتناثرة في الجامعة، وحققت عملية التواصل بين الأساتذة والطلاب، من مختلف التخصصات، ومن ثمّ وصل تركيا الحديثة بماضيها بصورة بليغة.

باغ فردوسي

نفذ هذا المشروع في (طهران) بإيران، وقد جاء ليعوض عن تدمير كثيرٍ من الحدائق العامة والخاصة التي كانت مصدر أناقة المدينة، دعت إليه بلدية طهران، ضمن جهود



متحف النوبة (مصر)

حماية البيئة في جبال (البرز) حيث تم إنشاء حديقة بمساحة ١٢ هكتاراً، عند سفوح الجبال، أصبح لها شعبية كبيرة.

عام ١٩٩٢م طلبت البلدية من مهندسي الحديقة إعداد دراسة أوسع عن المناطق المحيطة بشمال طهران، وكان أول جزء منها (باغ فردوسي) بمساحة ٣٠ هكتاراً. الحديقة سلسلة من الأخاديد المنحدرة انحداراً شديداً، تتخللها صخور سائبة وجلاميد، وبعد إقامة شهر في الموقع، خرج المهندسون الدارسون بتصميم مستمد من التضاريس الطبيعية، يحوي التصميم ممرات مبلطة بالحجر، وسلالم ترتفع إلى أعلى التل، حيث يمكن النظر منها إلى المدينة.

بين هذه الممرات أُنشئت مساحات للجلوس ضمن التضاريس الطبيعية، إضافة إلى أربعة بيوت ثقافية، يمثل كل واحد منها، كطراز معماري، المجموعات العرقية الأربع في إيران، وتفضي الحديقة إلى حديقة تماثيل تجري إقامتها حاليًا، كما تضم الحديقة تمثالاً للفردوسي الشاعر الفارسي الأكبر الذي حملت اسمه.

تضم الحديقة شلالات ونباتات محلية، تتلاءم مع البيئة لوناً وشكلاً، إضافة إلى الأشجار.

أما المادة الأولية التي نُفذت منها الحديقة، فهي الحجر المنحوت نحتًا بسيطاً، تم جمعه من الواقع، أو قُطع من أعلى الجبل، كما تم نحت بعض الصخور البارزة بطريقة مبتكرة، بحيث أصبحت تمثل أشكالاً من الأسماك والسحالي والدببة، فخلقت بذلك بيئة يتعلم فيها الطفل كيفية احترام الطبيعة وكأنه يلعب، كما تم تأمين المياه والإضاءة بالشكل المناسب، وهكذا خُلقت بيئة تزدهر فيها الطبيعة.

فندق داتاي

مشروع نفذ في (بولاو لانفكاوي) بماليزيا، وهو فندق ذو خمس نجوم، حاول صاحبه من خلاله تحقيق التآزر بين التضاريس والأشكال المبنية، والتقاليد والسياحة، وبين الطراز المعماري التقليدي والطراز العصري.

تم تصميم الفندق بحيث لا يزعج الغابة، وقُسِّم منازل وكتلاً معمارية منعزلة مما جعل كتلته تنخفض وتحقق المرونة، وهذه العملية قللت من قطع الأشجار إلى أقل حد ممكن. عمارة البيوت مستقاة من شكل العمارة المحلية، كذلك عناصر المجتمع الأخرى، وقد استخدمت مواد محلية استخداماً كثيفاً في المشروع، خصوصاً الأخشاب المأخوذة من الغابة نفسها، وقد استُخدم في قطعها أفيال مدربة بدلاً من (البلدوزر)، مما قلل الأضرار التي أصابت الغابة.

عناصر المشروع كافة، تآلفت وانسجمت، لتخلق لغة معمارية بليغة، شكّلت مثالاً في (ماليزيا)، كما تُركت الأخشاب والمعادن المستعملة دون طلاء، لكي تتعتق بشكل حقيقي، مما جعل المشروع يجمع بين الترف السياحي واحترام البيئة.

نتائج واستنتاجات

بعد الاطلاع الدقيق على المشروعات التسعة الفائزة بجائزة الآغاخان في دورتها الثامنة، نصل إلى النتائج والاستنتاجات الآتية:

- ليست العمارة بحد ذاتها هي الهدف الرئيس لتوجهات القائمين على الجائزة، وإنما الإنسان الذي يتعامل مع هذه العمارة، على اختلاف وظائفها ومهامها وطرزها، وثم الإطار الاجتماعي الذي يتعامل معه، وضرورة خلق حالة حميمية من الترابط والتآخي بين أفراد المجتمع المسلم كافة.

- العمارة وسيلة للوصول إلى هذه الأهداف الإنسانية النبيلة، لذلك جاء التوجه في المشروعات الفائزة كافة، من أجل خلق هذه الحالة الاجتماعية المثالية. بمعنى أن مهمة تحقيق هذه الحالة الاجتماعية المثالية أنيطت بالعمارة.

- تأكيد الصيغة المعمارية التقليدية لكل بلد، وضرورة القيام بعملية إحياء لها، خصوصاً بعد أن دهمها الإهمال والضياع، وتم العزوف عنها لمصلحة عمارة تلفيقية هجينة، لا هُويّة لها، غريبة الشكل والمادة والمفاهيم وطرائق الاستخدام، وتُشكل (نشازاً) مع بيئتها، بينما العمارة التقليدية الأصيلة، هي ابنة البيئة الشرعية: تختزل وتكتنز شخصية إنسانها وقيمه الروحية وعاداته وتقاليده وطريقة تفكيره ونظرته إلى الحياة، وهي، في الوقت نفسه، ترد على عوامل المناخ السائد في هذه البيئة أو تلك، فتوفر الدفء في الشتاء والبرودة في الصيف، وتتجاوب مع كلّ مستلزمات ومتطلبات إنسانها في تعامله اليومي مع الحياة.

- الإلحاح الكبير والواضح على الاستفادة من مواد البيئة وخاماتها في تنفيذ هذه العمارة، لأسباب اجتماعية واقتصادية وجماليّة، منها توفير فرص عمل للحرفيين المحليين، وتطوير خبراتهم التقانية والفنية، وهذه المواد والخامات أرخص من غيرها لتوافرها بالقرب من المنشأة، وهي الأقدر على التوافق والانسجام مع البيئة بصرياً وجمالياً وروحياً.

- تأكيد المرافق المعمارية الأكثر إلحاحاً وضرورتها للإنسان المعاصر، أي تلك التي تقدم له خدمات يومية تسعفه في ممارسة حياته بشكل لائق وكريم وحميمي، بعد ذلك تأتي أهمية الجوانب الأخرى الفنية والثقافية، وهذا يؤكد مدى الاهتمام الذي يحظى به الإنسان المسلم في توجهات الجائزة وأهدافها.

- تأكيد محاولة الاستفادة من المخلفات التي تفرزها هذه البيئة أو تلك، بهدف تخليصها منها في مجال مفيد ومثمر، ومن ثم المحافظة عليها نظيفة وجميلة.

- تأكيد العمارة القادرة على شد الإنسان إلى مسقط رأسه، وتنمية ذائقته الجمالية، وربطها بعناصر خامات البيئة ومكوناتها وموادها، إضافة إلى تنمية ثقافته التراثية القابعة في ذاكرته ووجدانه وأحاسيسه، وربط ذلك كله، بالمعطيات الحديثة.



فندق داتاي (ماليزيا)



باغ فردوسي (إيران)

- تحكم العقلية التي تدير الجائزة، واقعية رصينة ومتزنة وموضوعية، بدليل نوعية الجوائز السابقة واللاحقة التي خلت جميعها، من المشروعات المعمارية المحكومة بالخيال العاطل، والصرعات المجانية، والجماليات المترفة، والاستنساخ السهل والمكرور، والمبالغات غير المسوّغة وظيفياً، وذلك لمصلحة العمارة الواقعية التراثية الجميلة والمفيدة والقادرة على النهوض **بمصالح مجتمع بكامله.**

- تعمل الجائزة على استنهاض عمارة إسلامية حديثة متكاملة شكلاً ووظيفة، وتحمل في الوقت نفسه، قدرة تحريضية كبيرة، بحيث تتحول إلى قدوة وأمثولة لما سيأتي بعدها، وفي هذا إحياء لقيم اجتماعية إسلامية عظيمة، كادت تختفي وتغيب في عصر تضخم الأنا، وغلبة المصلحة الفردية الضيقة والمحدودة، على المصلحة الجماعيّة والنفع العام. لذلك فإن جميع الجوائز فُتحت لمشروعات معمارية ذات سمة اجتماعية واسعة الطيف، شفيفة ومفيدة وضرورية.

- الحرص الشديد على عدم إقحام العمارة في محيط لا يقبلها، أو تُشكّل مفارقة (نشازاً) فيه أو إدخال وسائل عصرية خدميّة على عمارة تقليدية قائمة، بشكل فج ومرتجل، لا يحترم خصوصيتها، ولا يراعي جمالياتها وأصالتها.

- شعار تلبية الحاجات المادية والروحيّة للإنسان المسلم **في عمارته الحديثة، تحققه وبشكل جلي وواضح، العمارة** التي تتبناها مؤسسة الأغاخان، وهذا ما تفتقر إليه عمارتنا العربية والإسلامية المعاصرة التي جاءت في معظمها، نسخاً مشوهة عن عمائر الآخرين، ومما يزيد الطين بلة، التوجه الكلي لمهندسينا وفنانينا ومناهجنا الجامعية، وحتى ثقافتنا وسلوكنا، إلى تلقف كل ما يفرزه الغرب، دون تدقيق أو تمحيص أو انتخاب، مما يستدعي منا وقفة عاجلة، نراجع خلالها، الذخر العظيم لأمتنا العربية والإسلامية، واستنهاض حداثتنا منه.

العرب وسؤال التاريخ

محمد قاري
وهران - الجزائر

أشهد العالم منذ مطلع السبعينيات من القرن العشرين حتى أيامنا هذه أكبر التحولات وأعمقها على مستويات متكاثرة لا يشملها حصر، و الذي لا ريب فيه أن مثل هذه التحولات الواقعة أمام أبصارنا، بل الفاعلة فينا، لابد أن تفرض على الذات العربية أخطر التحديات: على جميع خصائصها: الثقافية، والسياسية، والاقتصادية، والإستراتيجية، وفي مثل أجواء التحدي هذه فإن الذات، كل ذات، تميل بالفطرة والجبلة إلى معاودة النظر في قدراتها وطاقاتها.

والذات العربية حين تعاود مثل هذا النظر، إنما تقوم بمراجعة خطتها الوجودية، ومن ثمة بإنجاز قراءة جديدة أو متجددة لمساراتها التاريخية المنتجة والمنتجَة. من هنا جاءت فكرة هذه الدراسة محاولة لمقاربة استطلاعية تخص «العرب وسؤال التاريخ».

التاريخ و سؤال المعنى

إن التفكير في الموضوع التاريخي يستدعي إلى الذهن مجموعة من الأسئلة التقليدية التي لابد أن ترتبط بموضوع كهذا، مثلاً:

- هل ثمة وجود فعلي لهذا الذي نسميه «التاريخ»؟!

- هل ثمة وقائع تاريخية رتيبة و منتظمة، أي قابلة لأن ندرسها ونتعاطى معها منهجياً ونظرياً وعلمياً؟

- هل ثمة قوانين أو سببية أو حتمية من أي نوع تحكم صيرورة الأحداث والأزمنة؟

- و إذا تقبلنا - و لو جدلاً - وجود هذا «التاريخ» فهل نتقبل بالضرورة أن يكون للتاريخ معنى لازم؟!

- أم ترانا نحن الذين نخترع «التاريخ» لأن الزمن من دونه يصبح عدماً! ونخترع للتاريخ معنى، فمن دون المعنى تتشتت الأزمنة في أودية العبث، ويصبح التاريخ إذ ذاك مستحيلاً!

هكذا فالأمر يتعلق بالبحث عن قوانين، أو فلنقل: إن الأمر يتعلق بالبحث عن معنى خفي كامن تستبطنه الأحداث و الوقائع، و علينا أن نستكشفه إذا كان موجوداً، أو أن نخترعه إذا كان مفقوداً.

إن سؤال المعنى - و هو أسُّ انشغالات فلسفة التاريخ - يفتح - دون شك - الباب لأكثر الاستفهامات عمقاً و تعقيداً، فلا مناص إذاً من أن ندقق السؤال فوراً بمسألة محصورة، أعني «المسألة التاريخية في الفكر العربي». عندما نسحب سؤال المعنى على التاريخ العربي حصراً، علينا أولاً أن نرجع نقدياً خطوة إلى الوراء لكي نتساءل ابتداء: هل هناك تاريخ عربي؟

و لا يقولن قائل: إن سؤالاً كهذا يبدو مستغرباً وسمجاً ومستثقلاً! بدعوى أنه لا أحد يجهل أنّ ثمة فعلاً تاريخاً كهذا. فاعتراض كهذا - في اعتقادي - مصادرة على المطلوب، فكأنه يقول: التاريخ العربي موجود بدليل أنه موجود! أما من جهتي، فلعلني أدلل على مشروعية السؤال بتحليله على النحو الآتي:

هل ثمة سياق وقائعي متجانس يبدأ من نقطة زمنية معطاة، ويستمر في خط منتظم متآلف أوله مع آخره، بحيث يجوز أن نلمسه - أي السياق الوقائعي - في كليته وموضوعيته ثم نسميه تاريخاً عربياً؟! ولنفترض أن ثمة تاريخاً عربياً ما، فلماذا يجوز ألاّ يكون تاريخاً واحداً فحسب، بل تواريخ متعددة متباعدة و حتى متعارضة؟!. ألا تمتد الأصول العربية بعيداً في عمق القرون، أي حتى قبل أن نصل إلى عرب الجزيرة المتأخرين، وقبل الحديث عن تاريخ عربي قبلي (قريش وأخواتها)؟ هذا فحسب إذا توقفنا عند فترة ما قبل الإسلام، أما إذا أضفنا الإسلام في الحسبان - وذلك ضروري و لا شك - فما أكثر ما يتشعب السؤال ويتوالد. إذ أي تاريخ عربي سنعنيه: عرب المشرق أم المغرب؟ السنة أم الشيعة؟ شبه الجزيرة أم الأندلس؟ العرب وحدهم أم معهم سائر الأعراق والأجناس؟ عرب القرون الأولى أم المتأخرة؟ عرب الخلافة أم الملك؟ عرب الحضارة والعلم والآداب أم عرب الظلم والاستبداد والتشتت؟ عرب الفتوحات أم عرب الخضوع والقابلية للاستعمار؟

و هكذا!! والذي أريد أن أخلص إليه، هو أن سؤال: «هل هناك تاريخ عربي؟» ليس بالضرورة سؤالا مشبوهاً أو مستبعداً، فتعبير مثل «التاريخ العربي» هكذا على نحو مجرد ليس - في اعتقادي - تعبيراً واضحاً بذاته.

ومهما يكن، فإن سؤال «المعنى» يبقى وارداً في جميع الأحوال، بل لعله في هذه الحالة سيصبح أكثر إلحاحاً. إننا، وبصرف النظر عن الوجه النقدي أعلاه، نتساءل هنا عن «المعنى» الذي يمكن أن يحمله أو يحتمله هذا الذي نسميه «التاريخ العربي». وطبعاً ليس في نيتي ولا في مقدوري أن أجيب عن سؤال ضخم كهذا، وإنما لابد من إثارة السؤال في ذاته. وإذا حدث أن يكون هناك من سيشتم في مثل هذه الأسئلة رائحة الاستفزاز، فإن الاستفزاز قد يجدي أحياناً في هز العقول الكسولة، ويرغمها على معاودة النظر والتفكير!

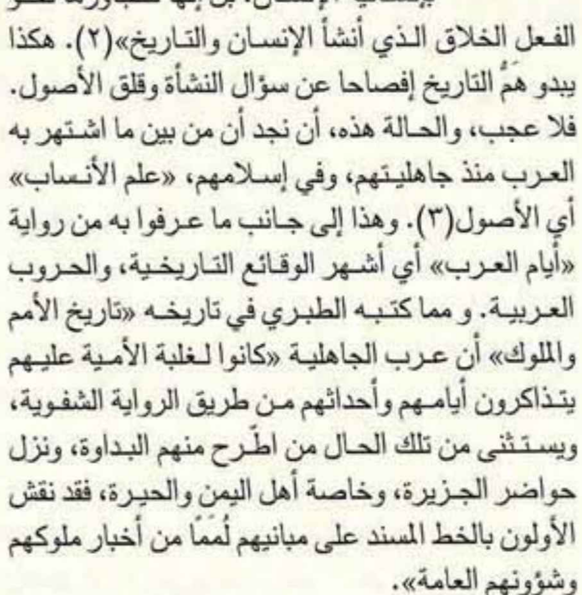
وعلى أية حال فما سأحاوله من جهتي أن أسجل مجموعة من الوقفات النقدية العاجلة والعامة بخصوص مثل هذا السؤال، ولعلني خلالها أقترح وجهة نظر شخصية.

إطلالة على التراث التاريخي العربي

لعل أولى الوقفات النقدية تحملني على أن ألاحظ - ومن خلال هذه الإطلالة - أن العرب كانوا هم أنفسهم كثيري الانشغال بالهم التاريخي، و قد لا نجانب الصواب إذا قلنا: إنهم تفوّقوا في ذلك على سائر الأمم. ولو أننا لا نتجاهل - بأية حال من الأحوال - أنه لا تخلو أمة من الأمم من الحرص على تاريخها مثل حرصها على وجودها؛ ربما لأن الوجود و التاريخ يتطابقان، أو أن أحدهما مرادف للآخر، وعلى رأي د. طريف الخالدي: «إن كتابة التاريخ عند جماعة أو أمة كثيراً ما تدل على رغبة هذه الجماعة أو الأمة في فهم جوهرها ودورها في التاريخ»(١)، بل إن كتابة التاريخ لتصبح ذات دلالة بعيدة الأغوار «فكتابة التاريخ - تماماً كما يقول د. وضاح شرارة - تختلط أو تمتزج بإنسانية الإنسان، بل إنها تتجاوزها نحو الفعل الخلاق الذي أنشأ الإنسان والتاريخ»(٢).



الجبرتي



هكذا يبدو همّ التاريخ إفصاحا عن سؤال النشأة وقلق الأصول. فلا عجب، والحالة هذه، أن نجد أن من بين ما اشتهر به العرب منذ جاهليتهم، وفي إسلامهم، «علم الأنساب» أي الأصول(٣). وهذا إلى جانب ما عرفوا به من رواية «أيام العرب» أي أشهر الوقائع التاريخية، والحروب العربية. و مما كتبه الطبري في تاريخه «تاريخ الأمم والملوك» أن عرب الجاهلية «كانوا لغلبة الأمية عليهم يتذاكرون أيامهم وأحداثهم من طريق الرواية الشفوية، ويستثنى من تلك الحال من اطّرح منهم البداوة، ونزل حواضر الجزيرة، وخاصة أهل اليمن والحيرة، فقد نقش الأولون بالخط المسند على مبانيهم لُمَماً من أخبار ملوكهم وشؤونهم العامة».

وليس يغيب عن أحد أن الشعر الجاهلي يمثل بكليته واحدة من أنفس الوثائق التاريخية التي توفر لنا معالم لصورة الحياة العربية قبل الإسلام، بل إن الشعر الجاهلي - في رأيي - يختزن وحده جزءاً كبيراً - أو مهما على الأقل - من اللاشعور الجمعي العربي، وعلى ذلك فهو يؤسس لقطاع كبير من «الذات العربية» على نحو ما. ومن هنا نفهم بعض أبعاد تلك الحملة الغريبة التي كان الدكتور طه حسين خاضها أيام تلمذته للمستشرقين ضد الشعر الجاهلي، وإنما كانت الذاكرة العربية، ومن ثم كامل الوجود التاريخي العربي هو المقصود بتلك الحملة المشبوهة، وعفا الله عما سلف!

على أن ذلك لن يمنعنا - بمقتضى الإلزام المنهجي - أن نضع موضع الاستفهام قضية وجود شعور متكامل وثابت بالذاتية الثقافية أو القومية، وبوعي تاريخي لدى العرب قبل الإسلام. وهل الشعر الجاهلي يبلغ أن يكون تجسيداً وتعبيراً مأموناً ومتلائماً مع تلك الذاتية المفترضة؟

نظرياً يبدو هذا السؤال مشروعاً إلى ابعد الحدود، فمن الضروري أن نتساءل - مثلما يفعل د. عفت الشرقاوي: «حول وعي العرب قبل الإسلام لذاتهم الحضارية الخاصة، وما يتصل بذلك الوعي من تصور لهذه الذات في إطارها الزماني، فنتساءل هل كان للعرب وعي ما بأنهم أمة، أو جماعة، أو شعب لهم ذات تاريخية خاصة، وكيف كان تصورهم للتاريخ إن كان ثمة تصور ما له؟»(٤).

غير أنه، مهما كان الموقف الذي يمكن أن ننتهي إليه، لا شك عندنا أن الشعر الجاهلي لا يختصر في مجرد أدب عرضي، بل هو يمثل محطة تاريخية وتأريخية في آن واحد.

على أن أهم المحطات بل المنعرجات الحاسمة في مسارات الذات العربية مثلها - دون ريب - «الحادث الإسلامي». فمع الإسلام خرج العرب من تاريخ هلامي لا شكل له ولا وجهة، ليدخلوا - وإلى الأبد - في تاريخ حضاري عملاق كان عليهم أن يتولوا هم أنفسهم، وبالذات صناعته!

والذي يهمنا هنا هو أثر الحادث الإسلامي في الهم التاريخي عند العرب. فالظاهر أن الوعي النظري بالموضوع التاريخي قد عرف ميلاده الفعلي مع الإسلام. وتلك مسألة لاتكاد تختلف حولها الدراسات المهتمة. لعل من أبرز تلك الدراسات دراسة د. عبد العزيز الدوري عن « نشأة علم التاريخ عند العرب»، وفيها تأكيد آخر على أن علم التاريخ عند العرب بدأ بعد ظهور الإسلام «أما الفعاليات الجاهلية - كقصص الأيام والأنساب - فإنها تشير إلى جانب من اهتمام العرب، وبداية أسلوب في رواية الأخبار، ولكنها لاتنطوي على فكرة تاريخية»(٥).

«هل هناك تاريخ عربي؟» ليس بالضرورة سؤالا مشبوهاً أو مستبعداً، فتعبير مثل «التاريخ العربي» هكذا على نحو مجرد ليس تعبيراً واضحاً بذاته

القرآن المجيد والمسألة التاريخية

لقد تحقق مع الإسلام نوع من انفتاح الإنسان عموماً، والإنسان العربي خصوصاً، على ماتنطوي عليه ذاته من أبعاد كونية مطلقة مهيبة، وامتدادات تاريخية تتجاوز في عمقها حدود النسب القبلي القريب والمبتذل! ولعله من اليسير ملاحظة أن أول ما نزل من القرآن الكريم (أي الآيات الأولى من سورة العلق) قد وجه النظر نحو «سؤال الأصول»، إنما بصيغة جديدة غير صيغة الأنساب والأعراق! - فالله هو (الذي خلق) سيعني هذا أن التاريخ التراجعي للخليقة (الكون والوجود) ينتهي في الأزل عند الله (هذا ما يفسر لنا أن أمات الكتب التاريخية التراثية تستفتح التأريخ منذ ما قبل آدم!). ثم إن الله عز وجل (خلق الإنسان من علق)، فالعلق إذا «أصل» الإنسان، أي بما هو أصل طبيعي مادي. ينشأ لدينا تاريخان: تاريخ طبيعي مادي وتاريخ وجودي يتجاوز المادة، فيمضي إلى ما وراء العلق: إلى الله.

وعلى ذلك ستطرح أمامنا - وعلى سبيل الإمكان النظري - تأويلات أو بالأحرى «قراءات» بالمدلول النقدي أو المعرفي (الإبستيمولوجي) متعددة للتاريخ:

- **قراءة وضعية جذرية**: فهي تتغذى على فلسفة مادية للتاريخ، وتمثل المادية التاريخية الماركسية نموذجها الأقصى!. تستند هذه القراءة على رؤية للوجود مغرقة في ناسوتيتها.
- **قراءة مثالية مطلقة**: إذ نستطيع أن نهمل التاريخ الأول زاعمين أنه لا فعل للإنسان فيه إلا على سبيل المجاز، فتنشأ لدينا نظرة جبرية للتاريخ، إنها نمط من الصوفية السلبية في وعي التاريخ!. تستند هذه القراءة على رؤية للوجود مغرقة في لاهوتيتها.
- **قراءة تأليفية**: وفيها نؤلّف بين التاريخين أو القراءتين عندما نعثر على صيغة الجمع بين فعل الله وفعل الإنسان، أي بين المطلق والنسبي. يتعلق الأمر إذن بتأسيس تلك «القراءة» التي تتيح هذا التأليف وآيات السورة الكريمة المذكورة توجه النظر إلى إمكانية هذه «القراءة» المنشودة. وتستند هذه القراءة إلى رؤية للوجود تقيم الاتصال بين الغيب والشهادة. [نحيل القارئ المهتم هنا خصوصاً على كتاب:العالمية الإسلامية الثانية، لصاحبه (أبو القاسم حاج حمد)، حيث نجد تحليلاً منهجياً متميزاً لمثل هذه «القراءة»].



طه حسين

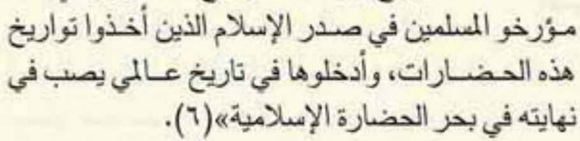
وطبعاً لا تسمح حدود الدراسة هذه بالاستطراد أكثر، وإنما وجبت الإشارة إلى هذه المعاني ما دامت أنها ستؤثر لاحقاً بوجه أو بآخر في مجموع التصورات المعرفية عموماً والتاريخية خصوصاً لدى المسلمين (كما لدى غيرهم).

يكفي أن نسطر تحت واقعة أن النموذج PARADIGME المعرفي السائد في القرون الإسلامية الأولى كان أميل إلى احتذاء نموذج العلم التاريخي.

والقصد أن كل العلوم الناشئة راحت تقيم بناءها على مبدأ الرواية والإسناد ومعرفة الرجال (الرواة) والجرح والتعديل، تعلّق الأمر بالعلوم الدينية المباشرة كالفقه، أو بالعلوم المساعدة كالنحو وعلوم العربية على السواء.

وعلى الجملة فلم يكن الاستدلال، ولكن كانت الذاكرة - ومن ثمة التدوين - هي الضامن للفعل المعرفي والاستمرار الحضاري. ولا أعتقد أن يكون في مثل هذا التأكيد قدح في النشاط المعرفي لدى المسلمين المتقدمين، لأنه - فيما أعتقد - لا غرابة في أن تكون المرحلة الاستدلالية مسبوقة طبيعياً بمرحلة الذاكرة والتدوين لأجل تحقيق تراكم معرفي نوعي ضروري سيولّد من ذاته المرحلة الكيفية الاستدلالية الخصبة. وسيكون على واحد من أعلام الفكر التاريخي والحضاري الإسلامي من شاكلة عبد الرحمن بن خلدون (ت ٨٠٨هـ) أن يجسد العقل التاريخي الاستدلالي في ألمعية نادرة المثيل.

على أن علم التاريخ نفسه ظل يحتفظ على الدوام بقيمته المرجعية ونموذجيته، حتى لقد وجدنا واحداً من القرن التاسع الهجري مثل محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت ٩٠٢هـ) يكتب كتابه «الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ». ولعل التاريخ، وأكثر من أن يكون مجرد نشاط معرفي نخبوي، يمثل بعداً تكوينياً حاسماً في شخصية المؤمن العادي كما يشكلها الإسلام. عموماً، وكما كتب د.طريف الخالدي: «كان الإسلام منذ البدء شديد الاهتمام بالتاريخ، ولعل القرآن الكريم أكثر الكتب السماوية التفاتاً إلى تاريخ من سلف، وتبع القرآن في ذلك مؤرخو المسلمين في صدر الإسلام الذين أخذوا تواريخ هذه الحضارات، وأدخلوها في تاريخ عالمي يصب في نهايته في بحر الحضارة الإسلامية»(٦).



معالم من حاضر المسألة التاريخية في الفكر العربي

إذا كان قدماء المؤرخين قد أعادوا كتابة تواريخ الحضارات، «وأدخلوها في تاريخ عالمي يصب في الحضارة الإسلامية»؛ فلأن العقلية الإسلامية كانت محكومة يومئذ بما قد يسميه بعض الناس اليوم بالأيديولوجية المركزية.

لقد نظر هؤلاء المؤرخون القدماء إلى العالم والتاريخ من خلال نوع من المركزية الحضارية الإسلامية، «كأنما غاب عنهم قوله تعالى: *وتلك الأيام نداولها بين الناس*.آل

عمران ١٤٠». ولعله قد استقر لديهم أن تكون الحضارة التي عايشوها آنذاك هي خاتمة الحضارات و«نهاية التاريخ»، وأنه بعدها - كما توقعوا - لن تقوم لأي حضارة أخرى قائمة! وها هو الذي لم يفكروا فيه قد حصل، وها هي تلك «الحضارة الإسلامية» الزاهرة تغدو أثرا بعد عين و خبرا يروى!.. *لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت*. **البقرة:٢٨٦**، بينما ينغمس العالم كله اليوم في حضارة مخالفة مبدأ وفلسفة وغايات، وتلك هي - ولا شك - الحضارة الغربية(٧).

من نافلة القول ملاحظة أن الحضارة الغربية، وبدافع مركزية حضارية مستجدة هي المركزية الأوربية Euro-centrisme، وبدافع الطموح إلى العالمية والانتشار، راحت إذن تبسط سلطانها الثقافي والعقدي (الأيديولوجي) والسياسي على جميع الرقعة العالمية، ومن ثمة عملت على التقزيم والتأزيم للحضارات المعارضة. ذلك أن النزوع إلى العالمية، واكتساح الثقافات الأخرى المغايرة هما من بعض قوانين الحضارات. وفي هذه الحالة - وتماما - كما كتب الدكتور برهان غليون في «اغتيال العقل»: «بقدر ما تنجح ثقافة في احتلال حقل العالمية تزيح الثقافات الأخرى عن مواقع تأثيرها حتى داخل حدودها القومية، وتعرضها لأزمة عميقة تمس كل الوظائف الحيوية فيها: المطابقة الذاتية أو الهوية، وما يتعلق بها من تحديد مستقر للعلاقة مع التراث والماضي والآخر والإنتاج العقلي معا، وقد تودي بها تماما»(٨).

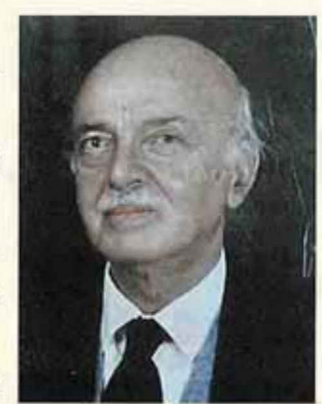
هل نستغرب، والحال هذه، عندما يقوم - مثلاً - رهط من المستشرقين المتعصبين بمهمة التشكيك في القيمة التاريخية لكل إنجاز حضاري إسلامي، وهكذا فإن التاريخ السياسي منه والثقافي والديني قد تعرض لتفسيرات واجتهادات مختلفة»، كما يقول ف.روزنتال في مؤلفه عن «مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي»(٩) حين يستعرض بعض تلك المواقف المشككة. ومثلاً فإن الفيلسوف هيجل في مؤلفه الموسوم بـ«محاضرات عن تاريخ الفلسفة» يصف التاريخ السياسي للعالم الإسلامي بقوله: «إنه مجرد معرض للتغيرات الدائمة»، وبعد مرور ٥٠ سنة نجد المستشرق فون كريمر يتحدث عن الشرق قائلا إن: «ما يبدو على سطح الحياة (أي الإسلامية) يظل هادئا ساكنا كالمرآة إلى أن يتفجر فجأة بشكل براكين من القوة المخربة» وهي طريقة أخرى للقول: إن اللامعقول هو ناموس الحضارة الإسلامية! وبعد أن يستعرض ف.روزنتال آراء استشراقية أخرى يصدر عليها حكمه على أنها من قبيل النظريات الخاطئة التي كانت واسعة الانتشار في عصر سابق... إلخ».

إننا إذا كنا سنشكر لروزنتال، ولغيره من المستشرقين المعتدلين موقفه المعتدل، فلن نتعامى أو نتغاضى عن هذا الواقع العربي والإسلامي المتخاذل الذي نعايشه اليوم والذي يمثل حالة نموذجية للهوان والقزمية والسلبية في كلمة واحدة «الغياب».

تحقق مع الإسلام نوع من انفتاح الإنسان عموما، والإنسان العربي خصوصا، على ماتنطوي عليه ذاته من أبعاد كونية مطلقة مهيبة، وامتدادات تاريخية تتجاوز في عمقها حدود النسب القبلي

ولعل أكبر الغائبين هو «التاريخ» ذاته! وهاك هذه الشكوى الحزينة مما آل إليه حال التاريخ وعلمه عند المحدثين يئن بها الجبرتي في مقدمة كتابه الشهير «عجائب الآثار في التراجم والأخبار» يقول: «...لم تزل الأمم الماضية من حين أوجد الله هذا النوع الإنساني تعتني بتدوينه أي (التاريخ) سلفا عن سلف وخلفا من بعد خلف إلى أن نبذه أهل عصرنا وأغفلوه، وتركوه وأهملوه، وعدوه من شغل البطالين وأساطير الأولين فإن الزمان قد انعكست أحواله وتقلصت ظلاله وانخرمت قواعده في الحساب، فلا تضبط وقائعه في دفتر ولا كتاب»، أرسل الجبرتي هذه الشكوى أوائل القرن التاسع عشر، أما اليوم و نحن نعايش نهاية قرن وبداية آخر، فلا يبدو أن الحال قد اختلف كثيرا عن أيام الجبرتي، هذا على الأقل الانطباع الذي تتركه لدينا «شكوى» أخرى يرسلها أحد أهل الاختصاص وهذه المرة في عام ١٩٨١م:

«إذا كان التاريخ في العالم كله اليوم إشكالية فكرية قائمة، فإن هذه الإشكالية تأخذ في نطاق الفكر العربي المعاصر حدة خاصة؛ لأن التاريخ على الشكل الذي نمارسه في الوقت الحاضر لا يقوم بأي دور ثقافي تكويني إيجابي، يبدو وكأنه فاعلية مجانية زائدة عن الحاجة، لا معنى لها يزيد على معنى المتعة والتسلية وملء ثغرات الفراغ، إنه يكاد يصبح زائدة دودية بين المعارف العلمية انقرضت وظيفتها فهي عمل من لا يجد اختصاصاً آخر ولا هوى له في أدب أو فن أو علم ينفع»(١٠).



عبد العزيز الدوري

ثم يمضي هذا الباحث المختص في حديثه عن «التاريخ» قائلا: إنه «ما يزال في كتلته الكثيفة ماضوياً، يلبس عمامة الطبري، ويستعير أوراق المقريزي، ويروي عن ابن عساكر، ولقد أزعم أكثر من هذا، أن معظم المؤرخين لا يعرفون ما يريدون من الكتابة التاريخية؟ ولا ماذا يكتبون؟ إنهم يمارسون العملية التأريخية دون هدف واضح، ودون فلسفة محددة»(١١).

ومهما يكن من أمر هذه الشكوى وهذا التذمر فإنه لا سبيل إلى إنكار ما قامت به هيئات علمية، وباحثون مخلصون، لأجل النهوض بالممارسة التأريخية. حسبنا أن يكون الوعي بخطورة المسألة وفوريتها متناميًا في العقود الأخيرة. خذ مثلاً مجموعة من الأسئلة التي وجهتها مجلة المعرفة السورية (عدد ٤١ يوليو/ تموز ١٩٦٥م) لعدد من الأساتذة قصد إثارة البحث وتحريك المسألة.

وقد جاءت تلك الأسئلة كما يأتي:

- ما رأيك في المصادر المتوافرة حاليًا عن التاريخ العربي؟
- ما الشوائب التي تحط من قيمة تاريخنا والتي ينبغي التخلص منها؟
- ما قولكم في الرأي الذي يعتقد أن صيغة التاريخ المتوافرة حاليًا تختصر علم تاريخ الملوك فحسب دون الشعب؟
- تجري في بلدان كثيرة محاولات لإعادة كتابة التاريخ وفقًا للتغير المذهبي الذي تناول شكل المجتمع.. أفلا ترون ضرورة ذلك بالنسبة إلى تاريخنا العربي؟
- ما المبادئ التي يمكن أن تعاد بموجبها كتابة التاريخ؟
- في هذه الحالة أتتصورون منهجًا معينًا لهذه العملية ثم كيف يمكن أن تسد مشكلة المصادر؟ .

أعتقد أن هذه الأسئلة لا تحتاج إلى مزيد تعليق. وحتى إذا كانت قد طرحت في منتصف الستينيات، فهي لا تزال تعبر - ولو بمضمون استفهاماتها - عن طبيعة الحاجات والنواقص والآفاق والرؤى التي ما انفكت تعتمل داخل الممارسة التأريخية العربية إلى غاية أيامنا.

خلاصات

هل أحد يستعير ذاكرة الآخرين ليتعرف على ذاته؟!

إحدى المستحيلات أن نكون اليوم غائبين ثم نؤرخ!

التاريخ... لن نصنعه في الأفكار والمصطلحات والتدقيقات

الأرشيفية إذا لم نصنعه عظيمًا في الواقع!

رحم الله الأمير عبد القادر كان يصنع الشعر والتصوف، وكان يصنع...البارود!

المراجع والهوامش

١. دراسات في تاريخ الفكر العربي الإسلامي، طريف الخالدي، دار الطليعة (لبنان)، ١٩٧٩م، ص٣٧.
٢. المسألة التاريخية في الفكر العربي الحديث، وضاح شرارة، معهد الإنماء العربي (لبنان)، ١٩٧٧م، ص٤٣.
٣. من أشهر التأليفات التراثية هنا «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم، وانظر أيضًا الفصل العاشر من «المقدمة» لابن خلدون في اختلاط الأنساب كيف يقع.
٤. أدب التاريخ عند العرب، عفت الشرقاوي، دارالعودة (لبنان)، ب.ت، ص ١٤٢.
٥. بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، عبد العزيز الدوري، دار المشرق (لبنان) ١٩٨٣م، ص١١٨.
٦. الخالدي، مرجع سابق، ص٩.
٧. يقدم أرنولد توينبي A.toynbee معطيات نموذجية بهذا الخصوص ومن وجهة نظر مفكر ومؤرخ غربي في كتابه(Le monde et l'occident)
٨. اغتيال العقل، برهان غليون، موفم للنشر(الجزائر)، ١٩٩٠م ، ص١٣٤.
٩. الترجمة العربية، أنيس فريحة، دار الثقافة (لبنان)،١٩٨٠م.
١٠، ١١ ـ في: المجلة العربية للعلوم الإنسانية ع ٣،م ١ صيف١٩٨١م، جامعة الكويت، ص١٤٢.

القدس الشريف مدينة الله لا مدينة داود

يوسف عز الدين
بريطانيا - سريديجبون

للقدس الشريف مكانة كبيرة لا تدانيها أي مكانة غير المدن المقدسة. إنها القلب الإسلامي والعربي منذ أن عرف العالم الدين الإسلامي، ولن يغير مكانتها في القلوب كرُّ الأيام وتقادم الأزمان والعصور، مهما حاولت الصهيونية بأساليبها الملتوية وطرقها المختلفة السيطرة عليها. فهي منذ ألف وخمسمئة سنة مكان أهلها وموطن سكانها العرب. ولما جاء عمر بن الخطاب كانت في حوزة الرومان، وأخذها منهم القادة العرب، وعقد الخليفة عمر بن الخطاب مع سكانها المعاهدة المعروفة. ولم يكن فيها يهودي واحد، ولم تستطع الفتوحات المتوالية وغزوات الصليبيين أن تغير هويتها على الرغم من غزارة الدماء التي سالت من المسلمين على أرضها. وباءت محاولات الصليبيين البقاء فيها بالخيبة على الرغم من إنشاء دول لهم وحكومات مختلفة على أرضها. إنها ستبقى جزءًا مقدسًا في الفكر الإسلامي والعقل المسيحي، ولن تقدر الصهيونية تغيير طابعها المقدس عند المسلمين والنصارى.

القدس محط أفئدة العالمين الإسلامي والمسيحي، وإن استولى عليها الصهاينة اليوم بسبب تمزق الأمة وتفرق الحكومات العربية. بيد أن الأمة العربية تحس بمرارة وجود الغرباء في أرضها، فكانت المظاهرات والقتال بالحجارة والاستشهاد في سبيلها، وإن المواجهات المستمرة دليل حبها. وإن مكانها عند المسلمين والعرب مازال في القلوب راسخًا، فرخصت دماء الشهداء على أرضها، وواصل الغيارى حملات الجهاد في سبيلها والتضحية من أجلها.

تُردد الصهيونية أن القدس مدينة داود عليه السلام مع أنهم يقولون: إن الرب منعه من بنائها، ووكل البناء إلى ولده



سليمان. «قال داود لسليمان: يا بُني في خاطري أن أبني بيتًا لاسم الرب إلهي، فكان إليَّ كلام الرب قائلاً: قد سفكت دمًا كثيراً، وقمت بحروب كبيرة فلن تبني لاسمي؛ لأنك سفكت دماء كثيرة على الأرض، وها هو ذا ابن يولد لك يكون رجل سلم أسلمه من جميع أعدائه الذين من حوله اسمه سليمان وسأعطي سلاماً وهدوءاً لبني إسرائيل وهو يبني لاسمي بيتًا» (أخبار الأيام الأول ٢٢) ظاظا ٣٩.

وقد ثبت من الحفريات والوثائق التي وجدت في تل العمارنة أن القدس مدينة المسلمين والنصارى، وأن الادعاء بأن الهيكل كان مكان قبة الصخرة والمسجد الأقصى لايؤيده واقع التاريخ؛ لأن حكومة سليمان كانت في مكان آخر، وما كان الهيكل في مكان كنيسة القيامة والمسجد الأقصى، وباءت كل محاولاتهم بالخيبة في إيجاد أثر يؤيد مزاعمهم في الحفريات المتوالية. وفي التوراة والتلمود أن سيدنا إبراهيم عليه السلام كان ضيفًا على ملكها كاهن الله العلي، ففي التوراة سفر التكوين (١٤ ـ ١٨) خير دليل على أنها مدينة الله.

فقد كان ملكها من أهل فلسطين، وهو الذي قدّم الطعام والشراب والنبيذ لإبراهيم، وكان ذلك نحو سنة ١٩٠٠ قبل الميلاد، وقد بارك إبراهيم بقوله: «مبارك إبرام من الله العلي مالك السموات والأرض»، فالقدس كانت مدينة مباركة من قبل أن يأتي إليها داود.

أسلوب الصهاينة

يحاول الصهاينة، باعتمادهم على أمريكا، وتكرار الادعاء أن القدس ستكون عاصمتهم الأبدية، أن يغسلوا الفكر في أمريكا وشعوب العالم بهذا الادعاء. كما حاولوا تخدير العالم العربي والإسلامي بادعائهم أنها مفتوحة لكل الأديان، وبذلك قسموا أنفسهم قسمين: الأول يدعي أن القدس عاصمتهم، والقسم الثاني يقول: إن القدس لكل الأديان.

ولا يتورع هؤلاء الصهاينة في قتل من يقف أمام أطماعهم؛ ففي التاريخ القديم قتلوا النبي يحيى. وفي العصر الحديث قتلوا اللورد موين، والكونت برنادوت؛ لأنهما عارضا أفكارهم ومطامعهم التي تنادي «إن نسيتك يا أورشليم فلتنسني يميني وليلتصق لساني بحنكي إن لم أذكرك. إن لم أرفع أورشليم على قمة ابتهاجي» (المزمور ١٣٧ ـ ٥ ـ ٦) ظاظا ص٩.

قداسة أورشليم على مر العصور

ما كانت القدس يوماً عاصمة لدولة داود على الرغم مما تبذله إسرائيل من دعاية مستمرة وجهود مستميتة. ولا أظنهم سوف يسكتون عن هذا القصد، فقد استمر اليهود ألفي سنة وهم يقولون: إن اللقاء في القدس، وها هم أولاء قد وصلوا إليها. وقد وعد هرتزل بتكوين الدولة بعد خمسين سنة، وبالفعل تحقق له ما أراد، وقد غيروا خططهم بأن أخذوا يبنون المستوطنات، ويأخذون الأرض والبيوت العربية شيئاً فشيئاً، فهم يزحفون بذكاء، ويملكون الأرض بدهاء، وقد حصلوا على الكثير من المستعمرات بصبرهم الطويل. فالقليل المستمر سوف يوصلهم إلى الكثير الذي يرغبون فيه. وهو عمل خير من شنّ الحروب التي لا يعرفون نتائجها، فهم مازالوا يذكرون حرب رمضان يوم ٦ أكتوبر/تشرين الأول عام ١٩٧٣م، حين هاجمهم العرب، وأخذوهم على حين غِرّة، وتهدم سد بارليف وانهزم الجيش الذي كانوا يقولون عنه: إنه الجيش الذي لا يقهر.



صلاح الدين الأيوبي

أورشليم والتاريخ

بقيت القدس ملكاً لأهلها اليبوسيين الكنعانيين قبل ٢٥٠٠ عام قبل الميلاد، ولم يدخلها اليهود، فقد استقر فيها العموريون، وهم أقوام خرجوا من الجزيرة العربية، وكذلك استقرّ فيها الفينيقيون. وأكثر أهل فلسطين منهم وهم الذين أنشؤوا أكثر المدن فيها، وسُميت أرض كنعان. وتوالى على حكمها عدد من الحكومات كالبابليين والآشوريين والسلوقيين والرومان. وكان قد هاجر إليها من العراق النبي إبراهيم زمن الملك الفلسطيني ملكي صادق (الطريق إلى القدس ١٢ ـ ٢٠).

وكان موحداً، وقد دفن إبراهيم في فلسطين وهو الذي رفع القواعد للبيت مع إسماعيل: *وإذ يرفعُ إبراهيمُ القواعد من البيت وإسماعيلُ ربَّنا تقبَّلْ منا إنك أنت السميعُ العليم.* البقرة: ١٢٧.

لقد بقيت القدس ملكاً لأهلها، مدينة مباركة مقدسة لا ينازعهم فيها منازع، وقد سكنها النبي إبراهيم، فقد جاء في «سفر التكوين» (١٤ ـ ١٥) وملكي صادق ملك شاليم (أخرج خبزاً ونبيذاً وكان كاهناً لله العلي مالك السموات والأرض) إنها مقدسة قبل النبي داود، بل قبل النبي إبراهيم. وأكدت اللوحات التي وجدت في تل العمارنة في محافظة أسيوط أن وجودها قبل داود. وهذه اللوحات مكتوبة بلغة أهل العراق القديمة، وعليها شروح بلغة أهل فلسطين الكنعانية، وتعود إلى أعوام (١٤١١ ـ ١٣٧٧) قبل الميلاد، وكان اسمها (أورسالم) أي مدينة السلام، وكانت تابعة لحكم فراعنة مصر. أما اليهود فقد كانوا قبائل متنقلة بدوية مثل الغجر، وجاء ذلك على لسان حاكم القدس الذي استنجد بفرعون مصر بقوله: إن الغجر (خبيرو) أو (عبيروا) يهاجمون أورسالم. وهذا الاسم جاء في النقوش التي قرئت في زمن سنحاريب قبل القرن السابع قبل الميلاد. وسميت (أورسليمو)، وباللغة المصرية القديمة (أوشاليم) والاسم الذي أطلقها عليها الرومان هو (سوليما). وورد اسمها في سفر يشوع، وفي سفر صموئيل الثاني، وفي سفر أشعيا باسم (أوريشل)، وبذلك فهي لم ترد في هذه النصوص باسم مدينة داود إنما مدينة الرب، أو مدينة الله، وذلك برهان على أن المدينة كانت موجودة قبل العبرانيين، ولعل إشارة هيرودوت لها باسم (قديش) دليل على أنها ليست عبرانية. ولابد أن اسم القدس جاء من هذه اللفظة.

إنها مدينة السلام؛ سميت باسم الإله (سلام) قبل أن يعرفها اليهود؛ وسلام اسم إله وثني كان عند أهل فلسطين، وادّعاء اليهود أن سام بن نوح سماها (شالم) ليس له سند تاريخي، ولم تذكر صفحات التاريخ هذا الاسم، ولم يرد في أي نص تاريخي موثق أنها من تسمية سام بن نوح.

وكما ذكرنا أن «سفر التكوين» ذكر حلول النبي إبراهيم على ملكها اعتماداً على ما جاء في اكتشافات تل العمارنة، وأنها كانت موجودة قبل داود وسليمان.

وقد وقف أهلها اليبوسيون ضد محاولات يوشع بن نون خليفة موسى بقوة، ولم يقدر على إخضاعها، وإخراج أهلها منها (يوشع ٦٣/١٥)، ولكنهم دخلوها بعد ذلك إلا أنها

بقيت تحت سيطرة أهلها (سفر القضاة ١٩) دون أن يناموا فيها.

فقد جاء في (سفر القضاة ١٩) في قصة رويت أن يهودياً أراد أن ينام في (يبوس) بعد أن مالت الشمس للمغيب «قال الغلام لسيده تعال نميل إلى مدينة اليبوسيين هذه ونبيت فيها. فقال له سيده: لا نميل إلى مدينة غريبة حيث لا أحد من بني إسرائيل هنا» (ظاظا ١٦). فكيف تكون مدينة يهودية؟ وهذا برهان ساطع على أنهم لم يسكنوها، وأن أهل يبوس قوم غرباء عن اليهود، ويخاف اليهود أن يبيتوا فيها، ولو كان فيها يهود لناموا فيها.

النبي داود

وقد بقيت القدس بعيدة عن سيطرة النبي داود حتى السنة الثامنة من حكمه، لأن عشائره كانت بدوية تهيم في صحراء النقب في جنوب فلسطين، ولما انتقل إلى الشمال ذهب الإسرائيليون معه، وفي هذه المرحلة توّج نبي بني إسرائيل (صموئيل) (شاؤول) أول ملك على كل اليهود.. والحق (داود) ببلاط (شاؤول)، وكانت الحرب سجالاً بينه وبين أهل البلاد، ولم يقدر، مع محاولاته المتكررة، على الانتصار، بل مُني بهزائم متعددة، وأدت به خيبته إلى الانتحار همّاً وكمداً. فأخذ داود مكانه في الحكم، وهو من أسباط يهودا. فتسمى العبرانيون باليهود. أراد داود أن يسكن في مكان حصين ومتوسط، فوجد في يبوس غرضه؛ لأنها قريبة من مسكنه، وهي وعرة المسالك، فاستولى على جبل صهيون، واتخذه قاعدة لحكمه. فلا عجب أن ضخم الإسرائيليون هذا الحدث، وانتسب إليهم المتشددون، وخلقوا حوله الأساطير، وجعلوه شعاراً لهم، واسماً لحركتهم السياسية والدينية.

ثم بدأ داود يضايق أهل البلاد ليتركوا أرضهم، وبدأ يستولي عليها شيئاً فشيئاً حتى لم تبق غير الهضبة لأهلها. وكان أهل فلسطين ميالين إلى المسالمة، وقد حصّن ما استولى عليه في الأرض، وكان مكان القبة قبة الصخرة

لا يتورع الصهاينة في قتل من يقف أمام أطماعهم؛ ففي التاريخ القديم قتلوا النبي يحيى، وفي العصر الحديث قتلوا اللورد موين والكونت برنادوت؛ لأنهما عارضا أفكارهم ومطامعهم



السلطان عبد الحميد

والمسجد الأقصى ملكاً لأهل يبوس، وكان مكاناً للماشية، فاشترى المكان داود وما فيه من المواشي، ولهذا اختلق اليهود الأقاصيص والأساطير عن الصخرة حتى جاء في التلمود البابلي «أن الصخرة هي أصل خلق الأرض، وأن صهيون هو سرة العلم، وهو كامل الجمال والبهاء» (يوما ٥٤)، وأن النبي يعقوب نام عليها، مع أن التاريخ يقول: إنه نام في (بيت إيل) قرب نابلس لزيارة قدسية الصخرة؛ ومن يقرأ التلمود يجد الفرق، قال: إنها ترتفع عن الأرض ثلاث أصابع (يوما ١٥ ـ ٤٥)، والواقع أنها ترتفع عن الأرض بنحو المتر. فإذن هي ليست هذه الصخرة، ولا نعرف أية صخرة يريد اليهود، وقد شك الباحث الألماني شيك في الأمر، وقال: إن الصخرة الحالية ربما كانت ركيزة للقرابيين، ولم تكن يوماً داخلة ضمن قدس الأقداس (ظاظا ٢٠)، فهي ليست الصخرة التي يدعي اليهود أنها حجر الأساس للهيكل دون دليل علمي أو برهان تاريخي، وكيف تبقى صخرة واحدة في الهيكل، وقد دمرت القدس عدة مرات من بختنصر وأنطيوخوس وتيتوس، وأخيراً دمرها الصليبيون تدميراً كاملاً. وفي أساطير اليهود قولهم: «إن الله جلّت قدرته بكى عندما هدم الهيكل حتى صغر حجمه من سبع سموات إلى أربع سموات، وإن الزلازل والأعاصير هي من دموع الإله تسير نحو البحر ندماً على خراب الهيكل» «الطريق للقدس، محمد محمد صالح ص١٢».

مدينة الله

أراد سليمان أن يبني عاصمة له تضاهي العواصم المعاصرة، فبنى الهيكل الذي حوله اليهود إلى أسطورة في الفخامة والجمال والإبداع الفني، مع أن الكاتب اليهودي لويس براون في كتابه «حياة اليهود» قال: «إن سليمان بنى في أورشليم قصره، الذي ظهر في عيون اليهود السذج من رعيته أن المدينة فخمة، مع أنها لو قورنت بالقصور الهائلة في مصر أو بابل أو الهند لبدت ضئيلة الحجم» (ص٢٥).

أما المعبد فكان أقل أهمية من القصر، فهو مقصورة دينية في البلاط قال عنه لويس براون: «إن أصغر معبد في أمريكا الآن، وكثيراً من الكنائس أكبر منه، وحتى كنائس الريف هي أكبر منه حجماً»(٢٦).

تخريب أورشليم

قلنا: إن القدس دمرت وخربت في عدد من الغزوات: كالجيش المصري (٩٧٠ ق.م)، والأودميين في الأردن، بل من اليهود أنفسهم الذين كانوا في مملكة الشمال، فقد هاجم ملك إسرائيل ملك أورشليم ويهودا، وهدم أسوارها، وأخذ ما في الهيكل من الذهب والفضة والأواني، ونهب القصر، وأخذ بعض الأسرى، وعاد إلى السامرة. (الملوك الثاني ١٤ - ١٦). وكانت أورشليم هدفاً للغزاة، ومما يذكره لنا التاريخ ما صنعه بختنصر عندما وجد العبرانيين سداً دون هدفه للوصول إلى مصر، فقد هاجم القدس، واستولى عليها، وأخذ عدداً كبيراً من أهلها أسرى إلى بابل، وفي بابل كتبوا التوراة والتلمود حسب هواهم مستفيدين من الأساطير البابلية، ولم يعودوا إلا بعد انتصار كورش، فأنشؤوا دولة بحماية الفرس، وأعادوا بناء الهيكل، ولهذا نراهم قد شاركوا في الاحتفال الذي أقامه محمد رضا شاه.

احتل الإسكندر المقدوني فلسطين عام ٣٣٠ق.م فدخلت القدس تحت حكمه، ثم احتلها بطليموس عام ٣١٠ق.م، واستمرت تحت حكم الرومان الذين كانوا لا يأمنون دسائس اليهود، فخرب تيتوس القدس عام ٧٠م، وأجلى اليهود عنها، وهذا ما يعرف بالسبي الثاني، واستمر منع اليهود من دخول القدس حتى الفتح الإسلامي، وسماح المسلمين لهم بدخولها.

تغيير اسم أورشليم

قام اليهود عام ١٣٦م بثورة ضد الرومان، فانتصر الرومان عليهم بقيادة بيلوس هدريان، وهدم كل ما فيها، وأقام مكان الهيكل معبداً لجوبيتر كبير آلهة الرومان، وغير

بقيت القدس ملكًا لأهلها اليبوسيين الكنعانيين قبل ٢٥٠٠ عام قبل الميلاد، ولم يدخلها اليهود، فقد استقر فيها العموريون، وهم أقوام خرجوا من الجزيرة العربية، وكذلك استقرّ فيها الفينيقيون



هرتزل

اسمها باسم إيليا (كابتوليتا)، ومنع اليهود من دخولها غير يوم واحد من السنة.

حائط المبكى

يتركز ادعاء اليهود في أن حائط المبكى جزء من هيكل سليمان، إلا أن علماء الآثار، وسطور التاريخ، ونوع الحجارة، وأسلوب البناء كلها تدل على خطأ هذا الادعاء، وأن القدس التي سماها الرومان (إيليا كابيتولينا) ليست مدينة داود، إنما هي مدينة الله؛ فقد قام الآثايون اليهود بعد حرب حزيران/ يونيو عام ١٩٦٧م بالحفر والتنقيب، ولكنهم لم يجدوا الدليل على زعمهم، ولذلك سكتوا دون أن يعلنوا أنباء نتائج حفرهم وتنقيبهم، ولو وجدوا شيئًا لملؤوا الدنيا بالضجيج.

لما دخلها المسلمون في خلافة عمر بن الخطاب، طلب النصارى منه منع اليهود من دخول القدس، ولكنه عدّهم من أهل الكتاب، لهذا لم يسكن اليهود فيها حتى زمن عبدالملك بن مروان الذي بنى قبة الصخرة والمسجد الجامع عام ٦٨٨م، وجاء الصليبيون، وأبادوا المسلمين واليهود حتى جاء صلاح الدين الأيوبي، وعاملهم بالحسنى، وسمح لهم بدخولها.

وعني العثمانيون بالقدس عناية كبيرة، وعينوا بعض أعيانها في دوائر الدولة العلية لمكانتها في قلوبهم. ولما جاءت جمعية الاتحاد والترقي إلى الحكم، وعزلت السلطان عبدالحميد بدأت هجرة اليهود بمؤامرة من الماسونية واليهودية؛ لأنه رفض طلب هرتزل بإدخال اليهود إلى فلسطين وإعطائهم وطنًا قوميًا، ونكاية به أرسلوا رسالة عزله مع وفد فيه اليهودي قره صو، وقد قال السفير البريطاني: «إن الاتحاد والترقي تبدو في شكلها الداخلي تحالفًا يهودياً تركيا مزدوجًا، وإن اليهود يعملون على السيطرة الاقتصادية والصناعية على تركيا». «ملف وثائق فلسطيني جـ١ ١٤ ص١٥٥عن محمد محسن صالح ص ١٦٨». واستمر بعد ذلك دخول اليهود إلى فلسطين بعد عزل عبدالحميد وبداية حكم جمعية الاتحاد والترقي.

الخلاصة

هذا مرور سريع أو تذكير مركّز عن فلسطين وعن القدس، وفيه دلالة واضحة أن فلسطين منذ بدايتها ما كانت للعبرانيين، وأن سكانها كانوا من الجزيرة العربية باختلاف أسماء القبائل والهجرات التاريخية، ويدلّ ذلك بوضوح وصراحة على أن ادعاء إسرائيل بها كله باطل في باطل، وليس لهم سند تاريخي، أو برهان علمي، أو نص آثاري يؤيدهم بعد أن بذلوا كل ما عندهم من طاقة لإثبات ذلك، وأن علماء من اليهود أنفسهم لم يؤيدوا هذا الحق. أما القدس فلا يختلف وضعها عن فلسطين فهي على مر التاريخ:

ـ لم تكن مدينة داود، فقد منعه الرب، كما قالوا، أن يبني المدينة لكثرة ما سفك من الدماء، وكانت دائمًا ملك أهلها، وكانت مقدسة من أهلها عندما كانوا يعبدون الوثن، وسميت باسم الوثن سالم أو سلام، وقد خُرِبت عدة مرات، وسُبي اليهود. وقد سكنها اليهود مدة قصيرة، وكانت مقدسة قبل الميلاد وبعد الميلاد، وظهرت عليها البركة عندما سكنها النبي إبراهيم عليه السلام لما استضافه ملكها (ملكي صادق) Malchizedek، وقدم له الخبز والطعام والنبيذ والبركة من العلي القدير، وما كان حكم داود وسليمان غير ثلاث وسبعين سنة حكم داود منها ٢٣ سنة، وكانت مركزًا أو عاصمة لدولتهم، ولم تلبث هذه الدولة أن انقسمت قسمين، كانت القدس في قسم وكانت الدولة بعيدة عنها في القسم الثاني، ولم تزد فترة هذا الحكم على ما ذكرنا على ثلاث وسبعين سنة، ولما مات سليمان تقلصت سلطة القدس؛ لأن دولة الشمال لا تعترف بداود ولا سليمان ملكًا لا في الديانة ولا في الحكم، وفي أكثر السنين كانت سلطة اليهود رمزية، ولما فتحها المسلمون كانت خالية من اليهود منذ أكثر من خمسة قرون، إذ حرّم الرومان عليهم دخولها، وقد بقيت تحت إدارة المسلمين مفتوحة لعبادة جميع الأديان، وقد كانت قبل داود بألف وخمسمئة سنة قبل أن يدخلها اليهود مقدسة، وحتى داود كان يسميها مدينة الله، وذكرها التلمود باسم مدينة الله، ولكن اليهود يصرون ويلحون على اسمها الذي اخترعوه، لكي يداعبوا عواطف اليهود البسطاء، ويغسلوا عقول الشعب الأمريكي والشعوب الغربية بالتكرار في إعلامهم القوي المستمر.

يتركز ادعاء اليهود في أن حائط المبكى جزء من هيكل سليمان، إلا أن علماء الآثار، وسطور التاريخ، ونوع الحجارة، وأسلوب البناء كلها تدل على خطأ هذا الادعاء



حسن ظاظا

الهيكل

إن جميع المحاولات الأخيرة التي قام بها اليهود من حفر وتنقيب تحت القبة والمسجد باءت بالخيبة، ومع ذلك فإنهم يصرون على زعمهم أن الهيكل كان موجودًا تحت قبة الصخرة والمسجد الأقصى، فأثاروا الأساطير، وخلقوا للناس ما في خيالهم من صور، ولكن خبراء اليهود بالتاريخ والآثار ينكرون زعمهم، وقد ذكرنا أن الرب منع داود من بناء الهيكل، وتركه لابنه سليمان (صموئيل الثاني ٧)؛ لأنه سيكون إنسانًا مسالمًا عندما قال: «سأعطي سلامًا وهدوءًا لبني إسرائيل في أيامه، وهو الذي سيبني»، وقد أورد الزميل الدكتور حسن ظاظا ـ رحمه الله ـ أشياء كثيرة مفصلة في كتابه «القدس» (ص ٤٠ ـ ٤٤).

القدس والهيكل

إن جميع المحاولات التي قام بها اليهود لإثبات أن الهيكل في مكان المسجد الأقصى والقبة باءت بالخيبة، وقد ثبت عند علماء الآثار ذلك بصراحة ووضوح عند البحث في الفن اليهودي؛ فقد قال الآثاري الفرنسي في كتابه «تاريخ الفن اليهودي»: إن الهيكل الذي بناه سليمان كان في داخل سور يحيط بكل جبل الهيكل، ودليله أن الهيكل الذي بناه اليهود كان في المكان نفسه، وبذلك تكون مساحة ما يحيط به السور نحو ثمانية أفدنة. وقاس الآثاري الفرنسي بنفسه المكان بين هيكل سليمان والحرم الشريف فوجد أن مساحة الحرم الشريف أكبر بكثير من ضعف مساحة هيكل سليمان داخل السور، وأن الحرم الشريف مستطيل واتجاهه من الغرب إلى الشرق (نحو الشمس)، وبذلك فالادعاء لا يقوم على برهان بأن الحرم يقوم تمامًا على ما كان يسمى سابقًا

هيكل سليمان، حتى ولو سلمنا أن الهيكل كان في هذا الركن بالذات من الجبل (٤٣). ويؤكد التاريخ أن الهيكل قد خربه ومحاه بختنصر في القرن السادس قبل الميلاد. كما أن الهيكل الذي بناه اليهود بعد عودتهم من السبي انتهى بالدمار التام على يد الروماني تيتوس، ويؤكد ذلك يوسفوس بقوله: «كان تيتوس كلما وجد الجنود قد فرغوا من قتل جميع الناس في المنطقة التي يسيطرون عليها أمرهم أن يخربوا أورشليم ومعبدها، وأن يقلبوها ظهرًا على عقب» (حرب اليهود ج ٥ ف ٤ فقرة ٣). وأهم من كل شيء أن صخرة المعراج النبوي تختلف عن الصخرة التي وصفت عندهم حجمًا وارتفاعًا، وباءت جميع محاولات اليهود برسم صورة ومخطط هندسي دقيق فلم يفلح حتى المهندس اليهودي أيزنشتاين.

الكلمة الأخيرة

أقول هذه الكلمة التي لا أريد أن أقولها، ولكني أسجلها للتاريخ: إن أخشى ما أخشاه هو أن تفرق العرب واختلاف المسلمين سوف يتيح لليهود الحصول على ما يريدون، وهم المعروفون بعنادهم ومواصلة العمل في سبيل أهدافهم، ونحن واقفون نتفرج، وتكثر بيننا الاختلافات التي تساعد اليهود على الحصول على أمانيهم.

إن القدس دمرت تدميرًا كاملاً عدة مرات، وحكمها الرومان حكمًا جائرًا منذ السنة السادسة الميلادية، وفي عهد الرومان حدثت حادثة السيد المسيح عليه السلام، بعد أن هاجمه اليهود، وناصبوه العداء. ويذكر التاريخ أنه لما جاء عيد الفصح سنة ٣٠م ذهب المسيح إلى أورشليم وزار الهيكل واستنكر وجود الصيارفة والباعة فيه، ولم يرض أن يكون سوقًا للبيع والشراء، فقلب موائد الصيارفة، وكراسي الباعة (باعة الحمام) وقال لهم: «مكتوب أن بيتي بيت الصلاة، وأنتم جعلتموه مغارة لصوص» (إنجيل متى ٢١ (١٢ - ١٣)، فهو بيت الصلاة لا بيت داود، وذكر إنجيل لوقا إصرار اليهود على قتله على الرغم من ممانعة الحاكم الروماني؛ لأنه لم يجد عليه جرمًا يستحق القتل (محسن محمد صالح ٣٩ - ٤٠)، فثار اليهود وقالوا اصلبه وعلينا وعلى أولادنا دمه. ولما كان المسيح عبرانيًا وافق كارهًا على صلبه: *وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم.* **النساء**:١٥٧.

الثابت أن سكان فلسطين جاء أكثرهم من جزيرة العرب وأن العرب والمسلمين أولى بالقدس؛ لأنهم أقدم من اليهود، وأكثر إقامة منهم، ذلك لأن حكم بني إسرائيل كان قصيرًا بالنسبة إلى عمر وجود العرب والمسلمين فيها، وبقي اليهود بعيدًا عنها أكثر من تسعة عشر قرنًا. وقد قال إيج جي ولز: «كانت حياة العبرانيين في فلسطين تشبه حياة رجل يصر على الإقامة وسط طريق مزدحم، فتدوسه الحافلات والشاحنات باستمرار، إذ لم تستمر حكومتهم طويلاً؛ إنها حدث طارئ في تاريخ مصر وسورية وآشور وفينيقية، وهو تاريخ أعظم من تاريخهم» (٤٣ محمد محسن محمد صالح). وقال كوستاف لوبون: «وبقي بنو إسرائيل حتى في عهد ملوكهم بدوًا أفاقين مُغيرين سفّاكين مندفعين إلى الخصام الوحشي، ومزاجهم النفسي على الدوام قريب جدًا من حال أشد الشعوب بدائية»، وقال: «إنهم كانوا سذجًا حفاة كالوحوش أو كالأطفال، ولا تجد شعبًا عطل من الذوق الفني كما عطل اليهود»(٤٤)، وقال: «إن تاريخ اليهود من ضروب الحضارة صفر».

ما كانت القدس يومًا عاصمة لدولة داود على الرغم مما تبذله إسرائيل من دعاية مستمرة وجهود مستميتة

أقولها بصراحة: إن إسرائيل وأمريكا لن تعطيا العرب حقهم في الأماكن المقدسة مادامت إسرائيل ترى أن دولتها تمتد من الفرات إلى النيل، وأن تكون القدس عاصمتها. وإن اختلاف العرب والمسلمين هو السبب القوي الذي يدفعهم إلى هذا القصد على الرغم من الدماء التي سالت، وسوف تسيل من الشهداء، وعلى الرغم من اعتقادهم أن إسرائيل لابد أن تزول. إنهم يريدون إطالة عمر دولتهم، وساعدهم الغرب وأمريكا على ذلك خوفًا من وحدة الأمة العربية والدين الإسلامي، وإن السلام الذي يريدونه بأساليبهم وطرقهم لن ينهي الصراع بين إسرائيل والعرب والمسلمين؛ لأنهم مازالوا على رأيهم؛ فقد قال إسحاق رابين في إذاعة عبرانية في ٢٥ أكتوبر/تشرين الأول عام ١٩٩٢م: «إن قوة جيش الدفاع الإسرائيلي هي أكبر ضمان لاستمرار عملية السلام في المنطقة»، فهل من يريد السلام يعتمد على الجيش؟ أخيرًا الحق للقوة، والعاجز يبحث عن شهود.



إبراهيم السامرائي*
عمان - الأردن

كنا نذهب فيما خرج عن بناء الكلمة، وتجاوز حد المألوف من تركيب الجمل، إلى القول بالخطأ، وقد كثرت هذه الأقوال التي قصد أصحابها إلى التصحيح، ولعلهم تجاوزوا حدّ الصواب. لقد خيل لهؤلاء أن الكثير من وجوه القول في عصرنا داخل في حيِّز الخطأ، ولو أنهم استوفوا شيئًا من الاستقرار في كتبنا ومصادرنا لعدلوا عن هذا(١).

ثم إنه جدّ في عصرنا كثير من الكلم الجديد ومثله في المجازات الجديدة، وقد اضطر القائلون بهذا بسبب أنهم ملزمون عليه، مضطرّون إلى الأخذ به، لأنهم ينقلونه مما يكتب في اللغات الأعجمية.

لقد بدأ هذا الجديد يشيع في الصحف والمجلات، ثم تجاوز ذلك إلى الكتب العلمية ولاسيما في الاختصاصات الاجتماعية. ثم تجاوز ذلك إلى اللغة الأدبية الحديثة. وأنت لا تفي حاجة إن اقتصرت على جعل هذا الجديد الوافد في حيِّز الخطأ، ذلك أنه عامّ شائع. وقد وجد سبيله إلى مواطن ما كان لها أن تشقى به، فقد تسمع بعض خطباء المساجد يديرون في خطبهم شيئًا من هذا الجديد الوافد.

لقد كان لي أن سمعت من هذا قول بعض هؤلاء في موعظة دينية قوله: «كان ذلك الأمر الرقم الفريد في المعادلة الصعبة»، وقول آخر: «إن القواسم المشتركة بين الآراء في الأمر هي كذا وكذا...».

أقول: ليس لي أن أبعد هذه الصيغ من هذه اللغة الجديدة، فشيوعها ودورانها في مختلف السياقات والظروف يعطيانها القوّة.

ومن هنا ليس لي إلا أن أثبت مادة الجديد التي باتت كثيرة، وتكثر كل يوم.

إن البلدان العربية القريبة من البلدان الغربية بصلاتها قد عرف أهلها هذا الجديد فصار عربية إقليمية، وهذه تجد سبيلها إلى بلدان أخرى.

شيء من صحافة المغرب

وسأتي على شيء من عربية أهل الشمال الإفريقي التي عرفها غيرهم من عرب المشرق، وأبدأ بما كان لي، وهو قليل من كثير، في القطر المغربي.

لقد قرأت في صحف هذا البلد عربية خاصة،

وخصوصيتها تتأتى من تأثرها الواضح بما هو أعجمي فرنسي. ثم إنها ضعيفة من حيث إن المحرر للصحف لا يعرف العربية معرفة كافية. وسأعرض هاتين المسألتين في هذا الموجز فأقول: مما قرأت في الصحف التي حفلت بكلم غريب، لعله من فرنسية أسيء أخذها، فأعطيت دلالة خاصة قول المحرر: «عودة إلى موضوع» ماذا بعد إحصاء إسكان «الكريانات»!!.

لا تدري ما «الكريانات» هذه؟ أهي من الفرنسية Car-riere أم شيء آخر؟ ولإيضاح الكلمة أسوق شيئا في الصحيفة نفسها:

«فإن الترجيحات والتكهنات والآراء المسبقة تبقى هي السائدة، وأهم ما يستأثر باهتمام سكان «كرياني» الحائط وسوق السلام هو كيفية مواجهتهم لنفقات بناء مساكنهم الخشبية بعد ترحيلهم.

أقول: يبدو أن «الكريان» هو مجموعة مساكن يقيمها أصحابها من الخشب، وكأنها مؤقتة خاصة بأصحاب الأعمال الصغيرة كالباعة أو غيرهم.

وأنت القارئ غير المغربي لا تعرف فحوى الخبر لجهلك لمعنى «الكريانات».

أما الآراء «المسبَقة» فأنت تجدها في لغة الصحافة العربية في كل مكان، ذلك أن الوصف «مسبَق ومسبَقة» بناء جديد، فلا نعرف في العربية صيغة المضاعف من «سبق».

ومن هذه المواد الأعجمية ما قرأته:

«فوجئ سكان حي السواني في الأيام الأخيرة بارتفاع مهول في فاتورات «استهلاك الماء».

أقول: «الفاتورات» جمع فاتورة، كلمة أخذت من اللغة الإيطالية وتفيد «الأوراق» التي تخص أثمان المواد المشتراة، وما يدعى ورقة استحصال أثمان ما ينفق من الماء والكهرباء في البيوت والمحلات العامة الأخرى، والأوراق التي يثبت فيها مبلغ الضرائب المستحقة على الباعة وأصحاب المصالح ونحو هذا.

أقول: وكان فينا غنى عن استعمال هذه «الفاتورات»، وفي العربية ما يستطيع ذوو الحاجات أن يأخذوه ويستعملوه بديلاً عن هذه الكلمة الأعجمية.

قد يقال: إن «الفاتورات» أو «الفواتير» قد يصادفها القارئ في غير الصحف المغربية، وهذا لا يكون سبباً في إشاعة استعمالها.

ومن هذه المواد الأعجمية ما قرأته في إحدى هذه الصحف:

«إقامة «البراريك» في الحدائق يشوّه هذه الحدائق».

أقول: «إن البراريك» من غير شك كلمة مجموعة لمفرد أجنبي فرنسي لا أتبينه. وليس هذا شيئاً لابد منه لاستعارته في هذه اللغة الصحفية.

ومن هذه المواد ما قرأت وهو «كروتا كارت»........

أقول: ولابد أن يكون هذا يعني ضرباً من «بطاقة» تبرز لغرض من الأغراض. ومن هذا ما كان لي أن قرأته وهو: «أراض وفلل للبيع»، وكأن كلمة «فلل» مما عرّبه المغاربة وكذلك المصريون وهي جمع «فلاّ» Villa وتعني الدار المحاطة بحديقة صغيرة.

> خصوصية صحافة المغرب تتأتى من تأثرها الواضح بما هو أعجمي فرنسي، واستعمالها بعض المصادر التي لم تعرف في العربية على نحو كثير

ومن هذا استعمال «التلفزة» في ديار المغرب عامة، ويراد بها جهاز «التلفزيون»، ولا أدري كيف وصلوا إلى هذا؟ إن صيغة «التلفزة» شبيهة بالمصدر، وقد تؤدي المعنى المصدري وهو البث بهذا «الجهاز» أو نقل الخبر أو الصورة عن طريق هذا «الجهاز».

ومن هذا استعمالهم «ورشة» بمعنى «مشغل» أي مكان عمل أو إصلاح أجهزة أو «صنع بعض الحاجات المنزلية» أو غيرها. والكلمة إيطالية، ويجمعونها على «أوراش»، وقد قرأت: «ورشة لتعليم اللغة العربية» وكأن هذه الورشة معهد صغير يشتمل على «مختبر لغوي» بأجهزته السمعية البصرية ونحو هذا.

ومن هذا استعمال أسماء الشهور الأعجمية التي عالجوها بشيء من «التغريب» ليجعلوها مغربية أو جزائرية أو تونسية نحو: «يوليوز»، وهو الشهر السابع، وهو في «تموز» من أسماء الشهور الشرقية



العامية الدارجة لرجل الشارع تنتقل إلى الصحافة، والصورة لجانب من أحد الأسواق في المغرب

التي استعملها العرب مستعارة من مواد بابلية أو غيرها. و«غشت» وهو الشهر الثامن، وهو «آب» من أسماء الشهور الشرقية. و«شتنبر» وهو الشهر التاسع، وهو «أيلول». و«دجنبر» وهو الشهر الثاني عشر، وهو «كانون الأول».

ومثل هذا سائر الأشهر الأخرى الباقية.

ومن التأثر بالفرنسية تجد أن اسم المرض المعروف بـ «نقص المناعة» وهو «الإيدز» في الصحافة الغربية الإنجليزية والأمريكية، وقد شاع هذا في أكثر لغات العالم، هو «السيدا» في الصحف الفرنسية، وهذا إعراب فرنسي، والكلمة في صورتيها آتية من جمع الأحرف الأولى للكلمات المؤلفة لهذا المصطلح العلمي الذي ترجمناه بـ «نقص المناعة» غير أن ترتيب هذه الكلمات في الإنجليزية على عكس الأمر في الفرنسية، فكان «الايدز»، وكان «السيدا».

ومثل هذا كثير بين الفرنسية والإنجليزية، ومنه حزب «الناتو» لدى الأمريكيين والإنجليز وهو «الأوتان» لدى الفرنسيين.

هذا مجمل ما وقفت عليه في صحف قرأتها خلال إقامة قصيرة في مدينة الدار البيضاء.

فساد التركيب

ثم أتحول إلى شيء آخر يتصف بالخطأ وفساد التركيب واستعمال كلمات لا تفي بالغرض.

وقرأت من هذا قول أحدهم:

«جرت مبارة» وهو يريد «مباراة».

قد تقول: وكيف حدث هذا الغلط، والجواب أن القائل حسب «مباراة» جمعاً كسائر الجموع بالألف والتاء مثل زهرات وفاطمات وغيرهما، ولم ينظر إلى التاء المعقودة، ولما كان له هذا التصور أخذ المفرد منه فقال: «مبارة»!!

وقرأت:

«يتقدّم فلان بأحرّ التشكّرات للذين واسوه...».

أقول: و«التشكرات» جمع «تشكُّر» وهو مصدر للفعل

«تشكُّر»، ولكنه غير معروف استعماله في العربية.

إن الأبنية في العربية مرهونة بالسماع، فلم يسمع في «شكر» المزيد على «تفعَّل»، وقد يكون لي أن أقول: هذا من ألفاظ العربية التي استعارها غير العرب فوصلوا إلى هذا البناء الذي لم يُعرف ولا استُعمِل.

ثم إن جمع المصدر سماعي، وهذا السماع يكون حين يتحول المصدر إلى اسم، ومن هذا النزاعات والخصومات والفتوحات والنزالات وغيرها، قال تعالى: *فيهن خَيراتٌ حسان*. الرحمن:٧٠.

وقرأت أيضاً:

«وحدث في الإبّان كذا وكذا».

أقول: «الإبّان» بتشديد الباء بمعنى الحين أو الوقت.

غير أن هذا الظرف لم يسمع معرّفًا في استعمال المعربين، يقال مثلاً: حدث ذلك إبان قدوم السيد الرئيس.

أقول: وتعريف «إبّان» ليس من الخطأ، ولكنه استعمال مغربي أو إفريقي خاص.

وقرأت أيضاً:

«توقيف الأشغال بالسدود».

أقول: المصدر «توقيف» ليس من الخطأ، ولكن الذي جرى به الاستعمال هو «إيقاف» وبناء «أفعَلَ» أكثر ورودًا في العربية من المضاعف المزيد وهو «وقَّف» واستقراء لغة التنزيل العزيز يثبت هذا الذي ذهبت إليه. ثم إن «للتوقيف» دلالة غير «الإيقاف». ولكن هذا الفعل المزيد بالتضعيف ومصدره قد كثر في العربية المعاصرة، فالتصليح أكثر استعمالاً من «الإصلاح»، وربما اختص ماورد على «أفعل» بدلالة خاصة غير دلالة ماورد على «فعّل»، فالإكرام غير التكريم، والإثبات غير التثبيت.

وقد يكون من هذه اللغة الصحفية ما ابتعد عن الدلالة الصحيحة، ومن ذلك قولهم: «تم قفل الوكالة البريدية».

أقول: و«القَفْل» لا يعني الإقفال أي الإغلاق. يقال: قَفَلَ راجعًا قَفْلاً وقفولاً، ومن هذا لفظ «القافلة» للجماعة الراجعين ليس غير.

ومن هذه الاستعمالات التي جنحوا بها عن الصواب ما قرأته:

«نجد البلدان السبعة يحتلون المراكز السبعة في العالم».

وكان الصواب أن يقال: «البلدان السبعة تحتلّ المراكز السبعة...».

وليس لي أن أتأوّل فأقول: أرادوا أهل البلدان السبعة....

لأن هذا القصد إلى تحرّي الصواب ليس مما ذهبوا إليه، وأين هذا من قوله تعالى: *واسأل القرية التي كنا فيها*. يوسف:٨٢. والمراد أهل القرية.

من الغريب الجديد استعمال الجمع الذي لم يشتهر استعماله ومنه: «المؤسسة العامة للأبناك»!! والجمع صحيح، وهو نظير «نهر وأنهار» إلاّ أن هذا الجمع لم يعرفه المعربون فقد ذهبوا إلى «بُنوك»

وهذا التأويل في عبارة الصحيفة غير وارد لأن العاملين في الصحف أهل عامية دارجة يرون أن استعمال «الحاجيّات» كلام فصيح، وكأن «الحاجات» من الخطأ.

أقول: وكثير من هذا الذي يثبت في هذه الصحف المغربية قد أبى إلا أن يكون أعجميًا، وإلا كيف لك أن تسيغ قولهم:

إن «الدار البيضاء» أحسن المدن «الثالث عالمية»!!

بخٍ بخٍ لك أيها التحرير المحرر الذي أبيت إلا أن تسير في ركب الأعجمين حذو النعل بالنعل.

ومن الذهاب خلف الأعجمين الانجراف في عامية دارجة كقولهم:

«تقرير بنك المغرب ها هو.... وتقرير حقوق الإنسان «فين هو»!! وعن هذه العامية جهلهم بمعرفة ثوابت العربية كالجمع والتثنية، ومن ذلك: يُرجى من «الزُبَناء» الكرام أن...

أقول: إن «الزبناء» ليسوا كرامًا، ولا «الزبائن» في ديار المشرق، وكيف يكون «زبون» في هذا الجمع؟

إن بناء «فعول» من الصفات يُجمع على «فُعُل» نحو صبور وصُبُر، وإذا جاء منه اسمًا فقد يُحمل عليه، والسماع فيه هو الجاري.

ثم إن «زبون» مما ورد إلى العربية من السريانية في

عصرنا ولم يعرف المعربون في فصيح العربية «الزبون» بهذا المعنى، بل عرف صفة للحرب فقالوا: حرْب زبون: أي تزبن المشاركين فيها أي تطحنهم.

وكان يقال للمتردد على مصدرٍ ما يتزوّد منه حاجته ومتاعه: «حريف» وجمعه حُرفاء. ومن العجيب أن التونسيين من البلاد المغربية يستعملون هذه الكلمة في عصرنا هذا، وهو من الغريب النادر.

ومن التأثر بالعامية الدارجة عدم معرفة أصحاب هذه اللغة الصحفية بالمثنى وتوابعه، فأنت تقرأ:

«زمان كان فريد الأطرش وأمّ كلثوم... يغنّون»!!

ومن هذه العامية التي وجدت السبيل إلى لغة هذه الصحف ما قرأت:

مطلوب مدرِّسة «خصوصي»!!

أقول: كأن «خصوصي» مما يستوي فيه المذكر والمؤنث!!

ومثل هذا: «مطلوب سائق عمومي» أي «للحافلات» العامة، ولو كان السائق امرأة لقالوا كذلك.

وتقرأ من هذه الصيغ الغريبة التي لا تحتملها العربية كلمة «الخوصصة» في سياق تفهم فيه: نقل الملكية مما يدعى «القطاع العام» إلى «القطاع الخاص».

وقد أفلح التونسيون حين استعملوا من هذا «التونسة» فقالوا: تونسة التعليم أي جعله تونسيًا.

ومن هذه الغرائب العامية توليد الكلم الذي لم يسمع في العربية، ومنه: «تَسويء» الصائفة: أي جعل الصيف سيئًا، والمصدر للفعل «سوأ» الفعل الذي لا نعرفه في العربية.

ثم إن «الصائفة» لا تعني «الصيف»، وقديمًا استعملت «الصائفة» للغزاة أو الفاتحين في «الصيف».

ومن هذا الجديد الذي لا يُهتدى فيه إلى وجه في العربية قولهم:

«مسلسل» الفضائح يطال حكومة الرئيس «فلان».

وقولهم: «يطال» أي يتوجّه بالاتهام إلى «الرئيس فلان».

أقول: ومثل هذا قولهم:

وهذه التهمة «طالت» الرئيس فلان.

ولا نعرف في هذا الفعل هذه الدلالة الجديدة إلا في صحف عصرنا.

ومن هذا توليد دلالة خاصة لكلم عاميّ جديد، ومنه: «حراجات للأثاث المستعمل».

و«حراج» يعني ما يشبه «السوق» يباع فيه الأثاث المستعمل وغيره بطريقة «المزاد العلني» فينادى على الشيء الذي يراد بيعه فينبري الواقفون بالزيادة على السعر إلى أن يستقر على قدر معين فيكون الشيء لمن أظهر هذا السعر الجديد.

> جدّ في عصرنا كثير من الكلم الجديد ومثله في المجازات الجديدة، وقد اضطر القائلون بهذا بسبب أنهم ملزمون عليه، مضطرّون إلى الأخذ به، لأنهم ينقلونه مما يكتب في اللغات الأعجمية

أقول: وليس في «حراج» شيء يومئ إلى هذه الدلالة.

وأنت تقرأ من هذه العامية ما لا تستطيع أن تسيغه وتفهمه، ومنه:

«.... العالم بأسره الذي يسمع التشكيك الإسرائيلي لسلامة نيّات الفلسطينيين وبصدق «تكويعهم» الذي عطّل الذرائع وغيّر المواقف...».

وليس لك أن تفهم ما المراد بـ «التكويع»!!

ومن هذا أنك تقرأ مثلاً:

«أما الرئيس فلان فقد أغناه الاحتفال في دياره عن كل سجال وجدَل حادّ...».

أقول: كأنّ كلمة «سجال» أريد بها «الجدل» أو «النزاع».

وهذا مما لا نعرفه في العربية، وليس لنا من حيلة إلى قبوله، والذي جاء بهذه الدلالة الغريبة قول الأقدمين: «الحرب سجال»، والكلمة وإن جاءت خبرًا عن «الحرب» إلا أنها لا تعني الحرب، ولا تعني الخصومة أو الجدال، وهي جمع «سجْل» بمعنى «دلو».

فيكون من هذا «الحرب سجال» أي إن الحرب تكون طورًا للطرف الأول المشارك فيها، وطورًا آخر للطرف الثاني.

والعبارة قائمة على التشبيه بالاستقاء من البئر، والسّجْد مرة للمستقي الواقف على اليمين، وأخرى للمستقي الثاني الواقف على الشمال.

فأين نحن من هذا!!

ومن هذا الغريب الجديد استعمال الجمع الذي لم يشتهر استعماله ومنه:

«المؤسسة العامة للأبناك»!!

و«الأبناك» جمع «بنك».

من الصيغ الغريبة التي لا تحتملها العربية كلمة «الخوصصة» في سياق تفهم فيه: نقل الملكية مما يدعى «القطاع العام» إلى «القطاع الخاص»

أقول: والجمع صحيح، وهو نظير «نهر وأنهار» إلاّ أن هذا الجمع لم يعرفه المعربون فقد ذهبوا إلى «بنوك» واشتهرت هذه الصيغة في كثير من البلدان العربية.

ومن هذا أيضاً قولهم في مراكز البريد:

«إرسال الرزمات».

أقول: و«الرزمات» جمع «رزمة»، وهو جمع مؤنث صحيح، ولكن مشاع في «الرزمة» أن تجمع على «رزم». ثم إن الجمع بالألف والتاء ينصرف في الغالب إلى معنى القلّة.

فأنت تفهم من «السنوات» القلّة أي دون العشرة بخلاف «السنين» التي تدل على العدد الكثير، ومثله «سنبلات» و«سنابل».

و«الرِّزم» في مراكز البريد عدد كبير فلا يحسن استعمال «الرزمات».

ومن هذا ما قرأته في مراكز البريد في «الدار البيضاء»:

«شعبة البعائث المسجلة».

و«البعائث» جمع «بعيثة»، وهو شيء خاص وجدته في المغرب، وهو صحيح، ولكن قد نجد نظيره «شعبة الرسائل المسجلة»، و«المرسلات المسجلة»، وهذا أكثر من «البعائث».

ومنه قولهم: إدارة «مفاحم» المغرب.

أقول: كأن «المفاحم» جمع «مفحمة» أو «مفحم»، وهي مراكز استخراج الفحم.

وهذا جيّد، ولكنه خاص بهذه الديار.

ونقرأ من هذه الغرائب ذات الخصوصية المغربية:

«بعث أزيد من ٤٦ طالبا أستاذا درسوا بالمدارس العليا للأساتذة رسالة يلتمسون فيها إثارة مشكل وضعيتهم الإدارية والمالية».

أقول: جاء في الجملة «استعمال» «أزيد» ولا أقول: إنها خطأ، ولكني أقول: إن كلمة «أكثر» هنا تفي بالحاجة وفاءً لا يؤدّى بالكلمة «أزيد».

ثم إن «المشكل» يقابل «المشكلة» لدى المشارقة.

قد تقول: لِمَ ذهب المغاربة إلى «المشكل» وهو كلمة مذكرة، والجواب إن هذه تقابل Probleme الفرنسية وهي مذكّر. ولما كان أهل الشمال الإفريقي ينظرون إلى الكلم في الفرنسية، فلابد أن يصيروا إلى هذا.

وليس «المشكل» في العبارة المغربية الحديثة جاء من استعمال الأقدمين نحو:

«تأويل مشكل القرآن» و«مشكل الحديث» ونحو هذا.

ومن هذا قولهم:

«.... وعدم القدرة على التعبير يظهر في الاستجوابات الإذاعية والتلفزية خاصة، وإن كان الصحفيون يرقمون تصريحات مستجوبيهم على أعمدة الجرائد والمجلات».

أقول: وقولهم: «التلفزية» منسوب إلى «التلفزة»، وهي «التلفاز» أو «جهاز التلفزيون» في استعمال أهل المغرب، وهو استعمال خاص أو قل: هو «تعريب خاص».

والذي أراه أن «التلفزة» تصلح للمصدر أي ما يُبث بهذا «الجهاز».

ومن هذا استعمالهم: «الإشهار» بمعنى «الإعلان» أو «الإعلام» وكأنه من Publicite فيقولون مثلاً: «تنحية اللوحات الإشهارية» ويقال: بصورة «إشهارية» وليس هذا القول بالخطأ، ولكنه عربية خاصة.

ومن هذه الخصوصيات الصحفية في المغرب قولهم:

«إقلاع نصف عدد المدخنين في أمريكا».

أقول: كأن المحذوف من العبارة معروف، وهو: «عن التدخين».

ومن هذا أيضاً قولهم:

«إن المرشحين للوظيف الحكومي قدّموا استدعاءات».

أقول «الوظيف» في استعمال المغاربة اسم جمع واحده «وظيفة» مثل «فسيل» واحده «فسيلة».

وهذا هو الاستعمال الشائع الفاشي في البلدان المغربية، ولا يعرفه أهل المشرق.

ثم إن «الاستدعاءات» جمع استدعاء، بمعنى «تقديم طلبات».

وكأني أرى أن هذا بقية من العربية التي عرفها الأتراك العثمانيون، واستعملها العرب منهم، وقد كانت معروفة لدى عرب المشرق، وهو مما أخذوه من اللغة الرسمية أيام الحكم العثماني.

ومن هذه الخصوصيات المغربية استعمال بعض المصادر التي لم تعرف في العربية على نحو كثير، ومن ذلك قولهم:

«أشغال ترصيف» بمعنى أشغال تتصل برصف الطرق وإقامة الأرصفة فيها.

ومثله قولهم: «إعطاء العمّال منحة السفر وتمتيعهم بالعطلة السنوية».

أقول: إن «التمتيع» مصدر الفعل «متّع» وهو صحيح، ولكنه لم يسمع.

وتقرأ من هذا الذي لم يشتهر سماعه:

«حكومة شامير معرّضة للانفراط».

ويراد بـ «الانفراط» «السقوط».

ومثله قولهم: «الدخول ممنوع لغير المنخرطين».

ويراد بـ «المنخرطين»: «المسجلين» المشاركين في «ندوة أو ناد» مثلاً.

ومن هذه الخصوصيات قولهم:

«تدشين معهد التكوين».

أقول: و«التكوين» هنا يشير إلى الكلمة الفرنسية For-mation، ويعني تخريج الطلاب المزوّدين بمعرفة خاصية فنية أو حرفية في مركز ما أو معهد من المعاهد.

ثم إن «تدشين» عامية واستعملها المشارقة وأصلها كلمة سريانية دخيلة.

ومن هذه المواد الخاصة استعمال «كراء» بمعنى «استئجار» فيقال لدى المغاربة: «كراء السيّارات» بمعنى «استئجار السيارات».

ويقولون: «الأسعار الكرائية للمساكن».

أقول: وفي فصيح العربية: اكترى الدار أي استأجرها، واستكراها.

وأكرى الدار أي أجّرها، وهو مُكار، والفعل «كارى».

وأما «الكراء» (بكسر الكاف)، فهو الأجر يعطى لصاحب الشيء المكترى.

وهذه المادة قد هجرت في الفصيحة المعاصرة، وتحوّلت في بعض بلدان المشرق إلى عامية دارجة. ونقرأ في صحف المغرب: «ارفعوا يد الإهمال عن قرية.... وهذا مجاز لا يعسر فهمه ومعرفة «يد الإهمال».

وقد تجد الكلمة الفصيحة التي بقيت في لغة خاصة الخاصة مستعملة في العربية المغربية، وهذا شيء ذو قيمة تأريخية ومن هذا قولهم:

«وقد كاد الظنين ينفلت من يد العدالة».

إن «الظنين» هو المتهم، وهذا نادر في كثير من بلاد العرب.

ومما قرأت في هذه العربية قولهم:

«قضية الهوية والوقت الحرّ لازالت تشكو في المغرب قلّة الاهتمام».

إن الإخبار بقول المحرر: «لازالت» جاء عن شيئين هما «قضية الهوية» و«الوقت الحرّ» فكيف يكون هذا؟

ثم إن الفعل «لازالت» غير سديد هنا، والصحيح الفصيح «مازالا»، لأن «لازال» بسبق «زال» بـ «لا» يفيد الدعاء، قال ذو الرمة: «ولازال مُنهلاً بجرعائك القطرُ».

عربية تشكو الضعف

إن هذه العربية الصحفية في المغرب وغير المغرب، وكذلك في المشرق تشكو الضعف، ذلك أن المحرّر يتساهل في المادة اللغوية فيقول مثلاً:

«الحساب بين الصح والخطأ».

وهو يحسب أن «الصحّ» صفة كالصحيح.

وهو يقول: «المنساة الأمنية».

ويتصور أن رسم الهمزة على هذا النحو صحيح وهو يريد «المأساة».

ومثل هذا قولهم: «مديرية تكوين الأطر».

أقول: ويراد بـ «الأطر» جمع «إطار»، ويراد بـ «تكوين الأطر»، مثلاً، توفير المختصين من عمّال أو فنيين، وقد يكونون أطباء ومهندسين وبيطريين ونحو ذلك.

وقد تكلمنا على «تكوين»، وأما «الأطر» فجمع إطار، وقد يجمع جمعًا مؤنثًا على «إطارات»، وهذه جيء بها لتقابل الكلمة الفرنسية Cadres.

وحقيقته في الفرنسية لإطار الصورة أو اللوحة أو الجدول أو نحو ذلك، غير أن الفرنسيين صرفوه مجازًا إلى ما أشرنا إليه، فجاء العرب وصرفوا «الإطار» إلى نحو ما فعل الفرنسيون.

ومن الخصوصيات المغربية استعمالهم «قارّ» و«قارّة» لكل ما هو «دائم» فيقولون مثلاً: «من أجل إحداث مخازن قارّة للحبوب».

«والتعليم القارّ، والضرائب القارّة، وغير ذلك».

ومن هذه الخصوصيات قولهم:

«إدانة المتّهم بالسجن عشر سنوات نافذة».

ويراد بـ «نافذة» أن المتهم يقضيها في السجن، أي إنها غير موقوفة.

ومن هذا الذي ينظرون فيه لما يقال في الفرنسية قولهم:

«نُزعت الأراضي عن مالكيها لاستغلالها من طرف مصالح المياه».

أقول: وقولهم: «من طرف» ينظر فيها إلى العبارة الفرنسية de la part.

والفصيح المليح أن يقال: «من لدن» وقد يقال: «من قِبَل».

ويقال: «توصّلنا برسالة من سكان القرية يثيرون فيها أنهم مُنعوا من زيارة مسجد المجاهدين».

أقول: وقولهم: «توصّلنا» بمعنى «تسلّمنا»، وكأن هذا يومئ إلى الفرنسية Cominiquer أو Faire Cominiquer.

ويقال: «أعلن المكتب السياسي لحزب العمل الإسرائيلي تأييده لفرط عقد حكومة الوحدة الوطنية. لقد قرر المكتب السياسي بغالبية ساحقة ٤٠ صوتًا مقابل صوتين، وامتناع ستة عن التصويت».

أقول: واستعمال «الفرط» بمعنى «الإسقاط» أو «السقوط» قد سبق الكلام عليه، ثم إن «الغالبية الساحقة» هي ما يقابل La majorite ecrasante والعبارة كلها مما استعير من الأسلوب الفرنسي.

وأنت في المغرب تقرأ كلمة «البوابة» مكتوبة على لوح في «الفندق» الذي تسكنه، ولو كنت من أهل المشرق ولا تشدو شيئًا من الفرنسية لانبهم عليك الأمر، ولم تفهم المراد بـ «البوابة»، ولكنك تعرف «البوابة» حين تهتدي إلى أنها تقابل Conciergerie، وهذه تعني احتراف حرفة «البواب» الذي يكون في الطابق السفلي للمنزل أو «العمارة» أو نحو ذلك.

إن الوصول إلى «البوابة» جميل، ذلك أن الذي وصل إليها مدرك أنها مصدر للحرف والصناعات كالنجارة والحدادة وغيرهما.

وقديمًا كان «البواب» من يلزم باب الكبير أميرًا أو خليفة أو غيرهما.

وتجد شيئًا يثير فيك التساؤل في أول الشارع أو الطريق، وهو لوح يشير إلى اسم الشارع، وهذا ما رأيته مكتوبًا وهو: محج مولاي عبدالله.

خاتمة

هذا ما كان لي أن أقف عليه في إقامة قصيرة في «الدار البيضاء» حاضرة المغرب، وأنا أجيل نظري في صحف المدن.

وقد يكون لي الحق في تحرير معجم جديد هو معجم العربية المعاصرة الذي لا يغني عنه معجم الإعلام، ومعجم الحضارة المعاصرة.

الهوامش

- هذه المقالة خص بها الكاتب الراحل - رحمه الله - الفيصل قبل وفاته في ٢٥ أبريل/نيسان ٢٠٠١م (١ صفر ١٤٢٢هـ).

١. لقد قال أهل التصحيح: لا يقال «نفس الشيء» والصواب الشيء نفسه. أقول: لقد فاتهم قول سيبويه إمام النحاة في الكتاب ٢٦٦/١: «وتجري هذه الأشياء التي هي على ما يستخفون بمنزلة ما يحذفون من نفس الكلام».

وقال أيضًا ٣٧٩/٢: «وذلك قولك: نزلت بنفس الجبل، ونفس الجبل مقابلي».

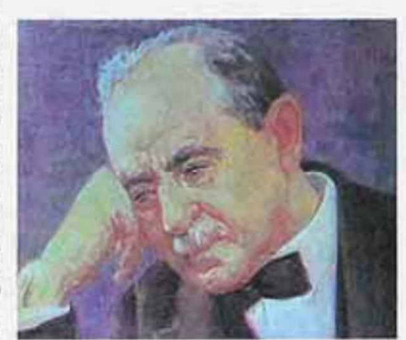
وقال الجاحظ في الحيوان ٧٦/١: «ولابدّ للترجمان من أن يكون بيانه في نفس الترجمة».

افتراءات استشراقية على اللغة العربية

محمود العطار
الجيزة - مصر

من الموضوعات التي أولاها علم الاستشراق اهتمامًا خاصًا وكبيرًا، موضوع اللغة، والسبب في ذلك يكمن في طبيعة اللغة ذاتها، وما تمثله من «حقيقة» في حياة البشر، فـ «اللغة هي نحن». تلك الجملة على إيجازها تلخص رؤيتنا للغة، كما أنها دليل على اهتمام الاستشراق بها. وقديمًا قالت العرب: «كلما اتسعت الرؤية ضاقت العبارة»(١).

ولعلم الاستشراق منهج في التعامل مع اللغة، فكلما كانت اللغة لصيقة بأهلها، وتشكل الجانب الأكبر من جوهر الأمة، كان وضع المنهج على أساس أكفأ السبل للنيل من هذا الجوهر، وهذا ما ينطبق على علاقة الاستشراق بلغتنا العربية.



أحمد شوقي

لغتان لا لغة واحدة

فاللسان العربي هو الذي تتوحد على أحرفه مشاعر أمة واحدة وأفكارها ورؤاها، جمعتها عقيدة واحدة، وأنشأت حضارة واحدة. وتأتي الثغرة، أو كما يزعم بعض المستشرقين، من مدى اتساع الرقعة الجغرافية للعالم الإسلامي الناطق بالعربية؛ إذ كانت اللهجات الإقليمية تكأة يركنون إليها في ضرب الفصحى لحساب العامية. فكان من زعمهم «أننا نستخدم في تعبيرنا وتفاهمنا أداتين لغويتين نلجأ إلى إحداهما في بعض شؤوننا، وإلى الثانية في الشؤون الأخرى. وازدواجٌ كهذا يبدو في نظر بعض الناس بمظهر حالة شاذة لا يصح السكوت عليها، وينبغي تدبير وسيلة لعلاجها»(٢). وقد رأى البعض لعلاج تلك الحالة الشاذة: «أن نهبط بلغة الكتابة إلى لغة الحديث فنستخدم العامية في الشؤون التي نستخدم فيها الآن العربية الفصحى، ونقضي بذلك على هذا التعدد الشاذ في أداة التفاهم، ونسير على الطريقة نفسها التي تسير عليها الأمم المتحضرة الأوربية.. ومن المنتصرين لهذا المذهب الكونت كرلودي لندبرج الإسوجي، في تقريره الذي تلاه بمجمع اللغويين في مدينة ليدن عام ١٨٨٣م، واللورد دوفرين السياسي الإنجليزي في التقرير الذي رفعه إلى وزير خارجية إنجلترا بشأن لهجة مصر العامية. ومن هؤلاء كذلك ولهلم سبتا «بك» الألماني أمين دار الكتب بالقاهرة سابقًا (ت

١٨٨٣م) الذي مهد لتحقيق هذا المشروع باستنباط حروف إفرنجية تُكتب بها لهجة مصر العامية، وبتأليف كتاب ألماني في قواعد الصرف والاشتقاق التي تسير عليها هذه اللهجة»(٣). وإلى الآن لا يهدأ بال الغرب في هذا الخصوص، وأخيراً وليس آخراً يخرج إلينا أحد الباحثين الفرنسيين ويدعى آلان جيرو بآراء لا تنفصم عراها عما نادى به أجداده في حق اللغة العربية ولهجاتها المختلفة. بل زاد عليهم بمقولة فحواها أن مخالفة اللغة الصحفية لمنهج أساليب العربية الفصحى وقواعدها النحوية، لا تعني أنها خطأ، وأن القواعد هي الصواب، فليس في اللغة خطأ أو صواب، ولكن فيها تغيير وتعديل مستمران هما دلالة حيويتها وتطورها، وأن جميع اللغات بما فيها الفرنسية تتعرض لهذا التغيير كل عام. وعن أهمية التطور اللغوي، يرى الباحث أنه سيؤول أمره في النهاية إلى أن تكون اللغة العربية عدة لغات بعدد الدول العربية، وربما أكثر؛ لأن كل دولة سوف تسير في طريق مخالف للأخرى حسب موهبتها في التغيير والتطوير والتحريف والبعد عن اللغة العربية الأم(٤).

وقبل أن نفند أباطيل تلك الدعاوى يجدر بنا إيضاح أن فكرة التبرؤ من الصواب والخطأ، وإرجاع المسائل إلى التطور فحسب كآلية للتقدم البشري، سواء انطبق هذا على اللغة أو على غيرها من أمور الحياة، لهما من بنات أفكار الغرب الخاوي، الذي افتقد إلى معيار حياته، ومن ثم ذهل عن معنى وجوده.

وليست الحياة كذلك إذ إنها قائمة على الميزان: *والسماء رفعها ووضع الميزان. ألاّ تطغوا في الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان.* الرحمن: ٧ـ ٩.

فالمعيار ذو المرجعية الأصيلة لأي أمة ترياق ضد عبث الحياة الظاهري، وهاد لفوضى العقول والمشاعر الباحثة عن المعنى المفقود. ولا يؤدي افتقاد المعنى إلا إلى تحلل الإنسان.

بعد تلك الانعطافة نستطيع أن نلج معًا إلى عالم اللغة الجميل، ونسبح قليلاً في بحرها المأهول، ونخوض في أعماق ذلك الكائن المدهش، لنعرف حقائقها الباطنية المتصلة اتصالاً وثيقًا بناطقيها.

إن اللغة التي يتحدث بها المرء أو يكتب هي التعبير المادي عن طريقة تفكيره، والترجمة المعنوية لرؤيته إلى الحياة. فهناك، بدرجة ما، مماثلة بين البنية العقلية والبنية اللغوية لدى الإنسان، فـ «البنية اللغوية أو التركيب اللغوي هو الذي يحدد الفكر؛ ولذلك فإن معرفة البشر بهذا العالم وتجاربهم فيه ونظرتهم إليه ومواقفهم منه تختلف باختلاف اللغات التي يتكلمونها»(٥)، وعليه «فإن اللغة ليست مجرد وسيلة للتعبير عن الأفكار، بل هي نفسها التي تشكل هذه الأفكار. فنحن نقسم العالم بموجب الخطوط التي ترسمها لنا لغتنا القومية، نحن نحلل العالم ونصنفه في أفكار، ونعطي لذلك أسماء»(٦).

اختيار العامية للتيسير على أهل اللغة، أو ادّعاء قدرة الفصحى على التطور، والخروج عن الأساليب النحوية واللغوية الصحيحة: كل ذلك يؤدي في المحصلة النهائية إلى تفكيك أواصر اللغة العربية الفصحى

فهذا المذهب يستند في أدلته إلى الاختلافات النوعية بين اللغات الإنسانية بعضها عن بعض، وعلى سبيل المثال:

ذات وموضوع

تحوي اللغة العربية من الكلمات ما يعبر عن المثنى، كعدد مميز، بين المفرد والجمع، بينما تخلو معظم اللغات من تلك الظاهرة، مما يدل على النظرة الثنائية للوجود عند بعضهم والأحادية عند غيرهم. كما أن هناك تفرقة واضحة عند أغلب شعوب الأرض بين المذكر والمؤنث، إلا أن لغة كالألمانية تتصور نوعاً ثالثًا لا هو بالمذكر ولا هو بالمؤنث، لكنه محايد، كذلك نجد أن العرب قسموا الجملة العربية إلى اسمية وفعلية، كما هو معلوم. والفعلية يتقدم فيها الفعل على الفاعل، والاسمية تبدأ بالاسم، ثم الإخبار عنه بوصف مشتق أو بفعل أو بغيرها من الكلمات. هذا التقسيم ينبئ عن التفرقة الذهنية بين الذات والموضوع في العقل العربي؛ لأن الجملة الاسمية (زيدٌ قائمٌ) أو (زيدٌ قامَ) يكون

الاسم أو المبتدأ فيها هو الذات التي نخبر عنها بالموضوع أو الحدث، وهو هنا القيام. فمحور الكلام عن الذات، وليس عن الموضوع، ولذا تقدمت في الرتبة المكانية بالجملة. بينما في الجملة الفعلية (قام زيدٌ) فالقيام هو الحدث أو الموضوع ذو الأولوية، فتكون له الرتبة الأولى في الجملة، ويليه الفاعل أو الذات الفاعلة في الرتبة التالية. وهذا التركيب يوضح مفهوم كل من الذات والموضوع وطبيعتهما، ومن ثم العلاقة بينهما عند أهل اللغة العربية. بينما تخلط - مثلاً - اللغة الفرنسية بين هذين المفهومين، عن طريق تصورها الخاص؛ لأن الفاعل أو الذات هو الموضوع. يتضح ذلك أولاً من تقدم الفاعل على الفعل في تركيب الجملة مطلقًا، وهذا من طبيعة اللغات الأوربية إذْ لاتوجد بها إلا الجمل الاسمية.

وثانيًا من معنى كلمة (Sujet) وهو مصطلح يقصد به الفاعل، بينما الترجمة الحرفية للكلمة (موضوع) وقريب من ذلك ما يراه بعض العلماء من «أن اللغة التي لا يميز التركيب الصرفي والنحوي فيها بين الحدث والفاعل والأشياء، كما تفعل الإنجليزية مثلاً، وكما هو الحال في بعض لغات الهنود الحمر، تشير إلى أن المجتمع الذي يتكلم تلك اللغة يؤمن بالقدرية، أي إنه يعزو كل ما يحدث إلى القدر دون أن يحاول فهم الأسباب والمسبّبات»(٧).

ونحن لا نستطيع الفصل بين تلك الظاهرة اللغوية الأوربية، والتمحور حول الذات الفردية، الراسخ في كيان الحضارة الغربية الحديثة، والموجِّه لمسيرتها؛ لأن الإنسان أو الذات هو مركز الحياة، وأن العقل البشري هو مصدر المعرفة الأوحد.

ولعل من التجربة الحية التي سأوردها ما يعزز تلك النفحات العلمية؛ إذ قام كاتب هذه السطور بمهمة تدريس اللغة الغربية لغير الناطقين بها في أحد المعاهد اللغوية الأجنبية بالقاهرة، فكان أكثر ما شد الانتباه أنه لا يتم تدريس المبتدأ أو الخبر على أساسهما النحوي الصحيح، ولكنهما يتحولان إلى صفة وموصوف.

والمسوّغ لهذا، بزعم واضعي المنهج أن الأجنبي لا يسهل عليه استيعاب فكرة المبتدأ والخبر، لعدم وجودهما في لغته الأصلية، فتكون الاستعاضة عنها بقاعدة الصفة والموصوف التي يعيها جيدًا من خلال لغته. ومن جانبنا يمكننا أن نضيف: ومن خلال رؤيته وتصوره للأشياء.

تكامل إنساني

ما سبق من أمثال ما هو إلا قليل من كثير يميز لغة من أخرى، وظواهر تنفرد بها ألسن شعوب دون شعوب مما يُضاف إلى فكرة الاختلاف بين البشر، والذي هو في حقيقته، أو في وجهه الآخر ليس إلا تكاملاً إنسانياً.. فهذا الفرع من علم اللغة الأنثروبولوجي الذي ينظر إلى الإنسان في محاولة لفهمه، وتعرف كنهه من خلال لغته عبر أبعد أغواره عُمقًا، باستكشاف طاقته الدفينة على التعبير عن أفكاره ورؤاه حول نفسه وعلاقته بالكون من حوله، هذا الفرع يؤكد - أولاً - أن الاختلاف والتمايز بين الأمم والشعوب كسنة من سنن الخلق، يظهران جليًا من خلال اللغة: *ومِنْ آياته خَلْقُ السَّمَواتِ والأرْضِ واخْتِلافُ ألْسِنَتِكُم وألْوانِكُم إنَّ في ذَلِكَ لآياتٍ لِلْعالمينَ*. الروم: ٢٢.



إميل زولا

ويؤكد - ثانيا - أن اللغة، كمناط وتجسيد لهذا الاختلاف، تُعدّ بمنزلة جوهر يختص بكل أمة على حدة، تستبين من خلاله - وبحسب ما هيته المُتفرّدة - حقائق الأشياء من حولها: *وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليُبَيِّن لهُم*. إبراهيم: ٤.

فإذا ما رجعنا إلى دعاوى وادّعاءات المستشرقين، مستنيرين بضوء هذا التصور والفهم، عن إحدى حقائق اللغة في حياة البشر، استطعنا الكشف عن النوايا من وراء ما يقصدون:

يتضح ذلك من خلال خطين متوازيين يخطهما الباحثون الغربيون، ويا للأسف نجد بعض الباحثين العرب والمسلمين يحذون حذوهم. هذا الخطان - على توازيهما - يصبان في مجرى واحد. فدعوى بُعد

الشقة بين الفصحى والعامية، واختيار العامية للتيسير على أهل اللغة، أو ادعاء قدرة الفصحى على التطور، والخروج عن الأساليب النحوية واللغوية الصحيحة: كل ذلك يؤدي في المحصلة النهائية إلى تفكيك أواصر اللغة العربية الفصحى، وما يؤدي إليه هذا التفكيك بالضرورة من خلخلة في جماعية العقل العربي، ومن ثم إلى تفتيت الوحدة الفكرية والوجدانية بين الشعوب العربية من الأمة الإسلامية. وقبل هذا وذاك استعصاء فهم القرآن الكريم والتفاعل معه، سواء بهجر الفصحى والتزام العامية، أو بفضل ما يصنعه هذا المنحى في بنية اللغة العربية الفصحى من تشوهات بخروجه عن صراطها الأصيل!.

والحقيقة أن أقوال آلان جيرو أو غيره من المستشرقين حول التطور اللغوي، لهي من الحقائق التي يراد بها باطل، خصوصاً إذا ما ألحقناها بمنظومة الحضارة العربية، وضمنّاها نسقها اللغوي دينيًا وثقافيًا.

إن اللغة التي يتحدث بها المرء أو يكتب هي التعبير المادي عن طريقة تفكيره، والترجمة المعنوية لرؤيته إلى الحياة. فهناك، بدرجة ما، مماثلة بين البنية العقلية والبنية اللغوية لدى الإنسان

عناصر مشتركة

معروف أن اللغة ككائن حي يعتريها كل ما يعتري الكائنات الحية من ميلاد ونمو وتطور وازدهار وأفول: «لأنها تحيا على ألسنة المتكلمين بها، وهم من الأحياء، وهي لذلك تتطور وتتغير بفعل الزمن، كما يتطور الكائن الحي ويتغير، وهي تخضع لما يخضع له الكائن الحي في نشأته ونموه وتطوره، وهي ظاهرة اجتماعية تحيا في أحضان المجتمع، وتستمد كيانها منه.. فترقى برقيه، وتنحط بانحطاطه»(٨)، «فاللغة ليست هامدة أو ساكنة بحال من الأحوال.. فالأصوات والتراكيب والعناصر النحوية وصيغ الكلمات ومعانيها معرّضة كلها للتغير والتطور.. فلو قمنا بمقارنة كاملة بين فترتين متباعدتين لتكشّف لنا الأمر عن اختلافات عميقة كثيرة من شأنها أن تعوق فهم المرحلة السابقة وإدراكها إدراكًا تامًا»(٩). ونقطة البدء لهذا التطور تنطلق من اللغة الأم، وأقصى منتهاها الوصول إلى لغة أخرى متولدة عنها. ويتم ذلك مروراً باللهجة. فاللهجة ما هي إلا فرعٌ من الأصل، واحتفاظ اللهجة بمعظم معاني الألفاظ وثبات دلالة أغلب الكلمات، واحتفاظها بالصياغة والتراكيب داخل الجمل على أساس مُشابه للذي نجده في الأصل، وكذلك التماثل في بنية الكلمات الصرفية، كل تلك العناصر هي الأصول المشتركة بين اللغة الأم واللهجة التي تفرعت عنها. ومعلوم أن العاميات من لهجات الفصحى، فإذا وجدنا ثمة اشتراكًا وتماثلاً بين تلك العناصر في كل منهما، فإننا لا نستطيع إعطاء اللهجة العامية شهادة ميلاد بلغة جديدة. إنما انفصال اللهجة كليةً عن اللغة الأم في عناصرها المختلفة هو الذي يؤسس للغة وليدة، مثلما حدث بالنسبة إلى الإيطالية والفرنسية والإسبانية والرومانية. فكلها من بنات الأم اللاتينية، وقد كانت لهجات فأصابها التطور في العناصر السابقة، فانفصلت بفضله عن الأصل اللغوي الأول، واتخذت كل لهجة لاتينية الأصل طريقًا مستقلاً حتى أصبحت لغة قائمة بذاتها.

فإذا ما طبقنا المسار اللغوي نفسه على الفصحى ولهجاتها على ما بينها جميعاً من وشائج، لا نرصد هذا الاختلاف الجوهري الذي يباعد بينها. وقد أُحصيت اللهجات العربية وتم تقسيمها إلى «خمس مجموعات، تشتمل كل مجموعة منها على لهجات متقاربة في أصواتها ومفرداتها وأساليبها وقواعدها، ومتفقة في المؤثرات التي خضعت لها في تطورها.. وتشتمل كل مجموعة من هذه المجموعات على طائفة من اللهجات، وتنقسم كل لهجة إلى عدة فروع، ويتشعب كل فرع إلى شعب كثيرة، تختلف باختلاف البلاد التي تستخدمها.. ومع كثرة وجوه الخلاف بين هذه المجموعات الخمس فإن المتكلمين بإحداها يستطيعون، مع شيء من الانتباه، أن يفهموا كثيراً من

حديث أهل المجموعات الأخرى لاتفاقها في معظم أصول المفردات والقواعد الأساسية ومنحى الأساليب(١٠)».

تلك المجموعات الخمس، على ما فيها من تفرعات وتشعبات، تشمل كل اللهجات العربية على امتداد الوطن العربي، فإذا كانت تلك هي حال العاميات فيما بينها، فماذا يقال عن وضعية الفصحى كأداة للتفاهم والتواصل بين الشعوب العربية بعضها مع بعض، وهي المعيار والمنبع الذي تستقي منه اللهجات روحها ومنطقها؟!.


موليير

في شكلها الحاضر لا يتعدى قرنين من الزمان، فهي دائمة التطور والتغير، وعرضة للتفاعل مع اللغات المجاورة، تأخذ منها وتعطي، ولا تجد في ذلك حرجاً؛ لأنها لم ترتبط في فترة من فترات حياتها بكتاب مقدس، كما هو الحال في العربية»(١١).

ويبقى من الحقائق أن التطور قد يصيب اللهجة العامية ذاتها فـ «اللغة التي حملها الفرنسيون، أيام الحروب الصليبية، إلى سورية، لم تكن كاللغة التي حملها أحفادهم إليها في هذه الأيام، وإن اللغة التي نظم بها شكسبير قصائده، لا يفهمها العاميّ الإنجليزي اليوم، أكثر مما يفهم العامي العربيّ

ما نستطيع زعمه أن لهجات البلاد العربية ما هي إلا تعبير عن البيئات المختلفة للشعوب العربية، وهذا الاختلاف البيئي جغرافياً واجتماعياً، على ما يجمع العرب من وحدة ثقافية وتاريخية.. ينضوي تحت لواء من التوحد تحت مظلة التوحيد ودينها الإسلام.

كما نستطيع أن نقيم القياس بين اختلاف لهجات الشعوب العربية وتعدد لهجات القبائل العربية زمن الرسالة، حتى توحدت في لهجة قريش (معيار الفصحى) وأصبحت اللغة القرآنية هي اللغة النموذجية. ويأتي القرآن الكريم على قمة الأسباب التي جعلت العربية منذ أربعة عشر قرناً لغة حية بجانب اللهجات البيئية المختلفة، وهو الذي يضمن لها صفات الثبات والخلود والديمومة، فاللغة العربية تستمد من القرآن الكريم عنصر الحياة، «هذا هو السر الذي يجعلنا لا نقيس العربية الفصحى، بما يحدث في اللغات الحيّة المعاصرة، فإن أقصى عمر هذه اللغات

قصائد المتنبي، وأبي العلاء المعري، وأن لغة موليير الفرنسية - فيما أحسب - بعيدة عن لغة إميل زولا، ولكن لغة المتنبي لم تتغير عن لغة شوقي، وبينهما ألف عام، إلا أن لغة المتنبي تخالف لغة الزاجل في زجله اليوم، بل إن لغة الزاجل اليوم تخالف لغة الزاجل في عصر ابن خلدون»(١٢). وهذا التطور داخلي بالدرجة الأولى، لا يخرج بحال عن الإطار الأعم للغة الأم. ويظل المنطق اللغوي مشتركاً بين الفصحى والعامية، مادام القرآن في قلوبنا، تنطق بلغته نفوسنا، نستبصر بها الأشياء، ونقرأ بها من حولنا كتاب الكون والحياة، ونحن مطمئنون إلى وعد الله بحفظها وبقائها حتى يرث الله الأرض وما عليها: *إنّا نحنُ نزّلنا الذّكرَ وإنّا له لحافظون*. الحجر: ٩. فقد أكد وعده بـ: إنّ، واللام، والجملة الاسمية.

المراجع

١. المواقف والمخاطبات، محمد بن عبدالجبار بن الحسن النفري، نشر اربري، القاهرة١٩٣٤م.
٢. فقه اللغة، د. علي عبدالواحد وافي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ص١٥٤.
٣. المرجع السابق ص١٥٥.
٤. انظر: جريدة الأهرام القاهرية، تاريخ ٢ مارس/آذار ١٩٩٩م تحت عنوان: «تطور لغة الصفحة الأولى في الأهرام في رسالة دكتوراه يعدها باحث فرنسي». صفحة أولى.
٥. علم اللغة بين القديم والحديث، د. عاطف مدكور، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ص٥٠.
٦. نقلاً عن المرجع السابق B.Lee Whorf. Language. thought end reality
٧. أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، د. نايف خرما، الكويت ١٩٧٨م، ص٢٦٩.
٨. التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، د. رمضان عبدالتواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الرفاعي، الرياض، ص٥.
٩. دور الكلمة في اللغة، تأليف ستيفن أولمان، ترجمة: د. كمال محمد بشر، مكتبة الشباب، القاهرة، ص١٧٠.
١٠. فقه اللغة.. مرجع سابق، ص١٤٨، ١٤٩، ١٥٠.
١١. التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، مرجع سابق، ص٨.
١٢. مولد اللغة، الشيخ أحمد رضا العاملي، بيروت ١٩٥٦م، ص٧٢.

النوبة
بوابة العرب إلى إفريقية

عبدالرحمن عوض
القاهرة - مصر

سكن النوبيون ضفاف وادي النيل من الجندل الأول عند أسوان - جنوب مصر - إلى بلدة «الدبّة» جنوب دنقلة (أكثر من ١٠٠٠كم) منذ أكثر من إحدى عشرة سنة، قبل التاريخ. استُدِلّ على ذلك من الأدوات الحجرية التي خلّفوها وراءهم، والرسوم الصخرية المنقوشة على جانبي النهر(١).

تقع النوبة السفلى عند خط عرض ٢٢ْ شمالاً، من الجندل الأول حتى بلدة «أدندان» على مساحة ٣١٥كم٢ بأقسامها الثلاثة (الكنوز، وعرب العقيلات، والفديجّة).

أما النوبة العليا فهي الممتدة من حلفا إلى الدبّة في السودان الشمالي.

كان الجندل الثاني جنوب وادي حلفا فاصلاً طبيعياً وحاجزاً منيعاً بين الشمال والجنوب، وبين مجموعتين بشريتين مختلفتين.

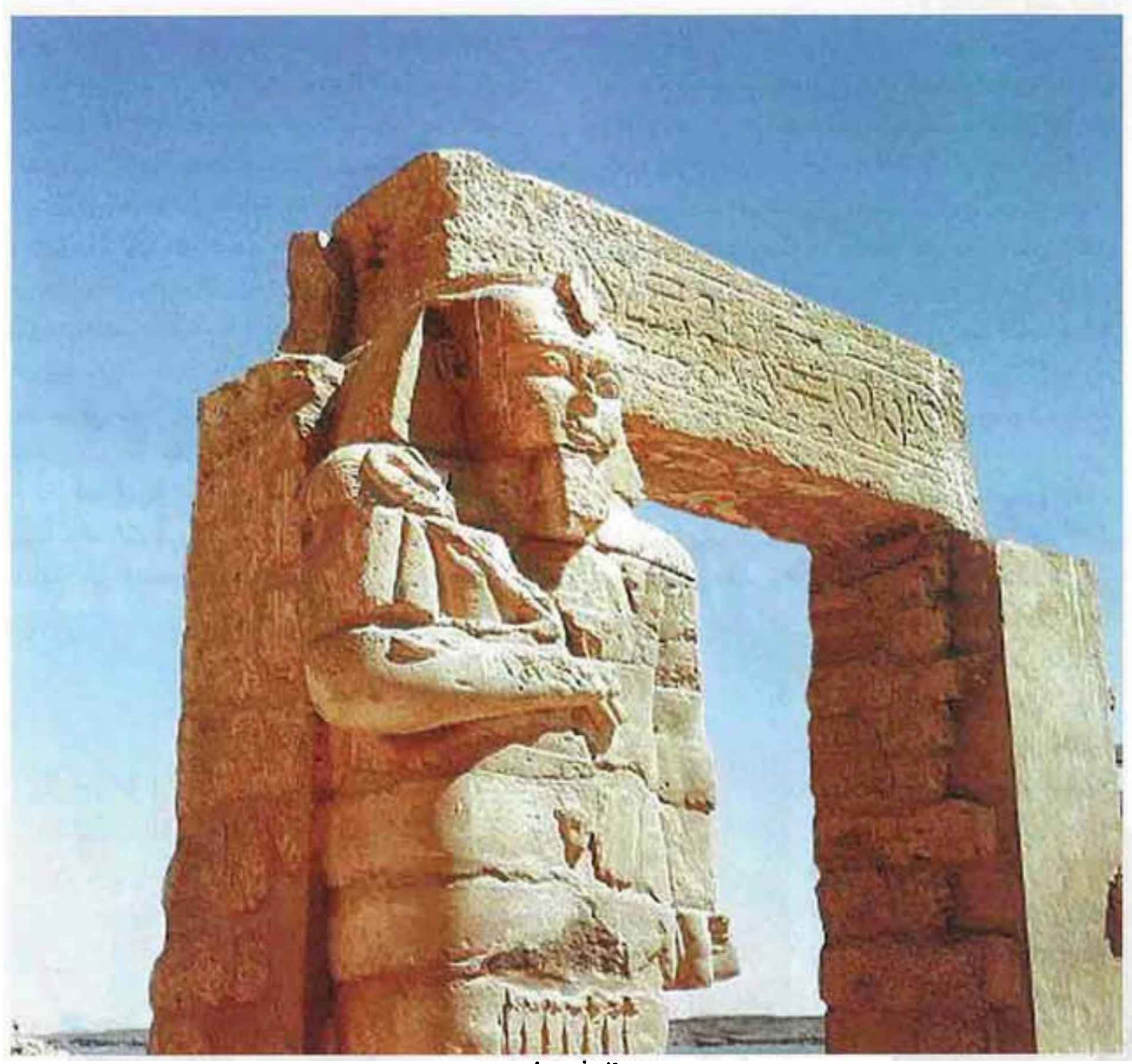


قلعة بوهين

كان هناك القليل من الأراضي الزراعية الخصبة في النوبة السفلى، مما كان له تأثيره في حياة البشر، فلذلك لازم النوبيون ضفتيّ النهر، بعيداً عن سلسلة جبال البحر الأحمر والصحراء الكبرى، فكانوا على الدوام نهريين أكثر منهم أهل جبال أو صحراء. كان النهر هو الحياة، والحياة هي النهر.

أما بعد بناء السد العالي، فقد تم تهجير النوبيين إلى وادي كوم أمبو فيما بين عامي ١٩٦٣و ١٩٦٤م، إلى قرى شمال أسوان على مسافة ٤٠كم، متناثرة في نصف قطر يبلغ أكثر من ٢٠كم هي النوبة الجديدة (٤٠) قرية.

التعدين: اشتهرت النوبة قديماً بثروات طبيعية وافرة من المعادن مثل الذهب (عرفت النوبة لدى قدماء المصريين باسم أرض الذهب) والعقيق الأحمر واليشب والجمشت وغيرها من الأحجار الكريمة وشبه الكريمة. وبحكم موقعها الوسيط، وثرواتها الطبيعية كانت النوبة في العصور القديمة واحدة من أكبر الطرق التجارية التي تنتقل عبرها منتجات مصر إلى إفريقية، ومنتجات إفريقية الإستوائية من سن الفيل والأبنوس والبخور وريش النعام وغيرها إلى مصر.



معبد بتاح في جرف حسين

التاريخ: لم يكن سكان النوبة يختلفون كثيراً عن سكان الشمال الإفريقي.

ولم تذكر كلمة النوبة إلا عندما ذكرها «سترابون» في كتابه «الجغرافيا»(ج١٧)، ويقصد بها المنطقة التي تبدأ من مروي عند الشلال الرابع حتى أبي حمد شمالاً(٢).

وفي إيجاز نقول: إن النوبة في عصر بداية الأسرات (المجموعة أ) ٣١٠٠ ـ ٢٧٠٠ق.م، شهدت بواكير حضارة مستقرة، فإلى جانب الصيد البري والنهري، عرفت النوبة زراعة الحبوب وتربية الضأن والماعز والماشية، وطحن النوبيون الحبوب على رحى حجر الكوارتزيت، وبنوا مساكنهم على حافة السهل الفيضي، واستخدموا أحياناً الحجر في بنائها، وامتازوا بصناعة الأواني الفخارية الحمراء المصقولة من الخارج، السوداء اللامعة من الداخل، واستخدموا جميع المواد الخام للبيئة في حياتهم، وصوروا حياتهم في وديان الصحراء الشرقية، حيث نحتوا حيوانات الصيد والرعي مثل الفيلة والزرافي وأفراس النهر، وصنعوا تماثيل صغيرة من الصلصال للإنسان والحيوان(٣).

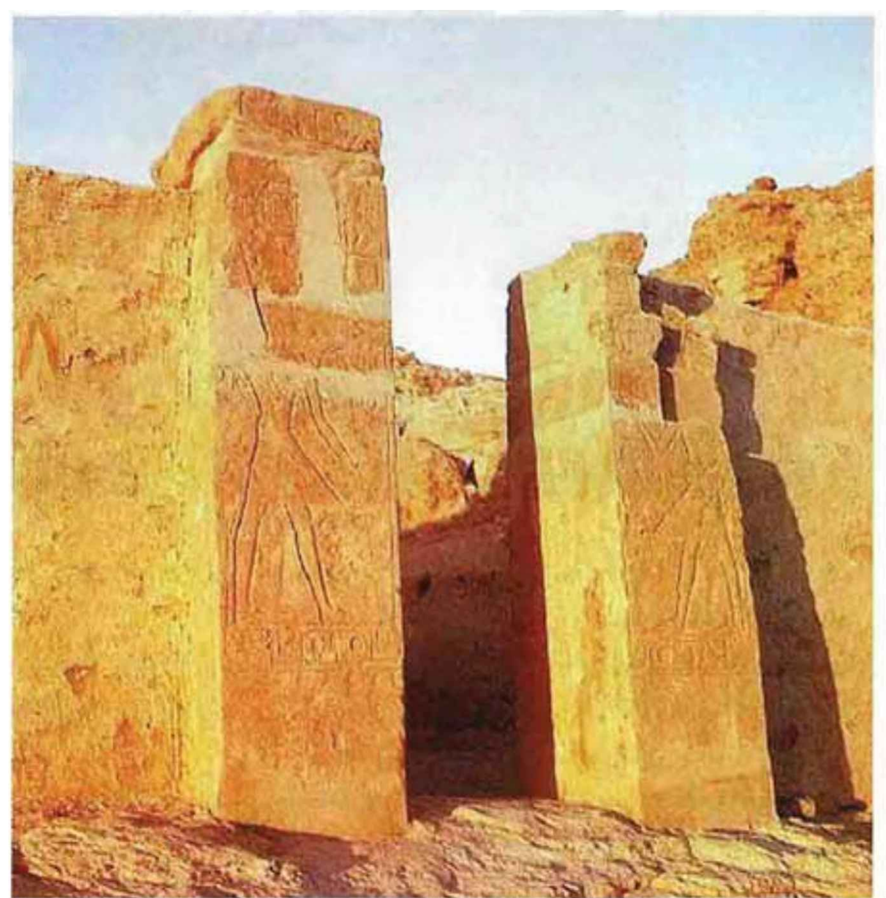
وفي عصر الدولة القديمة ازدهرت «بوهن» شمال الجندل

الثاني عند وادي حلفا، بوصفها أحد المراكز التجارية، وعرفت صهر النحاس الخام، وقامت بدور الوسيط التجاري بين مصر وإفريقية، فقد تجمعت عندها السلع الإفريقية من البخور والأبنوس والعاج والجلود لتصدرها إلى مصر، وتستورد منها العسل والزيت والملابس الكتانية والنبيذ وغيرها.

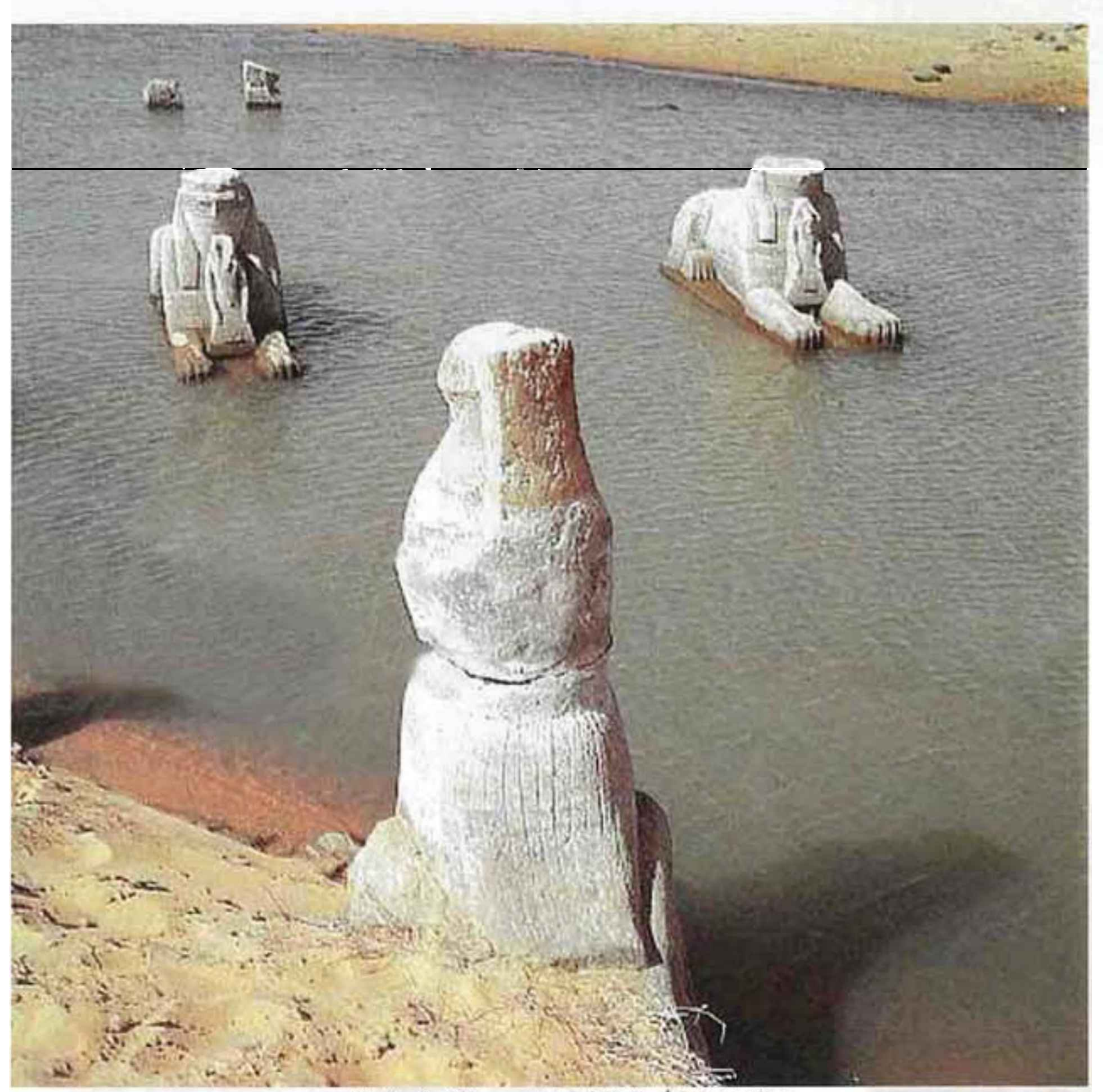
تعرضت النوبة بين عامي ٢٢٠٠ و ١٥٥٠ق.م إلى غزو من جنوب الصحراء الغربية (كردفان وما حولها) وهي ما تعرف بالمجموعة الحضارية (ج)، ولما وجدت مصر نفسها عرضة لمخاوف أمنية واقتصادية، ضمت النوبة السفلى إلى حوزتها في عصر الدولة الوسطى، وجعلت «سمنة» جنوب الجندل الثاني آخر حدودها(٤).

وفي عهد الدولة الحديثة ١٥٥٠ - ١٠٧٠ ق.م وعت مصر جيداً تحالف الكوشيين مع الهكسوس في حربهم ضد مصر، فعملت على توسيع حدودها الجنوبية، حتى غدت النوبة من الجندل الأول عند أسوان إلى الجندل الرابع جزءاً من الدولة المصرية في عهد تحتمس الثالث. استفادت النوبة من هذا الاتحاد القسري، إذ شهدت طفرة كبيرة في مجالات الزراعة والعمران والاقتصاد، وزادت معدلات الإنتاج. ولكن مع تناحر وانقسام البيت الفرعوني في مصر، ساءت أحوال النوبة، وتعرضت لنكسة حضارية، فانغلقت على نفسها حتى تأكلت حضارتها السابقة. قامت حضارة أخرى في العصر الكوشي ٧٨٠ - ٥٩٣ ق.م، أسست في «نباتا» أو نبتة (لعلها نوباتا) جنوب «الدبة»، على يد «ألارا» مؤسس الأسرة الكوشية الأولى، واستطاع خليفته أخوه «كاشتا» أن يضم بلاد النوبة السفلى لمملكة «نباتا».

من أشهر ملوك هذه الأسرة بي عنخ (بيعنخي) ٧٤٧ - ٧١٦ق.م، وشباكو «فاتح مصر» ومؤسس الأسرة ٢٥ الحاكمة في مصر (الأسرة الكوشية) التي استطاعت في عهدي طهارقا (طهراقا - طرهاقا) وتانوت أماني أن تقف أمام الجحافل الآشورية (من جنوب غرب آسيا) ولكن الكوشيين تقهقروا في النهاية إلى «نباتا» بعد أن سقطت طيبة ومنف في أيدي الآشوريين. وبذلك انهارت الأسرة الحاكمة ٢٥ الكوشية في عام ٦٦٤ق.م. وبعدها استعادت مصر نفوذها في النوبة حتى الجندل الثالث، حتى إن الكوشيين - تحت ضغط النفوذ المصري - نقلوا عاصمتهم إلى مروي جنوباً. وظلت «نباتا» العاصمة الدينية لمقدساتهم.


معبد بيت الوالي

ظهرت مملكة مروي في الفترة ما بين عامي ٥٩٣ ق.م و ٣٥٠م، واستطاعت هذه المملكة، طوال تسعة قرون، أن تؤدي دورها الاقتصادي والفكري بين مصر وإفريقية، حتى غدت مروى واحدة من أهم الممالك الحضارية في



تماثيل على شكل أبي الهول في معبد رمسيس الثاني في وادي السبوع

إفريقية، إذ استطاعت في تلك الفترة أن تقوم بتطوير كتابتين لها من ٢٣ علامة تعرف بالكتابة المروية. (ومازالت اللغة المروية تضن بأسرارها على علماء اللغات الحامية خاصة المروية).

وحينما قام بطليموس الثاني بحملة على بلاد النوبة ـ وليس إثيوبيا كما في رواية ديودور الصقلي ـ تصدى لهم الملك النوبي الشاب «أركامون» وردهم على أعقابهم، وقامت في النوبة السفلى منطقة شبه محايدة بين مروي والبطالمة عرفت باسم الاثني عشر فرسخاً Dodekaschoinos امتدت من دابود حتى المحرقة.

أما في العهد الروماني ٣٠ ق.م ـ ٦٥١م، فقد استطاعت العقلية الرومانية أن تخدع المرويين، حينما لجأت إلى حيلة قانونية أصبحت دستوراً للدول الاستعمارية حتى الآن، إذ وقّع الرومان اتفاقية مع مروي ينص أحد بنودها على بقاء النوبة

تحت سيادة مروي على أن تكون خاضعة تحت الحماية الرومانية! غير أن المرويين كشفوا هذه الخدعة، فقامت ملكة نوبية «كنداكي» [كنداكة] تدعى أماني زيناس [ريناس] بإلحاق الهزيمة بثلاثة فيالق رومانية قائدها «بترونيوس»، واحتلال أسوان وجزيرتي فيلة وإلفنتين، وأسر المئات من الرومان وأخذ الغنائم. وبعد الاتفاقية الثانية تم إعفاء النوبة من ضريبة الجزية الرومانية(٥).

إلا أن مروي تعرضت لهجمات من حدود صحراء مصر الجنوبية والشرقية ومن الصحراء الغربية، وكانت قاصمة الظهر دخول «عيزانا» ملك أكسوم حاضرة البلاد في ٣٥٠م حتى انهارت مروي تماماً.

عندما وقعت النوبة تحت نفوذ البليميين والنوباديين [النوباطيين] (المجموعة الحضارية س)(٦) قاوم البليميون والنوباديون الوثنيون دخول المسيحية في النوبة، ولكن الدين الجديد كان يشق طريقه نحو مصر، واستطاع بعض التجار والمسيحيين الهاربين من اضطهاد الرومان أن يجدوا في النوبة ملاذاً وأرضاً بكراً لنشر المسيحية، فاعتنق بعض النوبيين المسيحية منذ القرن الرابع الميلادي على الأقل.

ومع بداية القرن السادس الميلادي كانت في النوبة ثلاث ممالك مستقلة:



الملكة تيا أم توت عنخ آمون

- مملكة نوباديا (نوباتيا) من الجندل الأول إلى الجندل الثالث وعاصمتها «فرس» ويطلق عليها مملكة المريس (يبدو أنه كان اتحاداً بين النوبة السفلى والعليا).

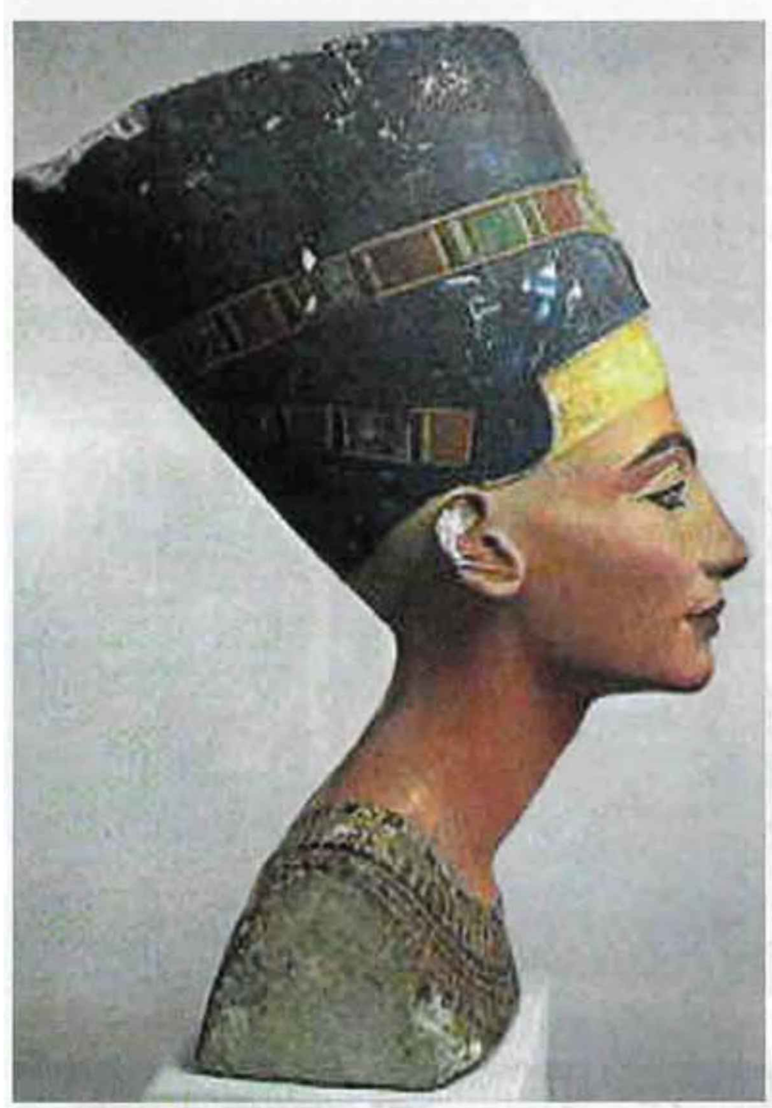
- مملكة المقرة، من دنقلة العجوز (العاصمة) إلى المنطقة الواقعة بين الجندلين الرابع والخامس.

- مملكة علوة، إلى الجنوب من مروي القديمة، وعاصمتها «سوبا» على النيل الأزرق شمال شرق الخرطوم.

اعتنقت «نوباتيا» المسيحية في عهد الإمبراطور البيزنطي جستنيان ٥٢٧ ـ ٥٦٥م، بفضل جهود المبشر جوليان [يوليان]، الذي أقنع سلكو ملك نوباتيا باعتناق الدين الجديد في ٥٤٣م، ثم دخلت «علوة» في المسيحية عام ٥٨٠م. وكان للإمبراطورة تيودورا الفضل في نشر المذهب المونوفيزي في نوباتيا وعلوة، بينما اعتنقت المقرة المذهب الديوفستي(٧).

النوبة والإسلام

بعد أن فتح عمرو بن العاص مصر في ٢١هـ/ ٦٤١م، تقدمت في العام نفسه فرقة من الجيش الإسلامي بقيادة عقبة بن نافع باتجاه النوبة السفلى، لكنها واجهت مقاومة شديدة من النوبيين حتى أطلق عليهم العرب رماة الحدق لمهارتهم في رماية السهام، وعقب ذلك توقفت محاولات المسلمين عن التوغل في النوبة السفلى حتى سنة ٣١هـ/٦٥١م ثم واصل



نفرتيتي

عبدالله بن سعد بن أبي السرح جهود عمرو، حتى كانت موقعة دنقلة الشهيرة بين العرب والنوبة في ٣١هـ/ ٦٥١م التي قال فيها الشاعر:

ولم تر عيني مثلَ يوم دمقلهْ
والخيلُ تعدو والدروع مثقلهْ

وفيها أصيبت عيون ثلة من التابعين، منهم معاوية بن حديج وغيره. ووقعت اتفاقية تاريخية بينهم هي «اتفاقية البقْط» التي ظلّت سارية المفعول من ٣١هـ إلى ٧٢٣هـ، وقد اعترتها تعديلات كثيرة على مر القرون أمدّت في عمرها، وهي أشبه الآن بالهدنة ومعاهدات عدم الاعتداء وحسن الجوار(٨).

ظلت أوضاع دنقلة في عصر الولاة ٤٠ - ٩٢٦هـ/ ٦٦٠ - ١٥٢٠م يتخللها الكثير من الحروب والمعارك والقلاقل، ولعلها لم تنعم بالاستقرار إلا بعد ١٥٢٠م. من أهم أحداث تلك الفترات إقامة إمارة ربيعة الثانية (الأولى في البجة) في بلاد النوبة ٣٩٧م، بقيادة أبي المكارم هبة الله من ربيعة الفرس، المؤسس الثاني لإمارة الكنوز في النوبة. مازالت المنطقة تسمى باسمه (الكنوز).

وفي العصر الحديث استيقظ النوبيون على وقع العاديات من خيول السلطان سليم الأول، الذي أرسل حملة بقيادة حسن قوصي (من قوصوة أي كوسوفا في البوسنة) فاحتل قصر الدر، وقام أولاده وأحفاده من بعده بالحكم الإقليمي للنوبة حتى الجندل الثالث (يسمون الكُشّاف) تحت رعاية الخلافة العثمانية حتى ١٩٠٣م. ومازال الكُشّاف موجودين في النوبة حتى الآن.

ومن الأحداث المهمة في تاريخ النوبيين بناء خزان أسوان عام ١٩٠٢م ثم التعلية الأولى عام ١٩١٢م والثانية عام ١٩٣٣م وبناء السد العالي بين عامي ١٩٦٠و ١٩٧٠م، وتهجير النوبيين من النوبة القديمة التي عاشوا عليها السنين إلى النوبة الجديدة شمال أسوان في أكبر هجرة جماعية منظّمة عرفتها البشرية بين عامي ١٩٦٣و١٩٦٤م.

ملامح من الحياة النوبية

كانت الحياة في النوبة القديمة مرتبطة بنهر النيل، وكان النظام القبلي العشائري هو الذي يحكم العلاقة بين الناس في معاملاتهم القضائية (العُرف) والاجتماعية. أما الآن فإن المجتمع النوبي بدأ يتفلّت من سلطة القبيلة، خاصة في المدن الكبرى - إلا في الحوادث الكبيرة - فإنه يلجأ لنفوذ القبيلة في القرية والمدينة.

ينقسم المجتمع النوبي في مصر مجموعتين:

- مجتمع القرية (٤٠) قرية.

- مجتمع المدينة (القاهرة، الإسكندرية، السويس، الإسماعيلية، بور سعيد، قنا وإسنا).

أما من حيث المجموعات العرقية:

- فالكنوز، جنوب أسوان، أول بلاد النوبة من الشمال. تمتزج فيهم الدماء الحامية القوقازية والعربية (القوقازيون السود على حد تعبير د. جمال حمدان) يتحدثون الكنزية (ثلث اشتقاقاتها عربية) وهي توأم اللغة الدنقلاوية في السودان.

- وادي العرب، منهم نسبة تنتمي إلى عرب عقيل. نزلوا النوبة في مطلع القرن الحادي عشر الهجري(٩). يتكلمون العربية القريبة من لهجة ربيعة بني كلب إحدى بطون قضاعة، حيث يكسرون آخر حروف الكلام، وكسر كاف الخطاب وهو ما يسمى «وكما»(١٠).

- النوبيون «فديجة»، وهم من أقدم العناصر مع الكنوز في النوبة السفلى، يتحدثون النوبية ومعهم المسكوت والمحس في السودان.

كان من سمات المجتمع القديم، البيت النوبي، الذي كان يبنى عادة من الحجر والطين والرمل، وتغطّى الأسطح بجريد النخيل أو أعواد الذرة، وتفرش الأفنية بالرمل الأصفر، وتزدان الغرف الأخرى بالرسومات والزخارف. أما واجهات المنازل فكانت تزدان بقوالب من الطوب على شكل مثلثات معكوسة وزخارف أخرى، وكان من العادة لصق الصحون والأطباق الخزفية على الواجهات، وفوق عتبات الأبواب الخارجية.

وكان البيت النوبي مفتوحًا دائمًا خاصة وقت الصيف، ولعل من أجمل التعليقات التي سمعناها عن وداعة النوبيين مؤخرًا، ما قاله الفنان الرسام هبة عنايت في ندوة بجمعية التراث النوبي في عام ١٩٩٧م: حينما دخلنا الحوش أنا وزوجي، وجدنا فرشًا على الأرض فنمنا عليه، وحينما استيقظنا صباحًا، لم تسألني صاحبة الدار العجوز من نحن؟ ومن أين أتينا؟! بل قدموا لنا شاي الصباح وسط ذهولنا.

وكانت الفتيات يقمن بالرسومات الجدارية على حسب طبيعة المناسبة (زفاف، حج، سفر، عودة، ميلاد..).

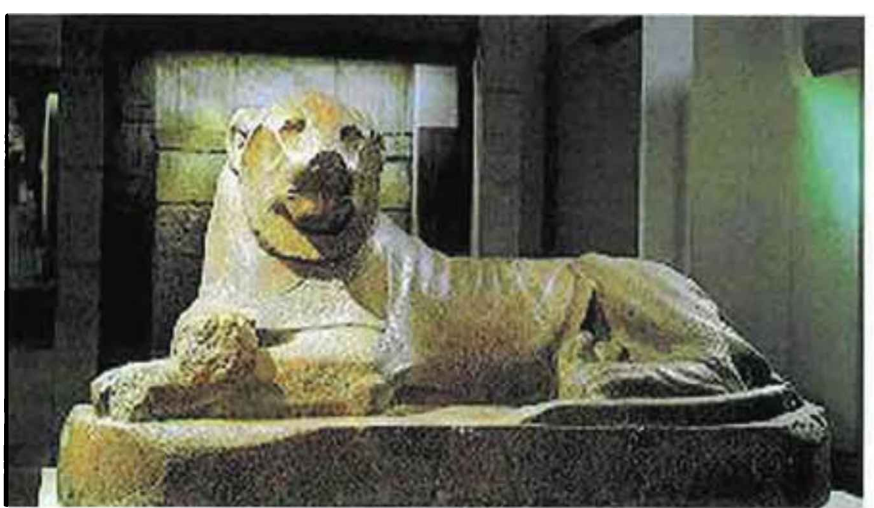
وقد اشتهرت بعض النساء النوبيات قديمًا بتشكيل الفخار (طواجن الطعام) وإكسابه نعومة



تمثال من الجرانيت لرمسيس الثاني



رأس طهراق بمعبد كوة



تمثال أسد من الجرانيت

الطبقة الداخلية ولمعان الخارج وبريقه، مما يدل على التوارث والتواصل الفطري.

أما حليّ المرأة النوبية، فهو يلفت انتباه كل من يشاهدها، ومن أشهر أنواعها: قلادة البيه، والجكّد، والدُّقة، والسعفة، والقرط في شحمة الأذنين (أشهرها القمر بوبة) والخزام في الأنف وغيرها من الحلي. وللذهب تاريخ في بلاد النوبة، فهو زينة وادخار في بلاد لا تعرف المصارف.

الصناعات البيئية

كانت المرأة النوبية قديماً، تصنع معظم أدوات المنزل من خامات البيئة، فكانت تصنع السلال والحصر من سعف النخيل، والمكانس من لوف النخيل والعراجين، وأطباق الخوص المتعددة الأحجام والألوان ومصليات الصلاة على شكل مستطيل طوله متر ونصف المتر وعرضه نصف متر يشبه ظل المئذنة على الأرض.

وتعد السلة (المرجونة أو الكَرج) من أعز مقتنيات المرأة النوبية، إذ تفنن في صنعها، خاصة ما تحتفظ به مما تملكه من أدوات الزينة وغيرها. أما أطباق الخوص فلها مكانة عزيزة عندها خاصة ما يصنع في المناسبات السعيدة، وهي تعرف طبقها من بين عشرات الأطباق، كما يعرف البدوي الأثر على الرمل. أما الآن فإن المرأة النوبية تصنع معظم مقتنياتها من الخيوط والألياف الصناعية خاصة المكرمية (الشعلوب)(١١).

وكانت المرأة النوبية تصنع أغطية الرأس (الطاقية) بألوان زاهية ورسومات من البيئة تتفق وطبيعة المناسبة والسن والذوق الشخصي لحاملها (الأب، الخال، الزوج، الخطيب، الأخ).

أما مراسم الزواج في النوبة القديمة، فقد كانت لها طقوس أكبر مساحة من الآن، فقد كانت تمر بسبع مراحل (رقم سبعة له مدلول عند النوبيين):

- الكلام: تذهب والدة العريس ومعها ابنتها الكبرى أو شقيقتها إلى منزل والدة العروس، لاستطلاع الموقف من الطلب الرسمي من الإيجاب أو القبول، وتعطي أم العروس إشارات لفظية وتلميحات بالوجه من بشر وفرحة تكون بادية على محياها، وقراءة الوجوه هنا كافية على كل دلالة. ويكون

تمثال من البرونز للأمير بيبلوس (١٨٠٠ ق.م) - سويسرا


تمثال من البازلت - كرمة ١٨٥٠ق.م (موجود بمتحف بوستون)

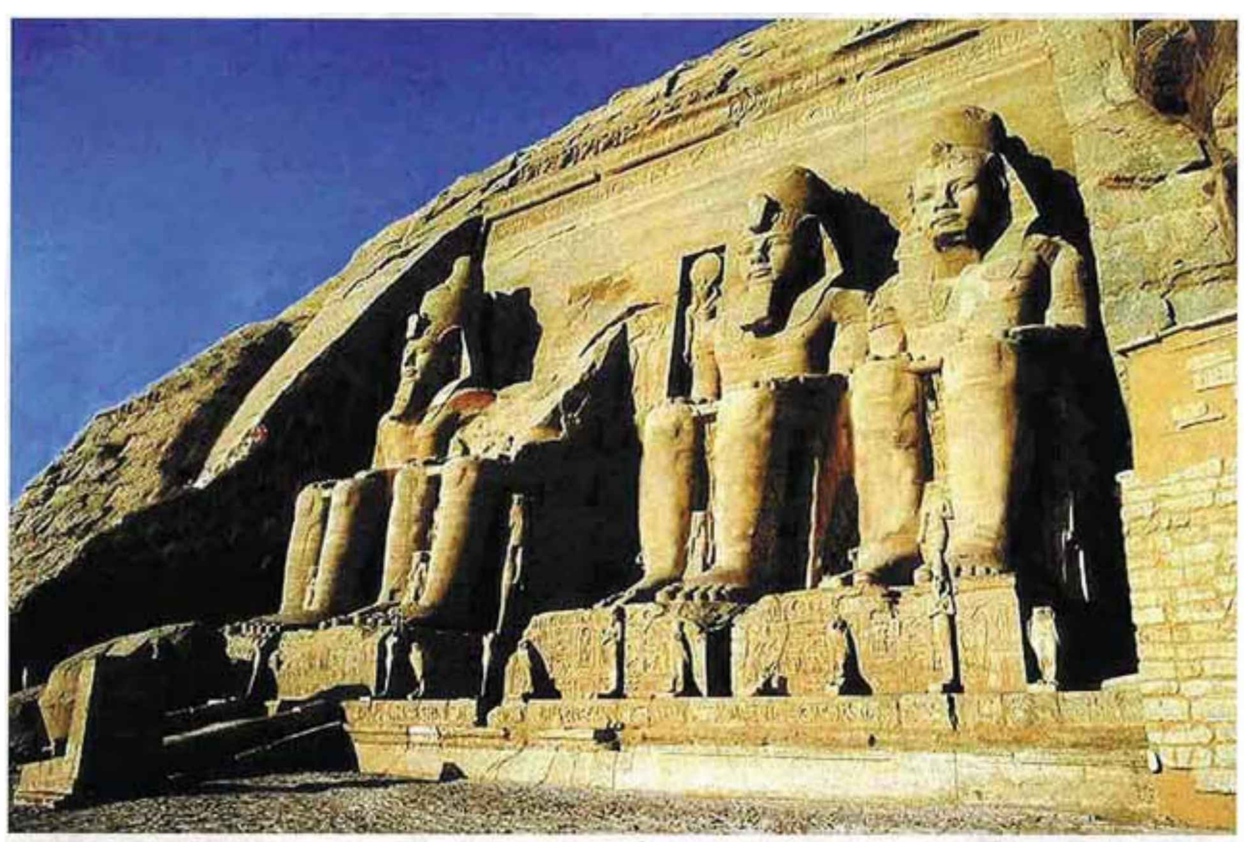
جوابها التقليدي عرض المسألة على والد العروس وأعمامها وإخوتها.

ـ **الوجاهة**: فيها تتم المرحلة العملية للزواج بقراءة الفاتحة، ثم تقديم جزء من مقدم الصداق والشبكة من الحلي الذهبية على حسب المقدرة، عن طريق والد العريس أو من ينوبه، وفيها يتم تحديد «الشيلة» وهي تنم على التكافل أكثر مما تنم على أي شيء آخر. وهذه العادة كانت موجودة عند الكنوز، وليس لها نظير عند النوبيين والعقيلات(١٢).

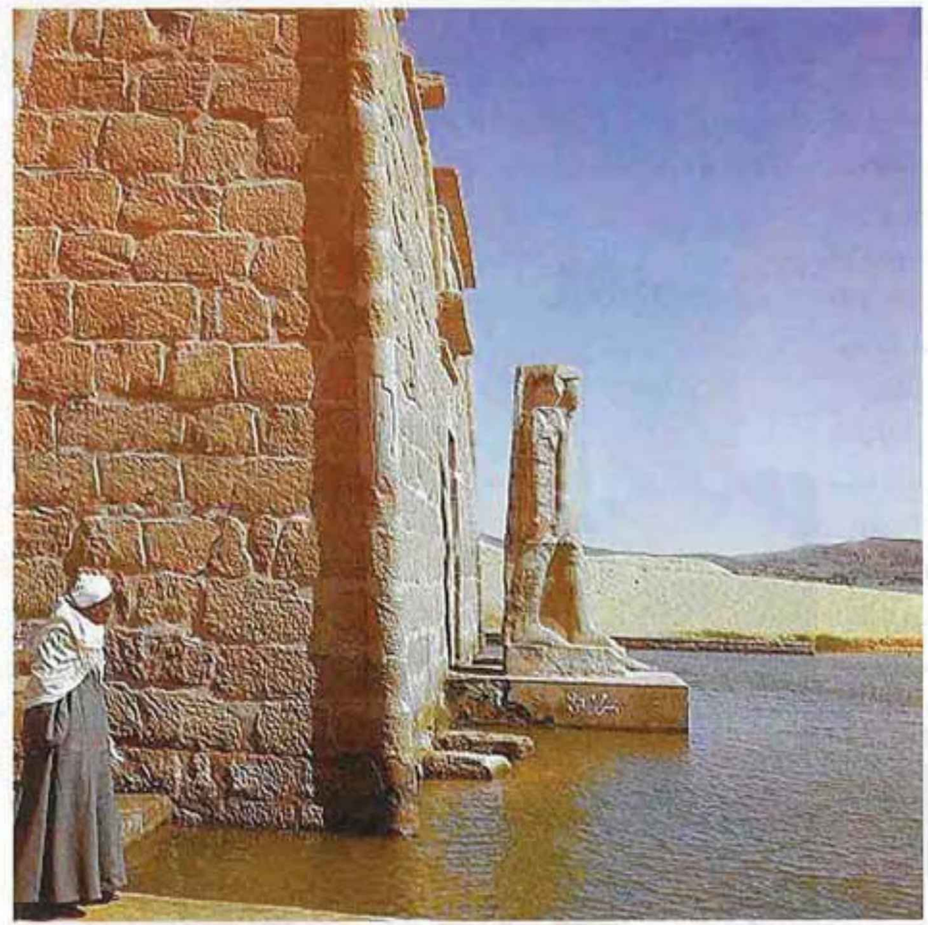
ـ **الشيلة**: وفيها يرسل العريس هدية لعروسه وهي جوال دقيق، وشاي، وسكر، وكبريت، وملح، وشحم، وزيوت لدهان الشعر، وزجاجات الشربات، وملابس العروس وأدوات الزينة من الصابون والعطور وغيرها، وتسير النساء بالشيلة بعد صلاة العصر وهن يزغردن، يسبقهن الرجال وهم يرددون قصائد المدائح النوبية حتى يصلوا إلى منزل العروس، فيستقبلون بالترحاب ويقيم والد العروس لهم وليمة بذبيحة من الضأن.

ـ **تقديم المهر**: ليس للمهر طقس في النوبة، فهو يقدم في يوم كتابة العقد، وكان المهر بين عشرة جنيهات وعشرين، يدفع نحو نصفها مقدم صداق. أما الآن فإن المهر لا يزيد على خمسين جنيهاً، ولما كثر زواج غير النوبيين بالنوبيات، رأت الجمعيات الخيرية بالقاهرة أن تحفظ حقوق البنات، فقررت معظم الجمعيات أن يكون مؤخر صداق الفتاة النوبية المتزوجة من غير النوبي ٥ آلاف جنيه، ومقدم الصداق يكون غالباً ٢٥ قرشاً.

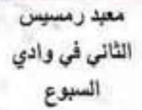
ـ **ليلة الحنة**: من الليالي المهمة في مراسم الزواج، وفيها يولم العريس ذبيحة من الضأن، وتقوم أم العريس غالباً «بتحنية» ابنها وسط زغاريد النساء، أما العروس فتقوم سيدة متخصصة بتحنينها (تسمى الماشطة أو الحنانة الآن)، وتفتن الماشطة في رسم حنة العروس ومن معها من أهلها خاصة شقيقاتها وإخوتها. وتقوم الماشطة بدهن كل جسد العروس بالحنة والدلكة وغيرها من أدوات الزينة والتجميل، لتكون العروس في أبهى زينتها لوناً ورائحة.



رمسيس الثاني في (أبي سمبل)

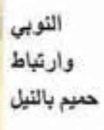


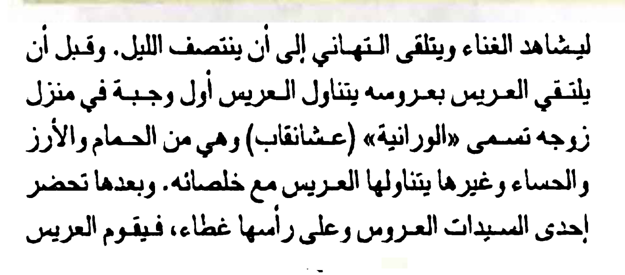
- النقوط: وهي من المراسم المهمة، يأتي العريس في العصر بعد أن يحلق شعره، ويستحم ويتطيب، وتبدأ أم العريس بداية وضع النقوط وهي غالبًا قطعة من الذهب، ويتوافد الأقربون بنقودهم لنقوط العريس، حيث يجلس كاتب يدون المبالغ المدفوعة في كراسة، ويمدحون كرم الشخص الذي يدفع النقوط، إذ ينادي الشخص الموكول له بالمدح: خلف الله وخلاف الخير فلان الفلاني نقط العريس ٢٠٠٠جنيه.. ويكون المبلغ المدفوع ٢٠٠٠ قرش! ويشهر هذا الشخص السيف عاليًا ويهزه عدة مرات عند دفع المبلغ مع المديح السابق. والنقوط في النوبة واجب لابد أن يقضى ولو بعد أمد بعيد.



معبد رمسيس الثاني في وادي السبوع

- ليلة الزفاف: تقام استعدادات الوليمة الكبرى منذ تباشير الصباح، فتوقد النيران، ويذبح الثور والأغنام منذ الصباح، ويدعو العريس الناس لزفافه راكبًا جملاً ومعه وزيره وأخلص أصدقائه، وهناك من كان يدعو الناس قبل ليلة الزفاف بيوم أو يومين، ويتناول





النوبي وارتباط حميم بالنيل

الناس وليمة الغداء (هناك مناطق تولم في العشاء) في منزل العريس، وبعدها يذهبون ليستحموا ويتطيبوا ليشاهدوا الرقص والغناء الجماعي، وبعد غياب الشمس يتوجه ركب العريس إلى منزل العروس بالزغاريد، ويلامس العريس بسيفه المدخل الأعلى للباب ثلاثًا، ويجلس العريس على سرير مخصص له ليشاهد الغناء ويتلقى التهاني إلى أن ينتصف الليل. وقبل أن يلتقي العريس بعروسه يتناول العريس أول وجبة في منزل زوجه تسمى «الورانية» (عشانقاب) وهي من الحمام والأرز والحساء وغيرها يتناولها العريس مع خلصائه. وبعدها تحضر إحدى السيدات العروس وعلى رأسها غطاء، فيقوم العريس

بكشف الغطاء ولا تتكلم العروس حتى يعطيها مبلغاً من المال كهدية. وتكون العروس متهيبة للموقف أكثر من العريس خاصة إذا كانت من بلدة أخرى، أو لا تربط بينهما صلة قرابة، أو ربما لم يشاهد أحدهما الآخر إلا لماماً.

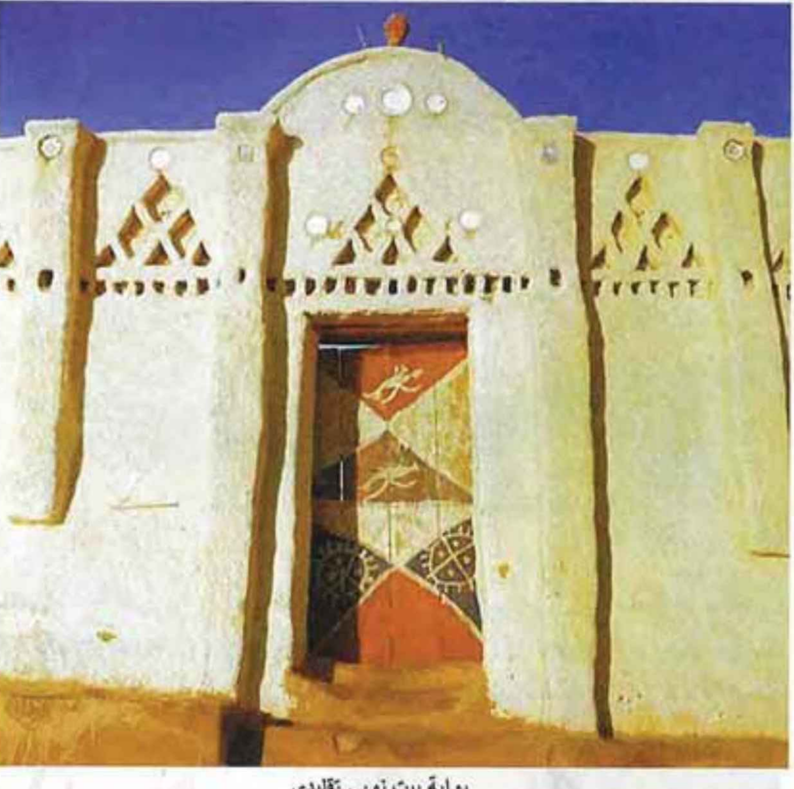
وقد أوجز د. محمد رياض في كتاب «رحلة في زمان النوبة»، وأجاد في أهمية دور الخال والنيل والرقم سبعة ورش اللبن وغيرها في طقوس الزواج. ومن أهم السمات التي لا يعرفها إلا النوبيون، دور الجيران في طقوس الزواج، وكيف أنهم في بعض الأحيان يتركون منازلهم للضيوف طيلة أيام الزفاف، وينزلون على بعض أقاربهم على أنه واجب اجتماعي تجاه جارهم السعيد.

ويمكث العريس في بيت العروس ما شاء له أن يمكث، قد يرحل بعروسه بعد سبعة أيام.

ومن العادات النوبية المنقرضة الآن أن الزوجة لا تستطيع أن تنادي زوجها مجرداً بالاسم، حتى لو كانا معاً دون ثالث، فإذا أرادت أن تنادي اسمه وهو في غرفة الاستقبال مع الضيوف لتقدم له الطعام مثلا تقول: خذ الطعام، من وراء الحائط دون أن تظهر. وأما في الحديث مع صويحباتها عنه في غيابه فتقول: (رجلنا أو رجلي أو رب الأسرة). بل تتمادى النساء النوبيات في توقير الرجل حتى تمتنع الواحدة منهن في أن تأكل مع بعلها في إناء واحد، فإذا فعلت إحداهن ذلك فمعناه أن الرجل رخو والمرأة غير مؤدبة! ويصبحان حديث الناس، بل قد يفقد الرجل مكانته الاجتماعية. أما الحماة فإنها تتجنب المكان الذي به زوج ابنتها، وكثيراً ما كنت أرى نساء يختبئن خلف جدار خوفاً من رؤية زوج ابنتها لها في أثناء اجتماعه بالرجال في عرض الطريق مثلاً، وكذلك تفعل أم العريس حينما توقر والد عروس ابنها «صهرها» أو إخوة العروس، ومنهم من يكون في عمر أولادها.

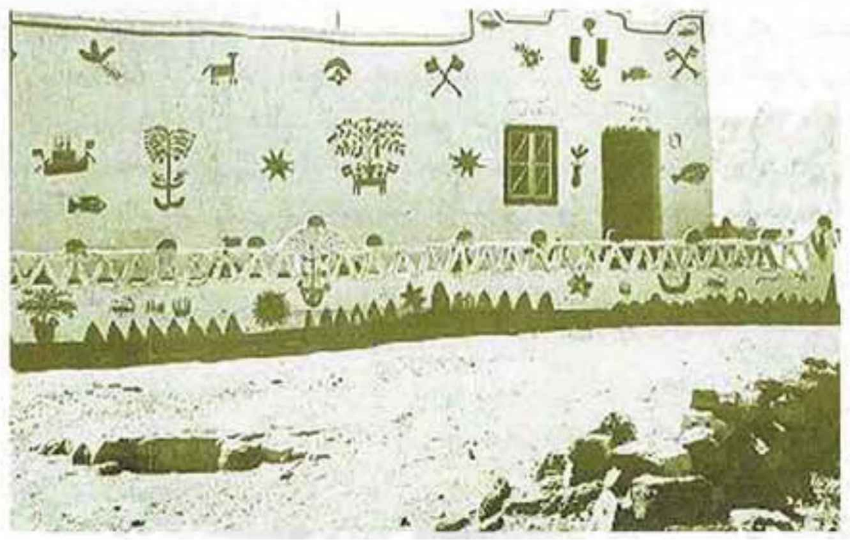
هذه في عجالة غيض من فيض من مراسم الزواج في النوبة.

بقايا معبد الدندور

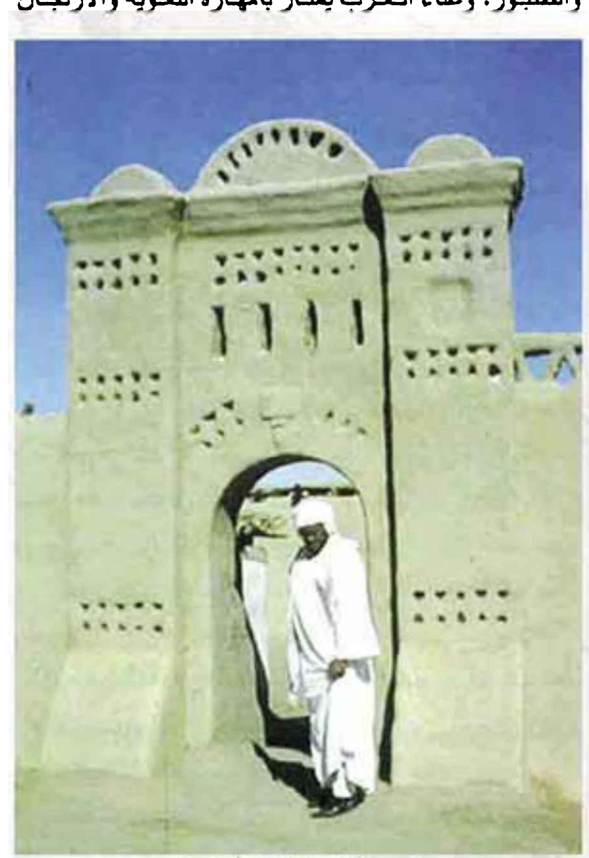


بوابة بيت نوبي تقليدي

الغناء النوبي: من أبرزها الغناء الفردي والجماعي. وأغاني النوبة شجية، وهي عند الكنوز فخر ومدح وإشادة، و«الكف» هي السمة المميزة عند الكنوز، وهناك أغان تراثية تتفاعل بحصاد القمح ووفرته. وهناك أغاني مناسبات، فالأم تغني بينها وبين نفسها بصوت رخيم لعودة ابنها المسافر، والمراكبي يرفع عقيرته على سطح النهر، والفتاة تترنم بأغنيات العصر، والعروس تصدح بالشوق لحبيبها الغائب. ويمتاز الكنوز بغناء المدائح النبوية دون آلات موسيقية، يحفظها الكبار والشباب والصغار.


نباتات وحيوانات تزين جدار بيت نوبي

أما غناء عرب العقيلات فهو بالعربية مصاحبا الدف والطنبور. وغناء العرب يمتاز بالمهارة اللغوية والارتجال


نوبي باللباس التقليدي أمام بيته

المحكم البناء، إذ المعاني الجديدة والصور والأخيلة التمثيلية، ما بين الفخر والكرم والتطلع لحياة أفضل.

أما غناء النوبيين «الفديجة» فهو في غاية البراعة، فيصدح مطرب شجي النبرة، وتتهادى رقصات الرجال والنساء في انسيابية وخفة وهدوء (الأراجيد). والمشاركة الجماعية في الغناء والرقص في الأفراح يكون لدى الجميع بمنزلة واجب اجتماعي أكثر منه متعة شخصية أو ترفيهاً.

الغريب في الأمر أن الكنوز يرقصون في أفراحهم بالسيوف ويسمى (برجيب)(١٣) وهذا من تأثير البجة على المنطقة، ومعروف هذا النوع من الرقص لدى عرب العقيلات.

أما في حالة الوفاة، فإن العبابدة يستعملون «النقارة» في تعديد مناقب المتوفى لديهم، أما الكنوز فإن المناحة تكون للسيدات بشعر موزون مؤثر يقطع نياط القلوب، وكانت طقوس الوفاة لدى الكنوز والنوبة صاخبة. والمرأة النوبية كانت تحزن على زوجها أكثر من ربع قرن، ترتدي فيه ملابس الحداد. وترفض الزواج من أي طارق مهما كانت حالته المادية، ومهما كانت حالتها المعيشية سيئة. إلا في حالة زواج شقيق المتوفى أو أخيه بها لتربية الأبناء ولعدم شعورها بالحرمان وإخراجها من عزلتها التي ربما تمتد معها إلى آخر حياتها.

الآثار: يوجد في بلاد النوبة السفلى ستة عشراً معبداً وخمسة هياكل، عدا الجبانات والقلاع والحصون والمقاصير

وغيرها. وهي من الشمال إلى الجنوب:

ـ معبد فيلة: كان يقع على جزيرة صغيرة وسط نهر النيل، جنوب خزان أسوان، وكانت المياه تغطيها من شهر ديسمبر/كانون الأول إلى مطلع أبريل / نيسان سنوياً، فلا يبلغها الزائر إلا على زوارق. ثم تنحسر عنها المياه ما بين مايو /أيار وديسمبر/كانون الأول. من أقدم معابدها مقصورة شيدها طهارقا عام ٧٠٠ق.م. وتسمى هذه الجزيرة أيضاً أنس الوجود(١٤). وشيد معبد فيلة في عهد البطالمة لعبادة إيزيس.

ـ معبد دبود: بنى الجزء الأكبر منه الملك النوبي أزخر آمون أحد ملوك مروي، وأكمله بطليموس الثالث الروماني. ونقل هذا المعبد إلى جزيرة أسوان في عام ١٩٦٠م(١٥).

ـ معبد قرطاسي: بني في عصر الرومان، وتهدمت معظم أجزائه في القرن العشرين. قامت مصلحة الآثار بنقل حجارته إلى جزيرة أسوان في عام ١٩٦٠م(١٦).

ـ معبدا تافا: تهدم معظمهما، اختفى أحدهما، لأن الأهالي استخدموا حجارته في بناء منازلهم أوائل القرن العشرين! وقامت مصلحة الآثار بفك المعبد الثاني ونقله إلى جزيرة أسوان.

ـ معبدا كلابشة: وهما من أكبر معابد النوبة السفلى، الأول نحته رمسيس الثاني (القرن ١٣ ق.م) في صميم الجبل، والآخر شيده أغسطس قيصر (٣٠ ق.م) على أنقاض معبد قديم لأمنحتب الثاني (القرن ١٥ ق.م)، وبهما تسجيل لبعض كتابات الملك النوبي سلكو بعد انتصاره على البلميين في القرن الخامس الميلادي. تم نقل معبد كلابشة من مكانها الأصلي الذي يرتفع ١١٠ أمتار فوق سطح البحر إلى موقع جديد على الشاطئ الغربي بعيداً عن النيل وقريباً من السد العالي.



أعمال يدوية

ـ معبد بيت الوالي: أول المعابد الستة التي نحتها رمسيس الثاني في صخور بلاد النوبة. حول هذا المعبد إلى كنيسة(١٧).

ـ معبد دندور: على الشاطئ الغربي للنيل، على بعد ٧٨ كم جنوب أسوان، شمال مرواو، شيد المعبد الإمبراطور أغسطس عام ٣٠ق.م. وبه نص مكتوب باللغة القبطية يروي تحويل المعبد إلى كنيسة، وذلك في عام ٥٧٧م(١٨). في عهد الملك النوبي اكيسبا نومي.

ـ معبد جرف حسين: يقع على بعد ٩٠كم جنوب أسوان، وهو ثاني معابد رمسيس الثاني المنحوتة، أقام هذا المعبد «ستاو» حاكم كوش (النوبة) باسم رمسيس الثاني. وقد استعان ستاو ببعض الفنانين المحليين في تشييده، فأتى المعبد دون مستوى الفن المصري العريق في بناء المعابد والقصور وغيرها(١٩).



أطباق من سعف النخيل تبدع في صنعها المرأة النوبية

ـ معبد الدكة: من المعابد الكبرى ببلاد النوبة، يقع على بعد ١٠٧كم جنوب خزان أسوان، شيده الملك النوبي أركامون في عصر البطالمة. تحول هذا المعبد إلى كنيسة(٢٠).

ـ قلعة كوبان: على مسافة ١١٠كم جنوب الخزان، من أكبر قلاع النوبة أقيمت لحراسة الطرق المؤدية إلى مناجم الذهب


عريس وعروس نوبيان بالثياب التقليدية والزينة الخاصة بالعرس

بوادي العلاقي، وهي بالضفة الغربية للنيل، والقلعة تعود إلى عصر الدولة الوسطى (الأسرة١٢)، ولم يبق منها إلا أجزاء قليلة.

- معبد وادي السبوع: على بعد ١٥٠كم جنوب الخزان، وهو ثالث معابد رمسيس الثاني في النوبة حُوِّل المعبد إلى كنيسة، وتم نقله إلى مكان مرتفع عن منسوب النيل بعد بناء السد العالي.

- معبد عمدا: على بعد ١٨٥كم جنوب الخزان، وهو أقدم معابد النوبة، شيده تحتمس الثالث، ثم زاد عليه ابنه أمنحوتب الثاني ثم حفيده تحتمس الرابع (القرن ١٥، ١٤ ق.م) تحول المعبد إلى كنيسة. تم نقل هذا المعبد إلى مكان مرتفع.


الرسم بالحناء فنّ تجيده المرأة النوبية

- **معبد الدر:** يقع على بعد ٢٠٠ كم من الخزان، رابع معابد رمسيس الثاني في النوبة، وأول معبد كنا نلقاه على الضفة الشرقية للنيل. وبعد بناء السد العالي، اقتطعت حيطان المعبد ونقلت إلى موضع أمن في البر الغربي قبالة موضعه القديم، على مقربة من منطقة عمدا(٢١).

- **قلعة قصر إبريم:** تقع على ارتفاع ٢٠٠ قدم من سطح النيل بالضفة الشرقية، وهي قلعة ومدفن منذ الرومان، وهي القلعة التي اتخذها جنود السلطان سليم الأول في أثناء إقامتهم لغزو النوبة عام ١٥٢٠م، وبها بقايا كنيسة تعد من أجمل الأبنية الكنسية في بلاد النوبة، وقد عثرت بعثة جامعة كمبردج في موسمي ١٩٦٣ و١٩٦٤م على بردية مشهورة، فيها تنصيب لأسقف على فرس وإبريم في عام ١٣٧٢م، تحت إشراف الخبير الأثري ج.م. بلملي أستاذ الآثار المصرية بالجامعة(٢٢).

- **معبدا أبي سمبل:** نحتهما رمسيس الثاني وهما المعبد الخامس والسادس في بلاد النوبة له، شيد المعبد الأول الكبير له والآخر لزوجه النوبية الملكة نفرتاري. المعبد الأول ارتفاعه ٣٠م وعرضه ٤٠م، وهو أربعة تماثيل ضخمة لرمسيس الثاني جالساً على العرش، يبلغ ارتفاع الواحد منها ٢٠م.

ومعبدا أبي سمبل لا نكاد نرى لهما مثيلا بين الآثار المصرية الكثيرة التي أقامها الفراعنة في طول البلاد وعرضها(٢٣).

ومن المفارقات العجيبة أن تماثيل الملك رمسيس الثاني كانت

مطمورة في الرمال آلاف السنين، حتى اكتشفها بمحض المصادفة الرحالة السويسري المشهور جون لويس بوركهارت في ٢٢ مارس/آذار عام ١٨١٣م، حينما كان بوركهارت يبحث عن ابنه الذي ضل الطريق، فلما صعد الأب فوق الرمال المتراكمة وجلس ليستريح، وجد نفسه أمام أربعة رؤوس تماثيل ضخمة مدفونة في الرمال، فأبرق إلى مبتعثيه، وفي عام ١٨١٦م وصل عالم الآثار الإيطالي جيوفاني بلزوني على رأس بعثة، وتوصلوا في يوليو/تموز عام ١٨١٧م إلى كشف المعبد(٢٤).

وبوركهارت هو أول من تنبأ بأن «كيمان جحا» الرملية في بلانة وقسطل ليست من عوامل الطبيعة، وإنما هي من صنع الإنسان، حتى تحققت نبوءته في عام ١٩٠٧م عن طريق بعثة رايزنر - فيرث، ثم في عام ١٩٣١م على يد بعثة امري - كيروان التي اكتشفت بقية الجبانات الملكية في بلانة وقسطل.

تم نقل معبد أبي سمبل من ١٦ نوفمبر/تشرين الثاني عام ١٩٦٣م - ٢٢ سبتمبر/ أيلول عام ١٩٦٨م بفضل النداء الذي أرسله إلى العالم د. ثروت عكاشة وزير الثقافة والإرشاد القومي آنذاك، واستجابت اليونسكو للنداء، وتضافرت جهود دول العالم أول مرة بعد الحرب العالمية الثانية على إنقاذ آثار النوبة من الغرق - إلى مكان أعلى من مكانها القديم بارتفاع ٦٤م وللداخل بمسافة ١٨٠م. ومازال معبدا أبي سمبل يبهران السائحين كل صباح جديد بروعتهما وضخامتهما.

- **معبد أبي عودة:** يقع أمام معبدي أبي سمبل، نحته في الصخر الملك حورمحب (أول ملوك الأسرة ١٩) ويعده بعض الأثريين من أجمل المعابد من الناحية الفنية. وقد تحول المعبد إلى كنيسة.

وجاء متحف النوبة الذي افتتحه الرئيس محمد حسني مبارك في عام ١٩٩٧م، تتويجاً لجهود اليونسكو في الحفاظ على التراث العالمي من الآثار، ليضم آثار النوبة من التماثيل والمقتنيات وغيرها، على مساحة ٥٠ ألف م٢.

الهوامش والمراجع

- تتركز المقالة بشكل رئيس حول ما يعرف بالنوبة المصرية. وكانت «الفيصل» قد نشرت استطلاعاً مصوراً بالعدد ٢٨٥ تناول متحف السودان القومي الذي يضم كثيرا من الآثار النوبية التي تم العثور عليها في شمال السودان، إلى جانب أن هناك أهرامات ومعابد في هذه المنطقة. أما العادات والتقاليد فتتقارب بين النوبتين المصرية والسودانية لما بينهما من تداخل وصلات رحم، ويأتي الاختلاف نتيجة للتأثيرات الاجتماعية من البيئة المحيطة بكل منهما. [الفيصل]

١. متحف النوبة، وزارة الثقافة والمجلس الأعلى للآثار، ص٢١، القاهرة ١٩٩٦م.
٢. بلاد النوبة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ص٤٤، القاهرة ١٩٦٢م.
٣. متحف النوبة، ص٢٣.
٤. المرجع السابق، ص٢٥.
٥. بلاد النوبة، د. عبدالمنعم أبو بكر، ص٣٧، المكتبة الثقافية، ٥٨ القاهرة ١٩٦٢م.
٦. اكتشفها الأثري المعروف ولتر امري، كيروان في ١٠ نوفمبر ١٩٣١م، وهي المشهورة بالجبانات الملكية في بلانة، وقسطل، ومنه عرف العلماء الكثير عن حضارة «س» المجهولة حتى آنذاك وكانت بعثة ريزنر. فيرث من ١٩٠٧ - ١٩١١م. قد اكتشفت ١٥٠ جبانة في منطقة الجندل الأول، ثم أكملت بعثة امري - كيروان بقية الاكتشافات الملكية. انظر مصر وبلاد النوبة، وولتر امري، ترجمة تحفة حندوسة، مراجعة: د. عبدالمنعم أبو بكر ص٦٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٠م.
٧. الشمال الشرقي الإفريقي في العصور الوسيطة المبكرة، يوري ميخانيلوفيتش كوبيشانوف، ترجمه عن الروسية صلاح الدين عثمان هاشم، ص١٦٣، منشورات الجامعة الأردنية، عمان ١٩٨٨م.
٨. مجلة الدارة، قراءة جديدة في معاهدة البقط، محمد ربيع قمر الحاج، ص١٦٦، ع٢، س٢١، الرياض - المحرم ١٤١٦هـ.
٩. قبائل العرب في مصر، العقيلات، أحمد لطفي السيد، ص٨٣ القاهرة ١٩٣٥م.
١٠. انظر كتابنا: النوبة في بعض المصادر الحديثة، ص٥١، القاهرة ١٩٩٤م.
١١. المكرمية أو الشعلوب، تعلق فيها الأشياء، كانت مخصصة قديما لوضع الطعام (ثلاجة) خاصة اللبن. أما الآن فهي زينة أكثر منها أداة.
١٢. رحلة في زمان النوبة، د. محمد رياض، و د. كوثر عبدالرسول، ص٢٠٢، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة ١٩٩٨م.
١٣. برجيب، كلمة أصلها من لغة التجري التي يتحدث بها بنو عامر والحباب، معناها القفزة أو النطة عند البجة.
١٤. فيلة، مركز تسجيل الآثار المصرية، ص٣، القاهرة ١٩٦٢م.
١٥. النوبة بين القديم والجديد، صدقي ربيع، ص٧٦، القاهرة ١٩٦٢م.
١٦. المرجع السابق، ص٧٦.
١٧. بلاد النوبة، ص٧٣.
١٨. صدقي ربيع، ص٧٩.
١٩. المرجع السابق، ص٧٩.
٢٠. صدقي ربيع، ص٨٠.
٢١. معبد الدر، مركز تسجيل الآثار، إشراف د. عبدالحليم نور الدين، تأليف د.محمود ماهر طه، ص٤، القاهرة.
٢٢. صدقي ربيع، ص٨٢.
٢٣. بلاد النوبة، ص٨٠.
٢٤. صدقي ربيع، ص٨٥.

- مصدر الصور: الإنترنت وأرشيف «الفيصل».

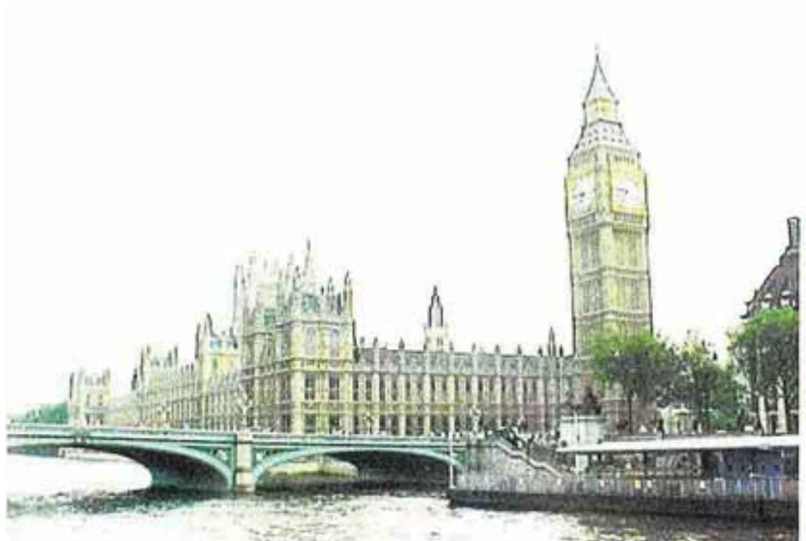
استطلاع

جولة في ربوع المملكة المتحدة

عبدالله بن حمد الحقيل
الرياض - السعودية

لقد استأثر أدب الرحلات باهتمام كبير من طبقات مثقفي العالم قديمًا وحديثًا، وعني به أعلام بارزون عبر مراحل التاريخ، ومازالت الرحلات إلى يومنا هذا مصدرًا تعرف أحوال الأمم وثقافات الشعوب ولاقتباس المعارف، كما أنها مصدر للمؤرخ والجغرافي وعالم الاجتماع، وهي من أوسع أبواب المعرفة.

ويسرني أن أكتب عن رحلة قمت بها إلى المملكة المتحدة والتي تتكون من إنجلترا وويلز وإسكوتلندا.



ساعة بيج بن الشهيرة

في قلب لندن

في يوم الثلاثاء الموافق ١٤٢٢/٥/١هـ غادرت مطار الملك خالد الدولي بالرياض إلى لندن ولم تكن هذه الرحلة الأولى فقد سبقتها رحلات، وبعد رحلة استمرت أكثر من ست ساعات من الطيران المريح هبطت الطائرة في مطار لندن، وبعد الانتهاء من إجراءات الدخول المعتادة قصدت مدينة لندن، وأويت إلى أحد الفنادق في قلب المدينة.. كان الطقس في لندن لطيفًا يغري بالنزهة مع أنه غائم وينذر بالمطر، وبعد استراحة قصيرة خرجت من الفندق أتجول في

شوارع المدينة وبين جنباتها ومعالمها، ومدينة لندن من أكبر العواصم الأوربية وأكثرها ازدحامًا بحركة السير والسياحة، ولعل شارع أكسفورد هو أشهر منطقة للتسوق في لندن، وكذلك البيكاديلي وريجنت وباكر وغيرها من المناطق والشوارع ذات الحركة والنشاط والازدهار والعمارات الشاهقة والقصور البراقة. ولكم كتب الرحالون والمؤرخون عن هذه المدينة فقد كانت عاصمة الدنيا، وتوالت عليها صور من الأمجاد والماضي العريق وبقيت الآن حروفًا في سطور.

وفي اليوم الثاني توجهت لحديقة الهايد بارك أشهر المتنزهات، فقد زانها الربيع نضرة وزينة وجمالاً، وكانت مملوءة بأفواج من الناس من مختلف الجنسيات.. والأوربيون بصفة عامة يستمتعون بالربيع، ويبتهجون به؛ لأن الشتاء في أوربا هو ثقيل وبرد قارس وغيوم وأمطار وثلوج. كما أن الغمام المتراكم يسد الآفاق والثلج المتراكم يملأ الطرقات، فهم في شوق دائم وحنين متواصل إلى الربيع، فهو حيوية وحياة وحركة بعد انقباض وكآبة.. فالربيع تجديد في حياتهم ونشاط لهم، والربيع والشمس والدفء أمور حيوية في حياة أوربا وغيرها من البلدان التي هي شبيهة بمناخها يعكس بلادنا التي أنعم الله عليها بالشمس المشرقة طوال العام حتى ألفتها النفوس؛ لأنها لا تنقطع، وفي ذلك حكمة.. ولذا لم يحفل الأدب العربي بروائع قصائد الشعر في الشمس والدفء، وفي هذه الحديقة شاهدت ألوانًا شتى من الأجناس واللغات



قصر فراسر...

وغرائب العادات، وطرائف التصرفات، وطبائع الشعوب المختلفة والأصوات المتعددة إذ ترتفع الأصوات المتعددة في النقاش، ويغلظ القول، ويزداد صلابة وقوة وخشونة، ولقد تذكرت قول إمام البيان الجاحظ حينما قال في الأعراب: إنما خشنت أصواتهم لمخاطبتهم الإبل، ولكن القوم الذين شاهدتهم لا أتصور أن أحدًا منهم قد خالط الإبل، بل حتى شاهدها، وقد شاهدت شبابًا يتحدثون عن قضايا كثيرة، ولم يكن ينصت إليهم إلا بضعة رجال، فتذكرت قول شاعرنا العربي:

قد طال نظميَ للأشعار مقتدرًا ... والقوم في غفلة عني وعن شاني

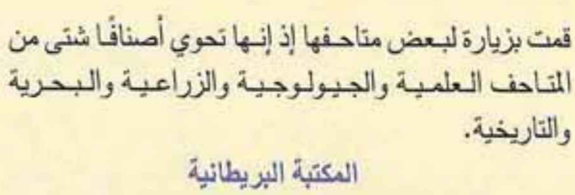
هذي المعاني تناجيهم فمالهمُ ... لا ينصتون بأفهام وأذهان



...والحدائق المحيطة به

نهر التايمز

وإن لندن لمدينة كبيرة، وهي ذات تاريخ قديم، فهي قد أسست قبل الميلاد بـ ٤٣ عاماً عندما شيد الرومان قلعة صغيرة على ضفاف نهر التايمز، والتاريخ يسجل أحداثاً درامية ورهيبة مرت بها هذه المدينة. وفي هذا العصر تغيرت واتسعت وأصبحت اليوم مدينة سياحية ومركزاً للمال والتجارة ورجال الأعمال، ولضخامتها واتساعها وموقعها، وحديقة «هايد بارك» تعدّ من أجمل المتنزهات التي تقع غرب لندن، وقد كانت في الماضي حديقة صيد تابعة للملك هنري الثامن والمعروف بسفاح النساء، ويرتاد هذا المتنزه مئات بل آلاف من الناس يمضون فيها وقتاً ماتعاً وبهيجاً حيث المناظر المتعددة، والمشاهد المتنوعة، والخطباء من مختلف الأشكال والأجناس، وحيث الحلقات التي تتجمع فيها أعداد من الناس وذلك من العلامات البارزة في هذا المكان.. وفي هذه الحديقة يلتقي المرء بأعداد كبيرة من السياح، وإلى جانب ذلك توجد الكتب المعروضة، والصحف والمجلات، وألعاب الأطفال إلى جانب البحيرة الجميلة بزوارقها اللطيفة حيث تؤجر للراغبين.. وبعد التجوال في جنبات هذه الحديقة التقيت مجموعة كبيرة من الإخوان العرب، واقترح أحد الإخوة أن نبتعد قليلاً عن قلب لندن وضوضائها، وأن نذهب في رحلة نهرية نروح بها عن نفوسنا، ونشاهد خلالها الكثير من معالم لندن من على ظهر قارب آلي في نهر التايمز، فاستغرقت رحلتنا بضع ساعات تمكنا خلالها من مشاهدة بعض المناظر العامة لمدينة لندن وسهولها وهضابها ومرتفعاتها وقصورها التاريخية وعماراتها العالية وفنادقها الفخمة وساعتها الشهيرة ومتاجرها الأنيقة. وفي يوم آخر



قمت بزيارة لبعض متاحفها إذ إنها تحوي أصنافًا شتى من المتاحف العلمية والجيولوجية والزراعية والبحرية والتاريخية.

المكتبة البريطانية

وقد حرصت خلال وجودي في لندن على زيارة مكتبة المتحف البريطاني في لندن، وهي من أكبر المكتبات في العالم وأحفلها، ولها من الشهرة والمكانة مما هو معروف لدى الباحثين والدارسين ورأيت عدداً من رجال العلم والمعرفة والباحثين والدارسين. قد جاؤوا من مختلف البلدان وشتى الجامعات ومراكز البحوث، وغيرهم من الطلاب الذين يحضّرون الرسائل العلمية.

والمكتبة البريطانية عنوان عريض لبريطانيا، ويجري افتتاح المبنى الجديد للمكتبة في شمال لندن بعد عدة شهور حيث تنتهي أعمال نقل الكتب والوثائق والمراجع التي تعد كنوز المكتبة البريطانية، وفي هذه المكتبة تتم الخدمات الإعلامية باستخدام الحاسب الآلي فيمكن للقارئ الحصول على المعلومات التي يحتاج إليها من معرفة بقوائم الكتب أو الحصول على مقالات وبحوث حول موضوعات معينة.. كل ذلك يتم بطريقة معينة عن طريق الحاسب الإليكتروني في

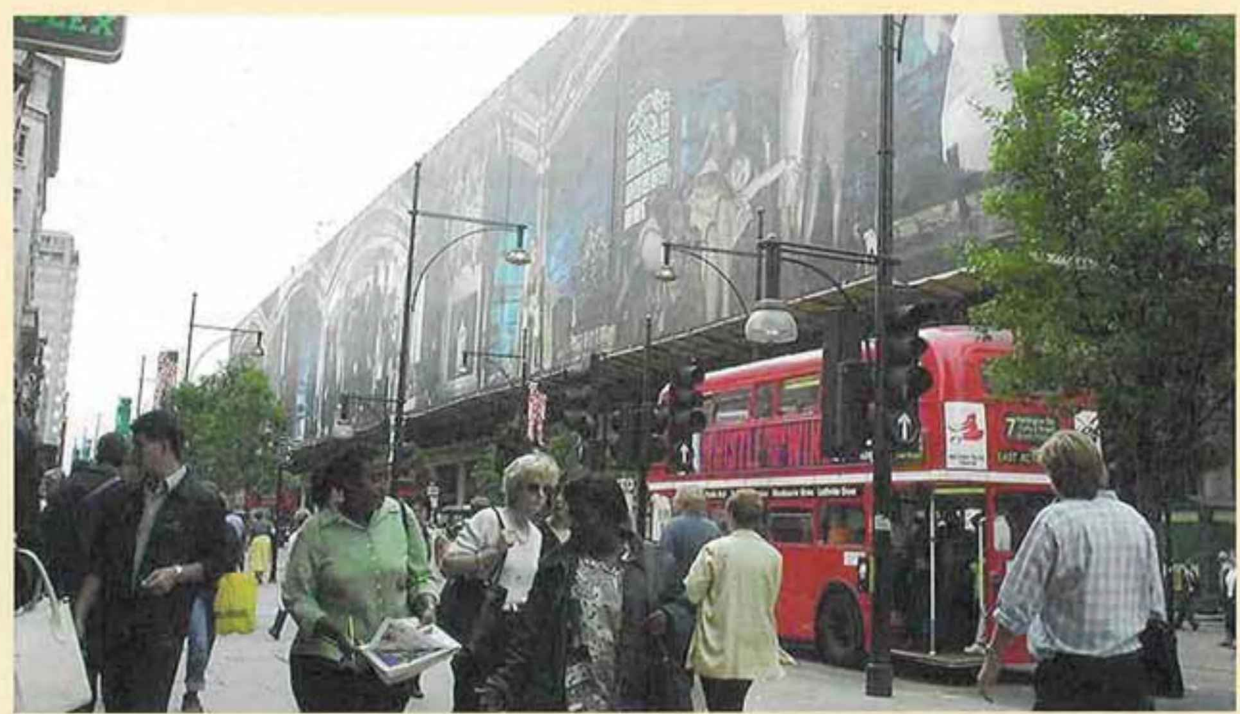




من مقتنيات متحف لندن



متحف لندن بعد تطويره



شارع أكسفورد الشهير

مقابل بعض الرسوم لتلك الخدمات. وفي قاعة المطالعة شاهدت مئات المجلدات التي تشتمل على قوائم الكتب المقيدة لدى المكتبة، وهي مرتبة ترتيباً أبجدياً تحت رؤوس



تعليم التنقيب من أهداف متحف لندن

الموضوعات.. وخرجت وأنا أحمل شتى الانطباعات وأجمل الذكريات وهي جديرة بأن تذكر في سجل أوائل المكتبات.

متحف لندن

كما قمت بزيارة لمتحف لندن حيث شاهدت ألواناً شتى من المعروضات، فهو يطلع الزائر على تاريخ لندن منذ القدم إلى عصرنا الحاضر، وكان المبنى من القصور الملكية القديمة. وعلى الرغم من الساعات الطويلة التي أمضيتها في رحاب المتحف البريطاني وقاعاته المختلفة التي تحتوي على بعض الآثار والمقتنيات الشرقية والرومانية، وكذا بعض الرسوم الفنية، فلم أتمكن من مشاهدة ورؤية الكثير مما يشتمل عليه المتحف.. ثم قمت بعد ذلك بزيارة لمكتب الملحق الثقافي السعودي الصديق الأستاذ عبدالله بن محمد الناصر والذي غمرني بأدبه وخلقه وكرمه بدعوتي للعشاء بمنزله حيث أمضينا ليلة سعيدة مع عدد من السعوديين حافلة بالأحاديث الأدبية والذكريات الطيبة.

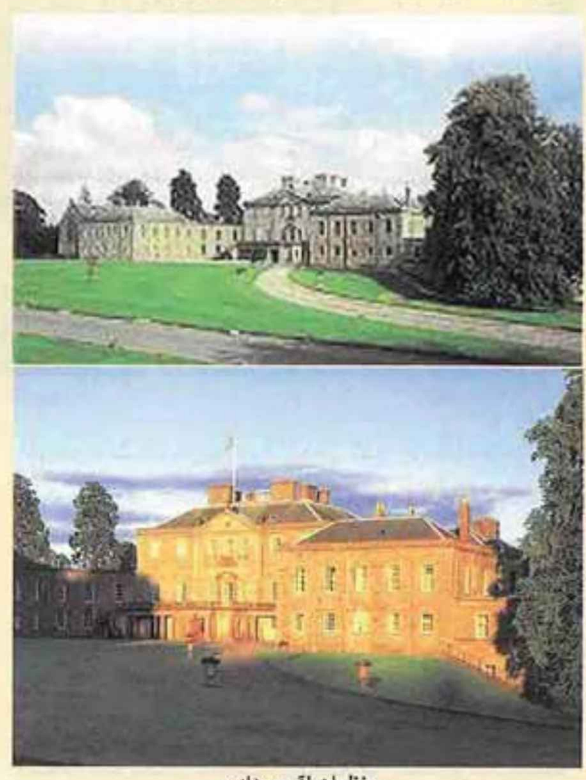
حدائق كيو

كما قمت في اليوم التالي بجولة سياحية ليلية، ومشاهدة الحي التجاري النابض بالحياة، وكذا المرافق السياحية، وجمال الطبيعة، وحدائق «كيوغاردنز» رئة لندن وهي ذات

ألوان طبيعية ساحرة، وتجولت في أرجائها الفسيحة.

ثم خرجت في رحلة إلى الريف الإنجليزي حيث الهدوء والجمال، والمناظر الخلابة والنسيم العليل، والمناخ الجميل، والشاطئ البديع، والرياض الغناء، والسفوح الخضر الجميلة، والهضاب، والمزارع والقرى المتناثرة، والحدائق الجميلة.

وبعيداً عن المدن الصناعية ومداخنها وازدحامها يممنا



منظران لقصر هادو



قلعة ليدز

صوب الريف الإنجليزي فهو من أجمل بلاد الله لما يتوافر فيه من مناخ جميل، ومناظر طبيعية غاية في الحسن، وذهبت إلى برمنجهام ومانشستر وليدز حيث أمضيت فيها بضعة أيام، وهي مدينة جميلة وبها عدد كبير من المبتعثين السعوديين الذين يحضرون للدراسات من جامعتي الملك سعود وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وجامعة الملك عبدالعزيز، والحرس الوطني، والدفاع، وغيرهم من شبابنا الناهض المتوثب إذ يساهمون في تحصيل المعرفة والإنجازات العلمية لمواصلة المسيرة التعليمية، وقد لاحظت اهتمام هؤلاء الشباب بدراساتهم العلمية، كما أن الملحقية الثقافية في بريطانيا تقوم بدور بارز وواضح من أجل طلاب المملكة في هذه البلاد الذين يدرسون حالياً في جامعات بريطانيا، كما أن الملحقية تصدر مجلة تحتوي على موضوعات حيوية مفيدة تخدم الثقافة والفكر، وتمتلئ بأقلام هؤلاء الشباب من أجيال العلم والعلماء، ودعم مسيرة التعليم والتحصيل والانفتاح على العالم، كما أن بلادنا ـ حفظها الله ـ تدعم المراكز الإسلامية وبناء المساجد، وهي سياسة ثابتة للمملكة.

إسكوتلندا وأثينا الحديثة

وبعد تمضية عدة أيام في تلك الربوع توجهت إلى إسكندنافيا عبر طريق بري جميل ومررنا بعشرات المدن والقرى. إنها مجموعة مناطق غنية وجميلة وخصبة التربة، وينطبق عليها قول الشاعر:

الأرض قد كُسيت رداءً أخضرا

والطل ينثر في رباها جوهرا

وقول الآخر:

خضرة في السهول تغري الأماني

نضرة في السفوح أو في الهضاب

لقد وجدناها البقعة الطبيعية الأجمل في أوربا، إنها مناطق تغلب روعة طبيعتها على الخيال، فكل مشهد فيها جديد ومثير ودافع إلى الشعر والاستشهاد بأقوال شعراء الطبيعة التي تحتل مكانة في الأدب العربي، وتذكرت قصائد شوقي حيث جعل الطبيعة مستلهمة، وأعلن في مقدمته للشوقيات أن محراب الشاعر ليس القصر، ولكنه الكون من أرضه إلى سمائه وخلال الطريق مررنا بعدد من البحيرات،



جمال الطبيعة يميز الريف الإسكوتلندي

وشاهدت آلاف السياح عندها حيث الخضرة والجمال والمطر فقلت:

يا روابي اسكتلندا نعم الروابي

يتلاقى فيها الندى بالسحاب

ومررنا بمدينة درم فتوقفنا فيها للاطلاع على معالمها، وهي مدينة تاريخية تقع على ربوة عالية يحيط بها نهر من ثلاث جهات، وبنيت عليه عدة جسور لا تزال تحفة معمارية، وهي ذات قلاع، وبها متحف وآثار، فقد كانت قاعدة انطلاق الجيوش الصليبية، وجامعة درم تضم عشرات الأقسام والكليات، ولها شهرة عالمية، وهي من أقدم الجامعات بعد أكسفورد وكيمبردج.

وإسكوتلندا قطر من الأقطار الأربعة التي تكون المملكة المتحدة إلى جانب إنجلترا وويلز وإيرلندا الشمالية، وهي واقعة على حافة أوربا يحيط بها البحر من جهات ثلاثة، فسبحان مغير الأجواء والأحوال. وتحتوي جامعة درم على عدة مكتبات، تضم مؤلفات ومخطوطات، وتهتم بالشرق الأوسط والدراسات الإسلامية، وفيها عدد كبير من آثار الرحالين الأوربيين الذين كتبوا عن الشرق، وفيها قسم دراسات الشرق الأوسط الذي يضم عدة أقسام تمنح الشهادات العليا في كثير من



مكتبة قصر هادو

تخصصات اللغة العربية والفارسية، ويتم تدريس اللغة العربية في هذا القسم. وفي الجامعة عدد من الطلبة السعوديين بمختلف التخصصات وبهذه المدينة ناد للطلبة السعوديين، وجمعية إسلامية، وعدد من المساجد، ولا يستقر فيها المناخ على حال حيث المطر والرياح والبرد والدفء

والشمس والضباب. لقد كان النهار طويلاً فنحن في شهر أغسطس مما يتيح للسائح وقتًا كافيًا لكل تجواله ونزهاته وزياراته، وفي أدنبرة قمت بزيارة لجامعتها العريقة التي تتمتع بسمعة عالمية في مختلف حقول المعرفة، وقد تخرج فيها عدد من السعوديين، ثم زيارة المكتبة وقسم اللغة العربية، كما قمت بزيارة لبعض متاحفها وأسواقها، وشاهدت جنسيات مختلفة، ولغات كثيرة، وغالبية الزوار من السيّاح من كبار السن. حقًا إن هذه البلاد تتمتع بجاذبية سياحية، وصيت ذائع، والدليل على ذلك هذه الآلاف من السيّاح، ومروري على جميع فنادقها أبحث عن سكن فلم أجد إلا ليلة واحدة فقط، ثم ذهبت في الليالي الأخرى إلى مناطق أخرى على بعد خمسين ميلاً عن العاصمة، والسياحة هنا عصب الحياة، وحمدت الله فالسكن في خارج العاصمة يمتاز بالهدوء وحسن التعامل. وسألت عن أسباب الازدحام في الفنادق وكثرة السياح فإذا هي مناسبة، مهرجان أدنبرة العالمي حيث يعقد في كل عام المهرجان العالمي للأدب والفنون، ومدينة «أدنبرة» هي العاصمة الإسكوتلندية منذ


ويليم آدم

خمسمئة سنة، ويبلغ عدد سكانها أكثر من ٥٠٠ ألف نسمة، وتبعد عن لندن ٤٠٠ ميل، ويربطها بها شبكة ممتازة من الطرق البرية، والسكك الحديدية والخطوط الجوية، وترتبط ببعض العواصم الأوربية بشبكة خطوط طيران. ولهذه المدينة مركز علمي مهم منذ تأسيس جامعة أدنبرة الشهيرة قبل أكثر من أربعمئة سنة، كما أن مهرجانها السنوي للآداب والفنون يستضيف عدداً من الأعلام في ثقافات الأمم الأخرى. لقد حدثني أحد الإخوة السعوديين الدارسين في جامعتها قائلاً: لقد عرفت في وقت من الأوقات بأثينا الحديثة نسبة لازدهار الأدب والثقافة فيها، واشتهار جامعتها بعلوم الفلسفة والتربية والآداب والفنون.

المركز الإسلامي بأدنبرة

توجهت بعد ذلك لزيارة المركز الإسلامي ومسجد خادم الحرمين الشريفين في أدنبرة، وهو صرح إسلامي في قلب المدينة يدعو إلى دين التوحيد ورفع راية الإسلام فأديت فيه صلاة الظهر جماعة، ثم قمت بجولة على المركز فالتقيت


جانب من حدائق كيو

بمديره الدكتور حمد المطرودي، وإمامه الشيخ محمد المشوح، وبالمستشرق البريطاني المسلم الدكتور ياسين دتن الأستاذ في جامعة أدنبرة، وبعدد من أبناء الجالية الإسلامية في هذه المدينة، وتتسع قاعة الصلاة الرئيسة فيه لنحو ٧٥٠ مصليًا. كما يحتوي على قاعات متعددة الأغراض تتسع لنحو ٥٠٠ شخص وتستخدم للمحاضرات والندوات واللقاءات العامة للمسلمين في أدنبره، كما يوجد مصلى للنساء يتسع لأكثر من مئتي مصلية، ومكتبة تحفل بالكتب والمراجع، وشاهدت فيها عدداً من الباحثين، كما توجد مكاتب لإدارة المركز.

وقد خصص المبنى القديم لفصول دراسية، ومغسلة للأموات ومطبخ، وقد كانت تكلفة البناء تجاوزت ثلاثة ملايين جنيه، وجزى الله أعظم الجزاء من قام ببناء المسجد والمركز وتذليل الصعوبات والمعوقات التي كادت تحول دون تنفيذه.

لقد حقق هذا المركز الإسلامي أهدافًا سامية لعبادة الله، واجتماع المسلمين، والدعوة إلى الله على بصيرة، ونشر الإسلام بالطرائق الصحيحة، وتعليم أبناء المسلمين أمور دينهم، وتوفير المكان المناسب لاجتماع المسلمين في المناسبات الإسلامية، ونشر اللغة العربية ومساعدة الراغبين في تعلمها، وقد شاهدت خلال جولتي فصلاً دراسيًا يضم عدداً من دارسي اللغة العربية، كما يقوم المركز بتقديم المساعدة لأبناء المسلمين الذين يفدون إلى هذه البلاد للدراسة وتسهيل ما يعترضهم من مشكلات، وتوفير الكتب والمراجع الإسلامية وجعلها في متناول طالبيها، وإقامة المحاضرات والدروس العلمية، كما تعقد الندوات والمؤتمرات الإسلامية في رحابه.



مسلمون يصلون في الهايد بارك



المظاهرات من أشكال التعبير في الهايد بارك

قلاع إسكوتلندا

ذهبت بعد ذلك لزيارة بعض المدن في إسكوتلندا، منها جلاسجو، ودندي، وأبردين، وسانتاندروز التي يعود تاريخها إلى القرون الوسطى، وفيها ثالث أقدم جامعة في بريطانيا، كما قمت بجولة في ربوع إسكوتلندا، وزيارة عدد من

المتاحف والقصور التاريخية، منها: قصر بيت دف Duff House، وقد قام ببنائه وليم آدم عام ١٧٣٥م للورد باركو. ويتميز بانتشار الممرات الخشبية حول القصر والغابات المحيطة ويقام فيه عدد من الاحتفالات والبرامج الترفيهية خصوصاً خلال فترات الصيف، كما وجدنا حولها عدداً من المحلات لبيع التحف. كما زرنا قصر هفنتلي Havntly Castle، ويعرف أيضاً باسم قصر ستراث بوقيو Strath-bogie ويقع بقرب نهر دفرسون.

ويمثل القصر تاريخاً في تطور الحضارة الإسكوتلندية وعلاقتها بالحضارة الرومانية. وقد شيّد هذا القصر في



مجسم لقصر كريجيفار

القرن الثاني عشر الميلادي، وتم ترميمه وتطويره في القرن السابع عشر، ويشتهر القصر بحسن ممراته ومدفأته التي صممت بشكل مميز وجميل. كما زرنا قصر كريجيفار Craigievar Castle، الذي يمثل أجمل المعمار الإسكوتلندي، وقد شيّده وليم فوربز في عام ١٦٢٦م، ويحتوي على تراث عدة عقود من حضارات الأسر الإسكوتلندية في القرن السادس والسابع والثامن عشر علماً بأن القصر لم يتم ترميمه منذ ذلك الوقت إلا أنه يبدو بحالة جيدة جداً. كما زرنا قصر هادو Haddo House، وهو - حقيقة - أحد أفخم القصور القديمة التي شاهدتها، ويطل على غابات واسعة وزهور في غاية الروعة تنبثق منها روائح عبقة أضفت على القصر جمالاً وروعة. كما زرنا قصر فراسر Castle Fraser، الذي شُيِّد في عام ١٥٧٥م، ويمثل هذا القصر ثراء الحضارة المعمارية الإسكوتلندية وإبداعها المميز. ويستخدم بهوه حالياً في إقامة حفلات الموسيقى الكلاسيكية، كما تحيط بالقصر غابات جميلة. وأخيراً زرنا قصر فايفي Fyvie Castle الذي يتميز بأبراجه الخمسة، ويزخر بحضارة خمسة قرون من التاريخ الإسكوتلندي، وكل واحد منها يمثل تاريخ أسرة أقامت في هذا القصر. وقد شُيّد هذا القصر عام ١٣٠٠م، ويحتوي على عدد من الآثار العسكرية والأسلحة المستخدمة في تلك العصور، وكما هي القصور الاسكوتلندية في التفاف الغابات الجميلة حول القصر مما يعكس جمال الطبيعة الخلابة.

وفي هذه المتاحف يشاهد المرء أصنافاً شتى من السائحين حيث تزخر بالحركة والنشاط السياحي، ووسط هذا الجو التاريخي العابق بروح الفن المعماري سرعان ما امتلأت السماء بالغيوم الكثيفة، وقبل أن يتساقط المطر عدنا إلى أدنبرة استعداداً لرحلة أخرى مردداً قول الشاعر:

ارحل وشاهد دياراً ما سمعت بها
شتان عندي بين الخُبْرِ والخَبَرِ

وبعد جولة في ربوع إسكوتلندا حافلة بالفائدة والمتعة ودعت تلك الربوع والديار عائداً إلى مدينة ليدز التي يوجد فيها عدد كبير من الإخوة السعوديين ممن هم على أبواب التخرج، ومنهم من ينتظر. وقد وجدت منهم كل حفاوة وتكريم، وسعدت باللقاء بهم لأنهم جعلوا بأنسهم وبشرهم وحسن استقبالهم تلك الأيام تمر قصيرة محققين قول الشاعر العربي:

ونكرم ضيفنا مادام فينا
ونتبعه الكرامة حيث كانا

ولقد أعجبت بجمال هذه المدينة وهدوئها وما يحيط بها من الحدائق والمناظر الخلابة، وقمت بزيارة لجامعة ليدز بصحبة الأخ سلطان السالم أحد طلاب الدراسات العليا في الجامعة، وبعد جولة في الجامعة وزيارة عدد من قواعد المعلومات البحثية الإلكترونية في مجالات العلوم المختلفة

ومـركـز البـحث الآلي والإنتـرنت، وذهبنا إلـى المكتبـة، وشاهدنا مـا بها من الكتب ومـصادر المعرفة والمخطوطات، ومـا تقدمـه من خدمـات مكتبية، من أهمـها خـدمة البـحث الآلي، والخدمـة المرجعية والإعـارة، وغيرها من الخـدمات المعـتمـدة على القـواعد العلمـية والاتصـال المبـاشر بشـبكة الإنترنت، وغـير ذلك مما شاهدته مـن التقنيات الحـديثة في استرجاع المعلومات. وقد أهديت المكتبة مجموعة من الكتب والمؤلفات السعـودية، ثم ذهبت إلى قسم الدراسات العـربية والإسلامية الذي يدرس فيه عدد من السعوديين، في جامعة ليدز، حيث التقيت عدداً كبيراً منهم ومن العرب والمسلمين، وعـدداً من الإنجليـز الـذين دخلوا في الإسلام، ومنهم سليـمان ڤـيفن وهو مـحاضـر في جامـعة ليدز في قسم الدراسات العربية الإسلامية أسلم منذ ثلاثة عشـر عامًا، وقـد درس اللغة العـربية والعلوم الإسـلامـيـة في الجـامـعـة الإسـلامـيـة بالمدينة المنورة، ثم انتـقل إلى برونـاي للدراسـة فـيهـا، وأخيـراً ذهب إلى ماليـزيا، ودرس هناك العلـوم الإسـلامـيـة، وتحـدثنا مـعـه حـول الاسـتـشـراق والمسـتـشـرقين وبعض القـضـايا اللغـوية والعلمـية ويجيـد اللغـة العـربية إجـادة تامـة، وقد حـصل على الماجسـتير من جـامعـة ليـدز في تخصص الشـريعة الإسـلامـية، وكان بحثـه بعنوان «ابن المنذر النيـسابوري.. حـياته وأعـماله»، وقلـت له إننا نعتـز بما وصلت إليـه أنت وزمـلاؤك من عمق فـي الدراسات الإسـلامـية واللغـة العربية، وودعـتهم متمنيًا لهم المـزيد من النجاح. وقد أوحت إليّ هذه المدينة بنظم قصيدة أجتزئ منها ما يأتي:

لـن أنسـى طـول الـدهر مـثـل لـقـائـنا
فـي ليـدز هـي ملتـقـى الـقـصـاد
نسـجت جـمـال الورد فـي أحـيـائـهـا
وتمـايس الأغـصـان وسـط الـواد
ومنـاظر بـالحـسـن يـا لجـمـالهـا
والـروض طـوقـهـا بـحـس إيـاد

وكم رددت قول الشاعر العربي وأنا انتقل بين ضواحيها وربوعها:

كـست الطبـيـعـة وجـه أرضـك سندسـا
وحـبت نـسـيـمك إذ تضـوع طيـبـا
بسط تظللهـا الغـصـون فـأينمـا
يممت خلت سـرادقًـا منصـوبـا

كما تذكرت قول الشاعر:

تلك الطبـيـعـة قـف بنا يـا سـاري
حـتـى أريك بـديع صنع البـاري

وبعـد تمضـيـة عـدة أيام في ربوع المملكة المتـحـدة غـادرت مدينة ليدز متـوجهاً إلى مطار لندن على بعد ثلاثمئـة كيلاً، وقد بكرت فـي الذهاب فـجـراً عـمـلاً بالأثـر «بورك لأمـتي في


مسرح الورد شهد تمثيل أعمال شكسبير

بكورها» وسيراً على قاعدة «من تقدم لم يتندم»، فقد كان الجو ممطراً، والطريق متراكمًا بمياه الأمطار إذ كـان هطول المطر شديداً، والناس هنا اعـتادوا المطر في كثير من أيام السنة، ولذا فهم في هذه الطرق بسياراتهم غادون ورائحـون غير مـتأثرين بهطول الأمطار أو جريان السيول، وقد استهواني مـا شاهدته من سحب وأمطار، وسألت الله أن يرزق بلادنا شيئًا من ذلك، وبلغنا مطار هيثرو بعد سير أربع ساعـات، وعدوت مسـرعاً نحو الخطوط السعودية مردداً قول الشاعر:

فـاشـدد رحـالك واعـجل فـالدنا فـرص
ومـا سـمـاعـك بـالآثار كـالـنظر

مصدر الصور: الإنترنت.

العلاقات الدبلوماسية بين هارون الرشيد وشارلمان

سمير عطا
الجيزة - مصر

عندما تعرض بعض الكتّاب والمؤرخين إلى العلاقات الدبلوماسية بين الخليفة العباسي هارون الرشيد وشارلمان الكبير ملك الفرنجة، كانت كتاباتهم تشير إلى «سفارة» أرسلها الرشيد مع هدية منه إلى شارلمان ردًا على رسالة حملها مبعوثون من شارلمان إلى الرشيد.. ثم تصف ما شملت عليه الهدية مما أثار الإعجاب والعجب في بلاط «أكس لا شابيل» Aix La Chappelle عاصمة شارلمان وهي مدينة «آخن» Aachen الحالية في ألمانيا القريبة من حدودها مع هولندا وبلجيكا مما يترك انطباعًا بأنها كانت سفارة واحدة.

جاء ذلك في بعض الكتابات لمحققين معاصرين وقدامى، ونرى مثل ذلك في الرحلة التخيلية التي دوّنها جميل نخلة مدور في كتابه: «حضارة الإسلام في دار السلام»، طبعة بولاق عام ١٩٣٦م، فقد افترض أنه رحالة عاش في بغداد زمن الرشيد والبرامكة، وقام بوصف الحياة السياسية والاجتماعية والدينية والثقافية والحربية في دولة بني العباس في ذلك الوقت اعتمادًا على مراجع عربية تعدت الثمانين مرجعًا من أمات التآليف والتصانيف التاريخية والأدبية. غير أن الواقع هو أن السفارات لم تنقطع بين الرشيد وشارلمان، وأهمها سفارتان حدثتا عامي ٧٩٩/٨٠٢ و ٨٠٧م إلى جانب سفارات أخرى سبقتها بين الخلفاء العباسيين وملوك الفرنجة السابقين لشارلمان.

تحولات سياسية

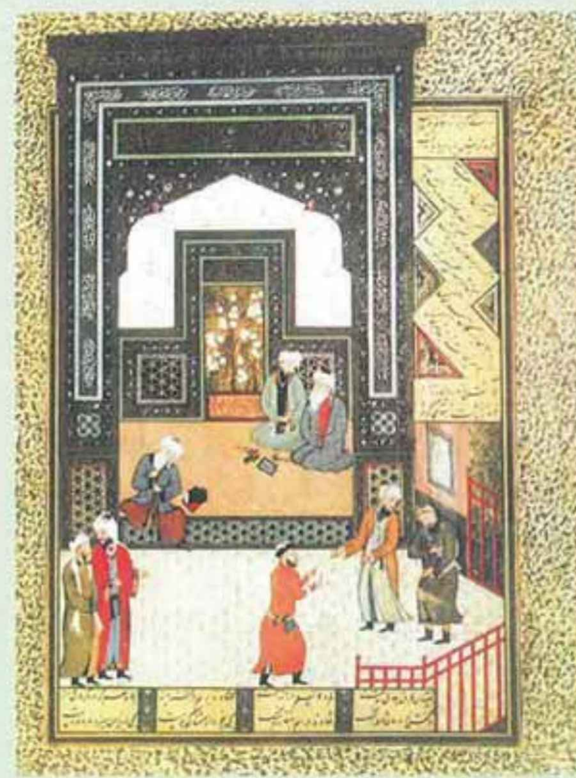
كانت الظروف السياسية في العالم الإسلامي أواخر النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي قد تغيرت، إذ قويت شوكة الإمارة الإسلامية في الأندلس منافسة للخلافة العباسية في الشرق، وظهرت قوة أخرى في بلاد الفرنجة منافسة لبيزنطة وروما، مما أوجد بالضرورة، إلى جانب الوضع العسكري، محاولات دبلوماسية بين القوى المتصارعة في ذلك الوقت، وهي الدولة العباسية وبيزنطة في الشرق، وإمارة الأندلس وملوك الفرنجة في الغرب.

فبينما كان العباسيون يحاربون البيزنطيين في الشرق، لم تغفل عيونهم عن اتساع النشاط الأموي في الأندلس وتزايده.. ففي الشرق كانت إيرين إمبراطورة بيزنطة

تدفع جزية للخلافة العباسية منذ أن هاجم هارون الرشيد الروم البيزنطيين في عهد أبيه الخليفة المهدي، وحين تولى الرشيد الخلافة نقضت إيرين تعهداتها وامتنعت عن دفع الجزية، فوجه إليها حملتين بحرية وبرية انتهتا بإرغام إيرين على دفع الجزية من جديد، وبعد موت إيرين تولى نقفور (نيكوفوروس) مكانها، وكان ملكًا شديد البأس، إلا أنه كان قليل الخبرة بأمور السياسة.. وفي وصف آخر له أنه «كان رجلاً قويًا نزاعًا للسيادة نابضًا بالحيوية إزاء مصاعب الحكم، وقد كان متحمسًا في الدفاع عن إمبراطوريته ضد أعدائها في الجبهتين الإسلامية والبلغارية، ولكن لم تكن لديه مزايا القائد الماهر»(١)، ومن ثم قام بإرسال كتاب إلى هارون الرشيد يقول فيه: «من نقفور ملك الروم إلى هارون ملك العرب، أما بعد: فإن الملكة التي كانت قبلي أقامتك مقام الرخ وأقامت نفسها مقام البيدق فحملت إليك من أموالها ما كنت حقيقًا بحمل أمثالها إليها، لكن ذلك ضعف النساء وحمقهن؛ فإذا قرأت كتابي فاردد ما حصل قبلك من أموالها، وافتد نفسك بما يقع به المصادرة لك، وإلا فالسيف بيننا وبينك»، وتختلف الروايات العربية والحوليات الفرنجية في بعض الكلمات، ولكن النص متوافق. فلما قرأ الرشيد الكتاب غضب غضبًا شديدًا حتى لم يمكن أحدًا أن ينظر إليه دون أن يخاطبه، وتفرق جلساؤه خوفًا من زيادة قول أو فعل يكون منهم، واستعجم الرأي على الوزير من أن يشير عليه أو يتركه يستبد برأيه دونه، فدعا بدواة وكتب على ظهر الكتاب: «بسم الله الرحمن الرحيم - من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم.. لقد قرأت كتابك يا ابن الكافرة، والجواب ما تراه دون أن تسمعه». وسار الرشيد من يومه مكتسحًا كل ما أمامه من معاقل حتى وصل إلى مشارف «هرقلة»، وفي ذلك قال الشاعر المكي من قصيدة وردت في «الأغاني» وأشار إليها الشاعر المسعودي:

هوت هرقلة لما أن رأت عجبا
حوائمًا ترتمي بالنفط والنار
كأن نيراننا في جنب قلعتهم
مصبّغات على أرسان قصّار

وكان نقفور وقتها مشغولاً بإخماد ثورة داخلية، ولم



حلقات علم في المسجد من العهد العباسي

يكن مهيّأ للقائه، فعرض دفع الجزية سنويًا إذا ما انسحب الجيش المتقدم من الأبواب القيليقية إلى هرقلة.. ووافق الرشيد على ذلك، وامتدحه الشعراء ومنهم أبو العتاهية الذي قال:

قضى الله أن صفّى لهارون ملكه
وكان قضاء الله في الخلق مقضيًا
تحببت الدنيا لهارون بالرضا
وأصبح نقفور لهارون ذمّيًا

غير أن نقفور سرعان ما نقض العهد معتمدًا على أن الرشيد لن يستطيع الهجوم عليه وقت الشتاء لهطول الجليد، وكان وقع ذلك شديدًا على البلاط العباسي حتى لم يجرؤ أحد على نقل الخبر إلى الرشيد فدسوا له من يقول:

نَقَضَ الذي أعطيتَهُ نَقفورُ
وعليه دائرةُ البوار تدورُ
نقفور إنك حين تغدر إن نأى
عنك الإمام لجاهل مغرور

إن الإمــام على اقـتــسـارك قــادر
قـــــرُبَتْ ديـارك أم نـأت بـك دُورُ
ملك تجــرّدَ للجـــهـــادِ بنفـــســـه
فـــعــدُوُّهُ أبدا به مـــقـــهـــورُ

وما إن تحقق الرشيد من ذلك حتى كـر عائدًا إلى أرض الروم على قسوة الجو وباهظ التكاليف، وافتتح هرقلة وخربها وفي ذلك قال أبو العتاهية:

ألا نــادت هـرقـلـة بـالخــــراب
من الملك الموفّق بـالصـــــواب
غـــدا هارون يرعـــد بالمنايا
ويبـــرق بالمذكّـــرةَ القــضـــاب

وكانت هرقلة من أمنع حصون الروم وتفتح الطريق أمام المهاجمين لاكتساح ما وراءها من معاقل مثل (طوانة) و (لؤلؤة) و(قيصرية).. وانتهت حملات الرشيد بالاتفاق مع نقفور على أن يدفع غرامة حربية وألاّ يعمّر هرقلة مرة ثانية..

غير أن ذلك لم ينه حالة الحرب القائمة بين الدولتين.. فقد كان العباسيون منذ عهد المنصور حتى الرشيد يدركون أن الروم لا يدفعون الجزية إلا وقت ضعفهم، وأنهم يحاولون دائمًا الخروج من ضائقتهم إذا ما أتيحت لهم الفرصة أو شطحت بهم آمالهم، وليس أمامهم إلا التقارب مع القوى الأوربية الأخرى، ومن ثم رأينا «إيرين» تعقد محالفة مع شارلمان إمبراطور الفرنجة، ولكي تزيد هذه المحالفة قوة عرضت زواج ابنها قسطنطين السادس من ابنة شارلمان (إلا أن هذا الأمر لم يتم لأسباب سياسية كثيرة)..

العباسيون والأمويون

وفي الأندلس كانت سياسة العباسيين منذ أن تولوا الخلافة هي القضاء على الأمويين ومطاردتهم في كل مكان، ومن نجا منهم من القتل اتخذ طريق الهرب، ومن هؤلاء عبدالرحمن صقر قريش الذي فر إلى إسبانيا، وأقام له ملكًا بها.. وكثيراً ما حاول العباسيون إجهاض النمو الأموي في الأندلس، فأبو جعفر المنصور كان قد أرسل جيشًا لمحاربة الأمويين هناك غير أنه حاقت به الهزيمة، وأخفقت هذه المحاولة، بينما ازدادت قوة الأمويين حتى أعلنوا بها فيما بعد خلافة تناوئ الخلافة العباسية.. وخشي العباسيون في بغداد من أن يؤدي ازدياد النفوذ الأموي في الأندلس إلى تقليص النفوذ العباسي المزعزع في شمال إفريقية فكان لابّد، من وجهة نظرهم، من الحد من النفوذ الأموي عن طريق شغلهم بالتوجه شمالا في أوربا إمّا عسكريًا وإما سياسيًا، مما اقتضى منه خلق محاور سياسية بين العباسيين ودول أوربا تتوازى مع المجهودات السياسية والدبلوماسية والعسكرية التي تحكم العلاقات الأندلسية الأوربية في ذلك الوقت.. وكان طبيعيًا أن يقف الغاليّون (الفرنجة) في فرنسا وألمانيا موقف الحذر والترقب من احتمالات التوسع الأموي في بلادهم، ودفع ذلك بيبين Pepin ملك الفرنجة إلى أن يرسل سفارة إلى بغداد وجدت ترحيبًا من قبل الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور، يضاف إلى ذلك أن تأييد الفرنجة للسياسة البابوية ضد القسطنطينية (عاصمة بيزنطة) يعدّ من العوامل التي جعلت «ببين» يسعى لالتماس صداقة الخليفة العباسي عدو بيزنطة.. غير أن رسالات الود بين أبي جعفر المنصور و ببين لم ترقَ إلى التحالف العسكري، وقد سار على نهجه خليفته محمد المهدي.

ظن رجــــال بلاط شارلمان الساعة التي أهداها هارون الرشيد إلى شـــــارلمان آلة سحرية، فأراد بعضهم تهشيمها

تقارب عباسي - فرنجي

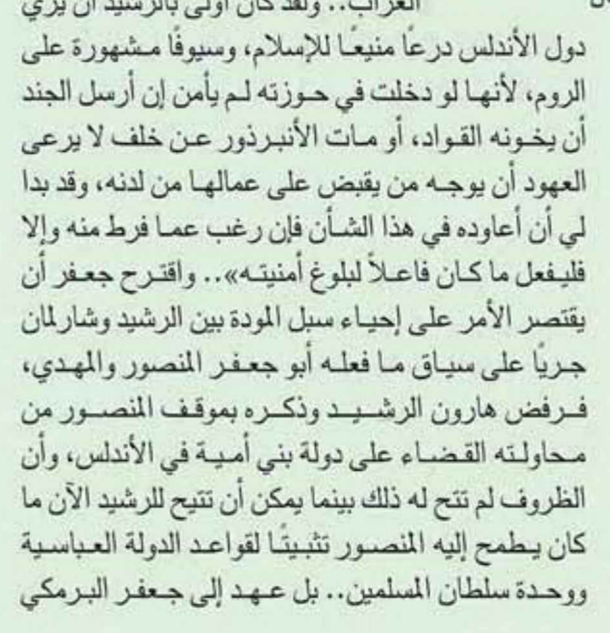
أما في عهد الرشيد فقد كان الجو السياسي مهيأً لقيام تقارب أكثر بين الدولة العباسية ودولة الفرنجة.. إذ ظهرت شخصية قوية كان لها أثرها الكبير في تاريخ أوربا في ذلك الوقت هو شارلمان الكبير(٢) الذي طمح إلى مناهضة الدولة الرومانية بشطريها (بيزنطة وروما) ومنافستها بل والظهور عليها، بادئًا خطته بمحاولة فرض حمايته على المسيحيين في الأراضي المقدسة (فلسطين) بل وفي الدولة الإسلامية كلها إن أمكن، وبذلك يتحقق له السيادة الروحية إلى جانب السيادة السياسية في أوربا

والعالم المسيحي.

لذلك بدأ شارلمان إحياء التقارب العباسي - الفرنجي بإرسال سفارة إلى هارون الرشيد عام ٧٩٩م خرجت هذه المرة عن مجرد الود والصداقة، إلى طلب تحالف بين القوتين العباسية والفرنجية، ولم ينس أن يطلب - كرمز لهذا التحالف - مفاتيح بيت المقدس. وقد رحب الرشيد بتلك السفارة فتلاقت رغبته مع رغبة شارلمان في عقد تحالف أول مرة بين الدولتين، وأعد هدية قيمة أرسلها مع وفد الفرنجة رداً على رسالة شارلمان، واستدعى أحد رجاله بلاطه (وللأسف لم تذكر لنا كتب التاريخ اسمه)، مما دعا جميل نخلة المدور في مؤلفه «حضارة الإسلام في دار السلام» الذي هو رحلة تخيلية له كما أسلفنا، إلى أن يسند إلى نفسه هذا الدور.. دور رسول الخليفة إلى شارلمان..

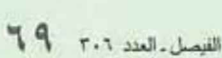
وقال الخليفة لرسوله (حسبما ورد في المراجع العربية): «لقد أتانا من ملك الفرنجة رسول يقرئنا السلام ويلتمس جميل رعايتنا بمن يحج إلى بيت المقدس من ملته.. فرأينا أن نوجهك إليه بلطائف تروم إليه أن يتقبلها في سبيل المودة».

وأضاف الرشيد موضحاً غايته من ذلك فقال: إن هدف الهدية هو «لغاية نرغب فيها إليه من التعصب على بني أمية الذين يمزقون الأندلس»، ثم أضاف أيضاً شرطاً هو لب التحالف الذي يوافق عليه وهو «فإذا وافقنا على ما نروم من الاستيلاء على ديارهم فهو المقصود من إنفاذك إليه في هذه الرسالة» ثم يوصيه الرشيد بوصفه سفيراً له فيقول: «واجهد في أن تسرق قلبه بخلابة لسانك، وتقدّم إليه بالوعد الجميل في أننا نوفيه حقه يوم الفتح، ونصرف له نفقة الحرب من بيت مالنا، ونجري الأرزاق الواسعة على جنده. واستصحب معك هذا اليهودي الذي جاء به رسوله فهو يترجم عنك إليه».



شارلمان

وقيل: إن جعفراً البرمكي لم يرض عن هذا التحالف، وأنه حاول إثناء هارون الرشيد عنه، وقال: إنه لم يكن يتوقع من الخليفة «اتساع الأطماع واستهداف القضاء على الإمارة الأموية بالأندلس».. وقال جعفر: «سبحان الله إلام يتمادى به تغرير القتال؟ لقد أشرت عليه أن يعدل عن مناجزة الأمويين لأن لنا في الشرق ما يشغلنا عن قتالهم، وفي الخوارج الذين يقارعونه على الخلافة في كل حين ما إن ضعفنا عنهم مرة واحدة فسدت دولته فساداً لا تقوم لها من بعده قائمة. وإن يكن الرشيد عن موعظتي غنياً بما عنده من العقل والعلم، فإن الملوك قد تطمح نفوسهم إلى ما وراءه من الشر من طمع الاستيلاء، وقد قال الله تعالى: *لا تسألوا عن أشياء إن تُبد لكم تسؤكم*. **المائدة:١٠١**. فما لنا وللأمويين وقد كفانا الله شرهم؟ فإن كانوا في شقاق فلندعهم ينادون بالويل والحَرب إلى ما وراء البحور، وليس لنا أن نلقي برجالنا في المواضع المجحفة، ونوردهم موارد الهلاك، فإني أرى الجند يفنون قبل الإشراف على تلك المتالف، كما أني أحسب الأنبرذور(٣) على ما يؤثر عنه من إيثار الرفق ولزوم التؤدة بعيداً عن موافقته على ما يروم من الإيقاع بملوك أمية، وهم مطمئنون في ديارهم، معتصمون في قلاعهم، وقد عمروا أمصارهم، ودوّنوا دواوينهم، وشكّوا في حصونهم واتخذوا الأهبة لهم والعدة والكُراع، ودون الاستيلاء على ديارهم شيب الغراب.. ولقد كان أولى بالرشيد أن يري دول الأندلس درعاً منيعاً للإسلام، وسيوفاً مشهورة على الروم، لأنها لو دخلت في حوزته لم يأمن إن أرسل الجند أن يخونه القواد، أو مات الأنبرذور عن خلف لا يرعى العهود أن يوجه من يقبض على عمالها من لدنه، وقد بدا لي أن أعاوده في هذا الشأن فإن رغب عما فرط منه وإلا فليفعل ما كان فاعلاً لبلوغ أمنيته».. واقترح جعفر أن يقتصر الأمر على إحياء سبل المودة بين الرشيد وشارلمان جرياً على سياق ما فعله أبو جعفر المنصور والمهدي، فرفض هارون الرشيد وذكره بموقف المنصور من محاولته القضاء على دولة بني أمية في الأندلس، وأن الظروف لم تتح له ذلك بينما يمكن أن تتيح للرشيد الآن ما كان يطمح إليه المنصور تثبيتاً لقواعد الدولة العباسية ووحدة سلطان المسلمين.. بل عهد إلى جعفر البرمكي



نفسه بالإشراف على الرسالة والهدية المزمع إرسالهما إلى شارلمان، وأوصاه بأن تكون الهدية على أرفع مستوى فصدع جعفر بالأمر.. ولا يملك المرء نفسه ـ وهو يستعرض هذه الوقائع والمواقف ـ إلا أن يسأل: .. هل حقا عارض جعفر البرمكي الرشيد على هذه الصورة أم إنها إضافات نسبت إليه من قبل من كانوا يتعاطفون مع البرامكة قَبْل نكبتهم أو بعدها؟..

أهداف السفارة

وهنا يجري الخلط في كثير من الكتابات العربية بشأن هدايا هارون الرشيد، إذ تبدو وكأنها كانت رفق سفارة واحدة.. وفي الحوليات الملكية (الفرنجية) تفصيل أكثر إذ أشارت إلى قيام شارلمان بإرسال وفد ورسالة إلى الرشيد بقيادة «سجسموند» و«لنتفرد» يرافقهما شخص يهودي للترجمة اسمه إسحق، وقد سبقت الإشارة إليه في حديث الرشيد مع رسوله شارلمان، وأن السفارة بدأت عام ٧٩٩م، واستمرت ثلاث سنوات مات في أثنائها «سجسموند» ، و«لنتفرد» بعد أن أنجزا مهمتهما ـ فيما يرجح ـ وهي المهمة التي رد عليها الرشيد بإرسال وفد ورسالة وهدية إلى شارلمان. وتلخص الكتابات الغربية أن أغراض هذه السفارة قد اشتملت على السعي إلى تحقيق هدف أو أكثر من الأهداف الثلاثة الآتية: الأول: تنظيم وضع شارلمان في إسبانيا وغرب البحر الأبيض المتوسط بوصفه مسؤولاً عن مصالح العباسيين في هذه الجهات. الثاني: التحالف مع هارون الرشيد وما يترتب على ذلك من التعاون المشترك ضد الأندلس والدولة البيزنطية. الثالث: تسهيل قدوم الحجاج المسيحيين إلى الأراضي المقدسة في فلسطين. وتشير هذه الحوليات إلى أن رسول شارل عاد عام ٨٠٠م ومعه مفاتيح «القبر المقدس» هدية من بطريرك بيت المقدس.

وفي عام ٨٠١م وصل إلى «بيزا» (في إيطاليا) رسل هارون الرشيد يحملون ردًا على رسالته مصحوبة بهدية قيمة شملت بعض قطع القماش الفاخرة الموشاة بخيوط الذهب، وبسط ديباج من طبرستان، وعطوراً من اليمن والحجاز، ومسكًا وصندلاً وأعوادَ ندٍّ من الهند. وسرادقًا عظيمًا مجللاً بأنواع الحرير وكلاليبه من الذهب، ومزولةً كبيرةً تدل على الأوقات قام مهرة عمال بغداد بصناعتها، وشطرنجًا من العاج المنقوش صنعه نقاش من مشاهير صنّاع بغداد اسمه يوسف الباهلي، وقد مثلت تلك الأدوات فيلا يلف خرطومه على فارس وعلى رأسه جندي قد أخذ بزمامه ومن حوله ثمانية فرسان يراد بهم الرمز إلى البيادق الثمانية الذين يناضلون عن الشاه.. «وقد أظهر الرسام في تصويره من الحذق ما يستحق الثناء لأنه مثل أصحاب الفيلة كما هم، وجعل في آذانهم أقراطًا، وعلى زنودهم أساور، وعلى أبدانهم القراطق، وهي لباس الهنود، واتخذ عدة الخيل مزخرفة وصنع لها السروج والأزمّة والركائب، وقلّد الفرسان شيئًا من السلاح.. كما تضمنت الهدية فيلاً أبيض كان أحد ملوك الهند قد أرسله هدية إلى الخليفة المهدي(٤).

رفض شارلمان الدخول في حرب ضد الأمويين لمصلحة العباسيين، إلا أنه وجد نفسه يقوم بما سبق أن رفضه

وقد توجه ركب السفير من بغداد إلى بيروت ومنها ركب البحر إلى مارسيليا بفرنسا حيث استقبله حاكمها استقبالاً حافلاً، وأخبر السفير أن الإمبراطور شارلمان ليس موجوداً في ذلك الوقت في عاصمته «اكس لا شابيل» وإنما هو في روما يتباحث في بعض الأمور مع البابا، مما يقتضي منه البقاء في روما شهرين أو ثلاثة، فرأى السفير أن يتوجه من فوره إلى روما لمقابلة الإمبراطور، فركب البحر مستصحبًا معيّة من مارسليا إلى روما.

أما إسحق فقد سبق الوفد العباسي إلى روما، وأفاض في إعجاب وحماسة في وصف بغداد «تلك المدينة الضخمة التي رآها على ضفاف نهر دجلة وقد بناها الخليفة المنصور قبل أربعين عامًا لتكون عاصمة دولة الخلافة»، وعدد إسحق ما رآه في المدينة التي كان يسكنها أكثر من مئة ألف نسمة (وفي مصادر أخرى: ثمانمئة ألف نسمة) وكانت تمتاز بشوارعها الكبيرة المضاءة ومساحاتها الواسعة، وقد توزع رجال الشرطة فيها، وكان فيها مئات النواعير بالمياه العذبة، والكثير من المساجد

الشامخة والقصور الضخمة والحدائق الجميلة والساحات الرياضية، فضلاً عن مكتباتها الغاصة بألوان العلم والأدب، ودور التدريس فيها على أعلى المستويات وأرقاها.. وقال إسحق: «إن النبلاء منهم يعيشون في بذخ القصور، ولكن العبيد أيضًا كانوا يعيشون حياة أعلى مستوى من حياة أفضل الفرسان في أوربا».

وفي روما.. استقبل شارلمان السفارة وأعضاءها، وعندما دخل السفير العربي عليه وجده «جالسًا على منصة من فوقها قبة عليها كتابة بالرومية وهي مجللة بالذهب وعلى رأسه تاج مرصع باللؤلؤ والياقوت والزبرجد، وفي يده قضيب الملك وعليه حالة من الوشي كأعظم ما يكون من حلل الملوك، وبين يديه حرس قد وقفوا بالسيوف المشهورة والحراب والأعمدة».. وعندما انفرد الإمبراطور برسول الخليفة أبلغه أنه لا يستطيع القيام بغزو الأمويين في الأندلس أو التعرض لهم.. وطلب منه أن يبلغ الخليفة بأن أمر الأمويين «وعر المرام لا يناله إلا على تمادي الأيام، إذ لا يدل الشقاق بين السلطان وعمّيه على ضعفهم عن رد العدو ولو شد عليهم لحوطوه بأطرافهم وقاتلوه بغرض واحد تدعوهم إليه الحالة التي يقعون فيها جميعًا من الغَرَر والإشراف على الخطر».

وتفسر الحوليات الأوربية(٥) موقف شارلمان هذا بقولها: إن شارلمان درس هذه الخطة مع ابنه كارل الذي تولى قراءة رسالة الرشيد وترجمتها، وقال معلقًا على ذلك: «إن نظرة الرشيد بعيدة المدى على ما يبدو»، ثم أضاف بعد تفكير: «لابد أن يحدث ذلك يومًا ما فقد كتب المفكر آلكوين(٦) مرة يقول: إن الإمبراطوريات الكبيرة تمتد باستمرار حتى تلتقي حدودها بعضها مع بعض، فإما أن تتقاتل الإمبراطوريتان المتجاورتان، وإما أن تعقدا معاهدات الصداقة والتعاون المشترك، فقال شارلمان بشيء من العجب: «ولكن دولتنا إمبراطورية كبيرة»، فأجابه ابنه «إن هذا لم يعد صحيحًا تمامًا فالإمبراطورية البيزنطية انتابها الضعف وهي في طريقها إلى الزوال عاجلاً أو آجلاً، والصراعات الداخلية على السلطة والنزاعات القوية بين رجال الدين فيها ستجعلها تخسر أي معركة تفرض عليها من الخارج بهجوم قوي»، فقال الإمبراطور: «فهل تؤيد إذن أن نقوم بهجوم على بيزنطة؟». ورد الابن بل على العكس وإن كان القائد بيين يود لو دخل القسطنطينية على سرج فرسه، وإنما باستطاعتنا أن ندعم آخرين يقومون بالحرب لنا.. ندعم البلغاريين الذين فيهم نصارى أيضًا فيقومون بالهجمات بدلا منا «فأبدى شارلمان سروره وترحيبه بالفكرة، وهز رأسه قائلاً «إنك تفكر بصورة ذكية للغاية وأنت تؤكد ألا نقوم بحرب هجومية على الدولة البيزنطية، ولكن ماذا تفكر بشأن إمكانية مساعدة هارون الرشيد بالسلاح؟»، فكان الجواب «يجب أن نمتنع عن ذلك أيضًا، فليس من

من أهداف سفارة شارلمان إلى هارون الرشيد تنظيم وضعه في إسبانيا وغرب البحر الأبيض المتوسط بوصفه مسؤولاً عن مصالح العباسيين في هذه الجهات، وتسهيل قدوم الحجاج المسيحيين إلى الأراضي المقدسة في فلسطين

المعقول على الإطلاق أن نقف كتفًا بكتف في الحرب مع خليفة المسلمين سواء في المشرق أو حتى ضد الأمويين في الغرب في قرطبة» ووافق الإمبراطور ابنه ثانية وقال له: «ليكن ما تريد ولتدعم مع بيين البلغار ضد البيزنطيين».. وتستطرد الرواية فتشير إلى أن شارلمان قد استبعد فكرة الحرب حاليًا لكي يتفرغ لبعض الإصلاحات الداخلية لتقوية إمبراطوريته.

إلا أن تطور الأوضاع في الأندلس دفع به سريعًا إلى خضم التطاحن الدائر هناك ووجد نفسه يقوم بما سبق أن تحفظ عليه في رده على الرشيد وهو «الحرب ضد الأمويين» وقد انقسم حكام الأندلس بعضهم على بعض وهذا يتوافق مع ما كان الرشيد يرنو إليه.. وقد بدأ شارلمان حملاته بإرسال ابنه لودفيج LODWEJE على رأس جيش

كبير لغزو بعض الموانئ الأندلسية، غير أن لودفيج لم يحقق لأبيه النصر الذي يطمح إليه لضعف قيادته وتوغله في البداية داخل الأندلس مما جعله يتقهقر إلى مواقعه من جديد تاركًا وراءه عدداً من الحقول المحروقة الخربة، والمناطق السكنية المهدمة، وشعوراً بالمرارة لدى النصارى من السكان أنفسهم قبل المسلمين.

ففكر شارلمان بالخروج بنفسه لإصلاح الوضع المتدهور.. بالنسبة إليه.. وإلى سياسته.

هنا فاجأ مبعوثو الخليفة العباسي هارون الرشيد بلاط الفرنجة مرة ثانية بهدايا جديدة ضمت أجمل الأقمشة الحريرية وأجمل المصابيح بالإضافة إلى خيمة هائلة الحجم أشبه بقصر فاخر بما فيها من مقصورات وتقسيمات، وبما ازدانت به من أبهى النقوش والقطع الفنية الثمينة»، وكانت عالية لا يصل السهم إلى سقفها، وفوق ذلك كله فقد كان بين الهدايا ساعة مائية جميلة تقذف في كل ساعة حجراً برونزيًا لتعيين الوقت، كما يظهر في كل ساعة فارس من كوة تحت رقم الساعة، كما كان يمكن للمرء أن يقرأ عليها تاريخ اليوم، وتبيِّن المرحلة التي مرت من الشهر القمريّ، وهي الساعة التي ظن بعض رجال البلاط في «اكس لا شابيل» أنها آلة سحرية، وهم بعضهم ـ حسب بعض الروايات ـ بتهشيمها فمنعهم شارلمان(٧).

كذلك فقد سُرَّ شارلمان جداً بما حمله له وفد الخليفة العباسي من إعادة تأكيد أنه لا يوجد ما يعترض طريق الحجاج النصارى إلى الأماكن المقدسة في فلسطين.

وبالغت الحوليات الفرنجية في قولها: «إنه قبل أن يجعل تحت سلطان شارلمان بيت المقدس والقبر المقدس، وأن هارون الرشيد قال لسفير شارل: سأجعل له الأرض المقدسة، وسوف أكون نائبه»(٨).

وصلت هدية الرشيد الثانية ـ وواضح أنها تعبير عن تضامنه مع حليفه ـ في الوقت الذي كان شارلمان قد عقد العزم على إصلاح الوضع المتدهور بالنسبة إليه خصوصاً وقد مني بهزيمة بحرية أخرى من البيزنطيين قرب «دالماتيا» فضلاً عن مؤامراتهم المستمرة في جنوب إيطاليا.

كانت رسالة الرشيد وهديته الجديدة لشارلمان تنسجمان تمامًا مع الوضع السياسي له في هذه المرحلة وما كان يتوقعه من أثر للود القائم مع دولة الخلافة ضد الإمبراطور البيزنطي نقفور، لاسيما بعد أن أصبح الرشيد في السنوات الأخيرة من أشد أعداء العرش البيزنطي.

وربما يستشعر المرء بعض المرارة وهو يستعرض تلك الوقائع وكيف أن عوامل السياسة كان لها القدح المعلّى في تكييف العلاقات بين المسلمين وغيرهم في هذه الفترة التاريخية، على الرغم من أننا لا يمكن إلا أن نتذكر من ناحية أخرى أن الرشيد لم يكن من المتهاونين فيما يتعلق بالنواحي الدينية والحرص على الجهاد.. ومع أن المأمون خليفة هارون الرشيد قد استمر في موقفه من البيزنطيين، كما شهدت دولة الخلافة ازدهاراً لم تعهده من قبل، فإن آمال شارلمان فيإمبراطوريته قد تحطمت بعد ثلاثين عاماً فقط من وفاته، مما أتاح فرصًا أكبر للحكم الإسلامي في الأندلس في زيادة الانفصال والاستقلال عن الحكم العباسي في المشرق.

المراجع والهوامش

١. الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري ـ الكتاب الثاني في التاريخ الحربي لفتحي عثمان ص ١٥٦.

٢. اسم شارلمان الأصلي هو كارل الأول لكنه ارتبط بعد ذلك بلقب لازمه في الأجيال التالية أو بمعنى أدق لازم سيرته وهو (شارلمان) ابتداء من القرن الحادي عشر الميلادي، أي إنه لم يعرف بهذا الاسم على عهد الرشيد. وجاء هذا الاسم في سياق قصة عنه فوردت عبارة Karolus Magnus بمعنى كارل العظيم أو الفاخر، واشتبكت الكلمتان في كلمة واحدة حرفت بعد ذلك إلى Carlemaines ثم Charlemaines وهي المرادفة لـ (شارلمان).

٣. الأنبرذور أي (الأمبراطور).. هكذا وردت في كتب المؤرخين العرب وإن كان ابن خلكان قد انفرد بإيرادها على هذا النحو (أنبروز) بحذف الذال.

٤. كان الفيل يسمى «أبو العباس».. ولم يكن سكان أوربا قد رأوا الفيلة منذ مئات الأعوام «وقد سادت بينهم الأساطير حول ضخامة تلك الحيوانات وقوتها وطول أعمارها»، وقد حرص شارلمان على أن يستصحب الفيل معه في سائر رحلاته فيما بعد، وكان يثير الإعجاب والدهشة حيثما ظهر. لكن حياته في أوربا كانت صعبة وقصيرة فقد مات بعد سنوات محدودة ضحية تعب الترحال والجهل بطريقة رعايته الصحية وذلك عام ٨١٠م في «ليبنهايم» في أثناء زحف الإمبراطور على «سكسونيا»، وكان قد استخدمه في الحرب ضد الدانماركيين (هامش ص ٢٠٢ من كتاب «شارلمان»، لـ «هـ.و. كارلس ديفيز»، تعريب د. السيد الباز العريني).

5 - Orient Post - Barid Al- Shark, No:5 Mai Jahrgang 13/1/1977.

٦. ألكوين: مفكر إنجليزي عمل في خدمة شارلمان مستشاراً للشؤون الفكرية والدينية.

٧. يشير جميل نخلة المدور في كتابه «حضارة الإسلام في دار السلام» بهامش ص ٢١٤ إلى أن «هذه الأداة لم تزل إلى هذا الوقت محفوظة عند الفرنجة وقد رأيت صورتها فوصفتها كذلك».

٨. ص ٢٠٣ شارلمان: هـ.و. كارلس ديفيز.



جودت أحمد الحمد
إربد - الأردن

تدور رواية سيد الذباب لوليم جولدنج حول مجموعة من الصبية ألقي بهم في جزيرة مهجورة إثر تحطم طائرة كانت تُخليهم في أثناء حرب عالمية نووية. يقيم الصبية، في البداية، مجتمعًا إنسانيًا يُنظمون فيه حياتهم الجديدة في الجزيرة في غياب رعاية الراشدين لهم. ولتباين قياداتهم واختلاف أولوياتها يتشرذم مجتمع الصبية ويتحولون بالتدريج إلى مجتمع بدائي متوحش.

جاك شخصية رئيسة في رواية سيد الذباب. يصفه جولدنج لنا: «داخل المعطف الفضفاض...كان الصبي جاك نحيفًا بارز العظام. كان شعره أحمر تحت الطاقية السوداء، كما كان وجهه مُجعدًا ومُغطى بالنمش وقبيحًا.. ومن هذا الوجه حدقت عينان لامعتا الزُرقة»(١). وجاك كغيره من الصبية الآخرين الناجين (جنسيته بريطاني) إلا أننا لا نعرف شيئًا عن خلفيته الاجتماعية(٢).

وبينما يرمز رالف إلى التصرف المنطقي والرزين، ويرمز بيجي إلى التفكير العقلاني، يرمز جاك إلى القوة الجسدية والتصرف العفوي بلا أدنى تفكير أو تردد، وكان أشبه ما يكون برحالة.

وليم جولدنج

وقد ذكر أنه ذهب وجوقته إلى جبل طارق وأديس أبابا(٣). ميّز جاك نفسه من بقية الصبية في الجزيرة بالإصرار على أن يُدعى باسم عائلته، كما يوضحه هذا الحوار: بيجي: لذلك عقد رالف اجتماعًا، حتى نُقرر ما سنفعله. سمعنا الأسماء. هذا هو جوني. وهذان التوأمان: سام وإيريك. أيهما إيريك؟ أنت؟ لا... أنت سام.

رالف: يحسن أن يكون لنا كلنا أسماء، فأنا رالف.

جاك: أسماء صبْية، لماذا يجب أن أُدعى جاك؟ أنا ميريديو.

وعندما يُذكّر بيجي رالف بأنه هو الرئيس الذي هزم

جاك في موضوع النار، يردُ رالف بالقول: «لكنه هو، هو جاك ميريديو». ويتميز جاك بموهبة القيادة: عندما رأى الصبية ضرورة اختيار رئيس لهم قال جاك بعنجهية بسيطة: «أنا من يجب أن يكون رئيساً. لأنني مُنشد في جوقة الدير، ورئيس جوقة، وأستطيع غناء نغمة مي الحادة».

ويقول جولدنج في مسألة اختيار الصبْية رئيساً لهم: «... لم يستطع أيّ من الصبية تحديد سبب مُقنع لهذا الاختيار. فقد كان الذكاء واضحاً في بيجي (مع أن ترشيحه للرئاسة لم يكن وارداً أصلاً بسبب إعاقته المتعددة) بينما كانت صفة القيادة واضحة في جاك، لكن الرزانة كانت تُميز رالف منهم جميعًا...».

وعندما عهد رالف بأمر الجوقة إلى جاك قسّم جاك أفراد جوقته مجموعات لتقوم بمهام مُحددة، بعضها للاعتناء بنار الإشارة على الجبل بالتناوب، وبعضها لمراقبة الشاطئ، وبعضها للصيد، قائلاً: «... سأقسم الجوقة - صيادي إلى مجموعات. وسنكون مسؤولين عن إبقاء النار مشتعلة... وسنكون مسؤولين عن إبقاء نقطة حراسة أيضًا. فإذا رأينا سفينة هناك في البحر، نضع أغصاناً خضراء عليها فينطلق دخان كثيف»، ومن هنا شعر جاك بأهمية وجود أناس راشدين للاعتناء بمن هم في حاجة إلى العناية من الصبية. وكان أول سؤال له عند وصوله وجوقته إلى الرصيف حيث عقد الصبية أول اجتماع لهم: أين رجل البوق؟ أما من رجل هنا؟ أليس هنا بالغون؟ وعندما أدرك ألاّ راشدين في الجزيرة تصرف بوجودية: «علينا إذن أن نعتمد على أنفسنا». ولنظرته الوجودية هذه يعود تصرفه المتشدد مع جوقته عندما أمرهم وهم منهكون للاستعداد والوقوف، وعدم اهتمامه بسيمون الذي أغمي عليه، ومنافسته رالف على رئاسة الصبية. وكما لاحظنا كان له مسوغاته. وعن أسباب اختيار الصبية لرالف، لا جاك رئيساً لهم يقول جولدنج: «... لكن الرزانة كانت تُميز رالف منهم جميعاً وهو جالس، إضافة إلى حجمه ومظهره الجذّاب، وفوق هذا، وعلى نحو أكثر غموضاً، وربما على نحو أكثر قوة، كانت معه المحارة. فالإنسان الذي نفخ ذلك الشيء، وجلس في انتظارهم على الرصيف ومعه الشيء الدقيق على ركبتيه كان مختلفًا عن الآخرين». ولابُد أن صبية الجوقة كانوا مشتتين متفرقين في كلّ أنحاء الجزيرة، وتمكّن جاك من جمعهم والقدوم بهم إلى الرصيف استجابة لنداء المحارة الذي أطلقه رالف، أحد مظاهر قوته بوصفه قائداً(٤).

في البداية كان جاك متعاوناً وإيجابياً في شخصيته(٥)، وتميّز بمحبة وود تجاه رالف(٦)، فأقام رالف وجاك حكومةً كان كلٌ منهما الطرف المناهض لطموحات الآخر، والمتناقض معه في أولوياته.

> مجتمع الصبية في رواية سيد الذباب يتبع من يقوده دون تفكير أو تأمل. فالصبيةُ الذين انتخبوا رالف رئيسًا لهم هم الصبية أنفسهم الذين اتبعوا جاك

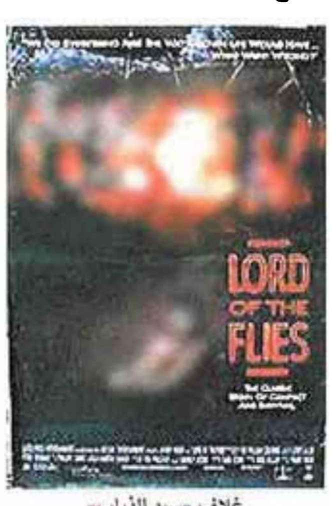
فبينما تمثلت أولويات رالف في الإنقاذ، وإشعال نار الإشارة، وبناء المأوي، وحماية صبية مجتمع الجزيرة من المخاطر التي كانت تهددهم؛ الداخلية منها والخارجية، تمثلت أولويات جاك في الصيد، وقتل الخنازير، ودحرجة الصخور، ولعب ألعاب الصيد. ومن هنا يمكن عدّ تصرفات جاك وسلوكياته بأنها عفوية وغير مُخطط لها، يعيش حياته يومًا بيوم، وكأن كل يوم بالنسبة إليه هو اليوم الوحيد، ولم يكن يعيش من أجل مستقبل غامض كرالف. في رحلة استكشافهم الأولى عثر جاك ورفيقاه على خنزير عالق في المعرورشات، ولم يستطع عندها جاك قتله مع أنه كان متسلحًا بمدية(٧) لأن الصبية عندها كانوا أقرب إلى البراءة منهم إلى التجربة، وللتحضر منهم إلى التوحش. وعبر جاك عن إخفاقه بأن ضرب مديته في جذع شجرة مُتعهداً بأن ذلك (الإخفاق) لن يحصل أبدًا.

كما كان جاك هو الذي أشار باستخدام نظارات بيجي لإشعال النار بعد عجز قيادة رالف وجاك عن إيجاد وسيلة لإشعالها بها: «أشار جاك فجأة: نظارته: استخدموها لإشعال النار». وكان جاك هو الذي نزع نظارة بيجي عن وجهه. وأيدّ جاك رالف في القوانين التي استنّها لتنظيم حياة مُجتمع الصبية في الجزيرة: «أوافق يا رالف، يجب أن تكون لدينا قواعد نتقيد بها».

لم يكن جاك شخصية غير أخلاقية، كما لم يكن ضد الأخلاق إلا أنه لا يعترف إلا بالقوانين وأخلاقياتها

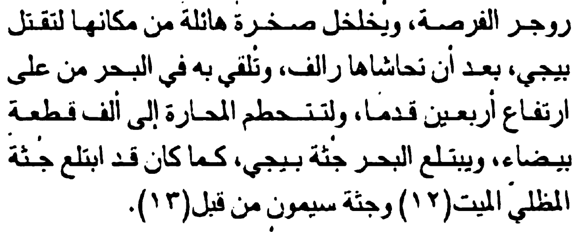
المفروضة، لذا كان يفرض إرادته دون تحرج تجاه المجردات من مثل الحق والعدالة(٨). ومثال ذلك أنه ينشق عن سلطة رالف المنتخبة ديمقراطياً، ويشكل حكومته الديكتاتورية بعد ذلك فارضاً قيمه ورؤاه بالعصا دون إقامة وزن لأي محاذير أو مُحرمات، فيغير على جماعة رالف ليلاً ليسرق النار، وليسرق نظارات بيجي فيما بعد، ويجبر بعض الصبية على الانضمام إلى قبيلته.

في الفصل الحادي عشر.. يخاطب رالف صبية قبيلة جاك المصبوغي الوجوه ينبههم على أهمية نار الإشارة لإنقاذهم... يُخاطبهم بغيظ وحنق وصوت مشروخ: «ألا تفهمون أيّها الأغبياء المصبوغون؟ سام وإيرك وبيجي وأنا لسنا كافين. لقد حاولنا إبقاء النار مشتعلة، لكننا لم نستطع، وأنتم تلعبون بالصيد. «لكن لا حياة لمن تنادي، بعد أن هزم منطق العقل وقانونه وساد قانون جاك». صمت (رالف) وقد هزمه الصمتُ (صمت الصبية) ومجموعة الوجوه المصبوغة مجهولة الهوية والقائمة على حراسة المدخل. ثم أمر جاك رجال قبيلته بالإمساك بالتوأمين: «.. أمسكوا بهما. قيّدوهما» ويخاطب جاك رالف: «أرأيت؟ إنهم ينفذون ما أريده».



غلاف «سيد الذباب»

كان ارتداد جاك للبدائية والتوحش تدريجياً، مع أن بذور الشرّ كانت موجودة فيه كما في كل البشر حسب رؤية وليم جولدنج؛ يطول شعره في الفصل الثالث، شبه عار، يزحف على أربع ككلب يتشمم روث الخنازير بحثاً عنها لصيدها، يحمل عصا مشحوذة من طرف واحد. وعندما يخفق في صيد أحدها يعود إلى الشاطئ محبطاً ليصطدم مع رالف المحبط أيضاً لإخفاقه في بناء المأوي ولعدم تعاون الصبية باستثناء سيمون، لتتوتر الأمور بين القائدين ويشْتم جاك رالف ليصبحا معاً «عالمين مختلفين كقارتين منفصلتين». ويغضب جاك من رالف لعدم إجابته عن سؤال بخصوص صياديه، ويدعو جاك لاجتماع، وللمرة الأولى والأخيرة(٩). يُعلن في نهايته الانشقاق عن رالف وعدم اللعب معه(١٠) بعد إخفاقه في التصويت على عزل رالف. وفي الفصل نفسه (الفصل الثامن) يُنصّب جاك نفسه رئيساً، ويتصرف ويتعامل مع الصبية من قبيلته على هذا الأساس. يصف جولدنج جاك في الوليمة التي أقامها جاك للصبية (وحضرها كل من رالف وبيجي) بعد نجاحهم في صيد الخنزيرة الأمك المرضع، وسفح دمها بوحشية وساديّة جنسية، وإهداء رأسها للوحش: «... قبل أن تبدأ الحفلة كان زند خشب ضخم قد جرّ إلى وسط المرج، وجلس عليه جاك كمعبود، وقد صبغ وجهه، ووضع إكليلاً على رأسه. كانت هناك أكوام من لحم على أوراق شجر خضراء قربه، إضافة إلى الفواكه وأصداف جوز الهند المملوءة بالماء». وعندما يُحاول رالف وبيجي دخول القلعة الصخرية يتصدى لهما حراسها، من صبية جاك أو قبيلته ويمنعونهما باسم الرئيس من الدخول. وعند عودة جاك من صيده يطلب من رالف الانصراف: «انصرف يارالف. ابق في طرف الجزيرة الخاص بك. هذا هو طرف الجزيرة الخاص بي والخاص بقبيلتي. اتركوني وحدي». وعندما يتهم رالف جاك بالسرقة، ويطلب منه بصفته رئيسه المُنتخب إعادة نظارة بيجي إلى صاحبها، يندفع جاك مُهاجماً رالف(١١)... ينصارع النِدّان ليستغل روجر الفرصة، ويُخلخل صخرةً هائلة من مكانها لتقتل بيجي، بعد أن تحاشاها رالف، وتُلقي به في البحر من على ارتفاع أربعين قدماً، ولتتحطم الحارة إلى ألف قطعة بيضاء، ويبتلع البحر جثة بيجي، كما كان قد ابتلع جُثة المظليّ الميت(١٢) وجثة سيمون من قبل(١٣).



نظر جاك إلى بيجي نظرة بغضٍ وعداء، وكانت معاملته له فظة قاسية طوال الوقت. لم يطق رؤيته أو الاستماع إليه، ربما لأن لحديثه معنى يسعى الآخرون إلى الإصغاء إليه. وقد كان رالف يسعى إلى بيجي للإصغاء إليه والاستماع إلى نصائحه عندما تتعقد الأمور، وتسوء الأحوال. وكان بيجي يخشى جاك ويخافه لعدمِ معاملته له على إنه إنسان له كرامة. فعندما يعبر بيجي عن رأيه في الأشباح في الفصل الخامس، وأنه لا يؤمن بها يغضب جاك

ويردّ عليه بالقول: «من يهتم بما تعتقد يا بدين؟». عندما أراد بيجي مرافقة رالف وسيمون وجاك في رحلتهم الاستكشافية، قال جاك له بخشونة وقسوة: «لا نريدك». وكان لبيجي تعليلاته في حقه في مرافقتهم فيقول في الفصل الأول: «كنت معه حين وجد المحارة. كنت معه قبل أيّ شخص آخر». كما أمره جاك أن يخرس مع أن المحارة كانت بيده، وما كان يقوم به من الإدلاء برأيه في اجتماع قانونيّ حق مشروع وممارسة ديمقراطية، وعندما احتج رالف على سوء معاملة جاك لبيجي في الاجتماع الذي ناقش فيه الصبية موضوع الأشباح بالقول: «جاك، جاك، المحارة ليست معك، دعه يتكلم. «رد جاك» وأنت تخرس. من تكون على أي حال؟ إذ إن جاك كان قد ارتد إلى السلوك البدائي، ولم يعد يكترث بالقوانين والقواعد ولا بمن يمثلهما، ويبدو ذلك من الحوار الذي دار بينه وبين رالف: يخاطب جاك رالف بلا اكتراث: «من أنت على أي حال؟ أنت تجلس هناك، وتطلب من الآخرين أن يفعلوا هذا، أنت لا تستطيع الصيد، ولا تستطيع الغناء.

رالف: أنا الرئيس. لقد اختاروني.

جاك: لم يشكل الاختيار أي فرق إلقاء الأوامر فقط لا يؤدي إلى أي معنى.

رالف: أخذ بيجي المحارة.

جاك: هذا صحيح حاب بيجي كما تفعل دائماً.

رالف: جاك.

جاك محاكياً صوت رالف: جاك - جاك -

رالف: القواعد، أنت تخالف القواعد.

جاك: من يهمه هذا؟

استدعى رالف ذكاءه: لأن القواعد هي الشيء الوحيد الذي لدينا.

جاك: إلى الجحيم بالقواعد. نحن أقوياء. نحن نصيد. وإن كان هناك وحش فإننا سنصطاده...

اتهم جاك رالف بمحاباة بيجي: «حاب بيجي كما تفعل دائماً». وبصورة مبطنة يقول جاك مخاطباً رالف في الفصل السادس «هذا حق. أبق بيجي بعيداً عن الخطر»

كان ارتداد جاك للبدائية والتوحش تدريجياً، مع أن بذور الشرّ كانت موجودة فيه كما في كل البشر حسب رؤية وليم جولدنج

ويقول اللهجة الساخرة نفسها مخاطباً رالف أيضاً: «يجب ألاّ تدع شيئًا يحدث لبيجي، أليس كذلك؟». ومن شدة خوف بيجي من جاك كان لا يريده أن يصبح رئيساً؛ لأنه سيضطهده، ولن يجد أحداً يدافع عنه. وكان بيجي يلتزم الصمت في الاجتماعات إذا ما وجه جاك بصره إليه. وقد ضرب جاك رالف مراراً، وكسر إحدى عدستي نظارته. وعندما يفكر رالف بالتخلي عن الرئاسة في الفصل الخامس لتردي الأوضاع في مجتمع صبية الجزيرة يتشبث بيجي بذراع رالف بقوة، ويقول: «إذا أصبح جاك رئيساً فإنه سيقضي الوقت كله في الصيد، ولن يلتفت إلى النار. سنبقى هنا حتى نموت... إذ تخليت عن الرئاسة، ماذا سيحدث لي؟ إنه يكرهني... أنا خائف منه... أنا أخبرك يارالف. إنه يكرهك أيضاً.... أنا أعرف نفسي وأعرفه. إنه لا يستطيع إيذاءك. ولكنك إذا انسحبت من الطريق، فسيوقع الأذى على أول شيء يواجهه. وأنا ذلك الشيء».

من الواضح أن حدوث الكارثة في الجزيرة يُعزى إلى حقيقة أن صبية الجزيرة، أو قادتهم على الأقل، غير كاملين. فيشير كارل نيمير إلى أن رالف، القائد، وبيجي العقل المدبر شخصان ناقصان. كما أن سيمون المتبصر محكوم عليه بالإخفاق الحتمي؛ لأن ما يعرفه أبعد من إمكانية التعبير عنه بالكلمات. فالذكاء والقدرة على المخاطبة والشجاعة واللطف والكياسة والقدرة على التنظيم وقوة الحدس مقسمة ما بين بيجي وجاك ورالف وسيمون. يفتقر كل منهم موهبةٍ حيويّةٍ تجعله قاصراً. وكأن جولدنج يريد أن يصل إلى نتيجة مضمونها «وبتورية مبطنة» أن جاك هو رئيس العالم المتحضر ورمزه المُنشغل بحرب شعارها إما أن تقتل وإما أن تُقتل». لن يعترف أي من قادة العالم المتحضر المنشغلين في الحروب والقتل والتقتيل والتدمير بأنه يشبه جاك في رواية سيِّد الذباب، بل يتعاطف مع رالف؛ لأنه صورة لما يجب أن يكون عليه القائد. القوة الغاشمة، التي يرمز إليها جاك، قوة الشرطة أو الجيش أو أي قوة مماثلة لها تتصرف بلا قيود أو ضوابط تمتصُ

بصورة تدريجية كل ما حولها، وتمحو كل ما لا تستطيع امتصاصه. وقد كان جاك قادراً على امتصاص معظم الصبية في مجتمع الجزيرة، والتخلص ممن لم يكن قادراً على امتصاصهم مثل سيمون وبيجي.

مجتمع الصبية في جزيرة ويليم جولدنج في رواية سيد الذباب يتّبع من يقوده دون تفكير أو تأمل. فالصبيةُ الذين انتخبوا رالف رئيساً لهم هم الصبية أنفسهم الذين اتبعوا جاك، وغدوا قبيلته التي تأتمر بأمره. وكأن جولدنج يريد أنه يسخر من المجتمعات الديمقراطية المتحضرة والمجتمعات الفردية السلطوية الديكتاتورية التي يُخنق فيها صوت الإنسان الفرد، لكن مواطنيها يقومون بما يؤمرون به، ومثل هؤلاء الأتباع في مثل هذه المجتمعات ليسوا بأفضل من سام وإيريك عندما أُجبرا على الانضمام إلى قبيلة جاك.

يريد جولدنج أن يقول وبصوت مسموع نفهمه ونخرج به من قراءتنا للرواية: إن على الشعوب أن تقدم للقادة الخيّرين المساعدة الفاعلة، وأنّ على مثل هذه الشعوب نَزْع القوة من القادة السيئين برفض كل فرد إطاعة أيّ أوامر خاطئة أو تنفيذها...

الهوامش

١. تأخذ الناقدة الشهيرة كلير روزنفيلد شعر جاك الأحمر لتشير إلى أنه شخصية شيطانية.

٢. يفتخر جاك في الفصل الثاني من رواية سيد الذباب بأنه إنجليزي: «نحن إنجليز، والإنجليز أفضل الشعوب في كل الأمور؛ لذلك لابد أن نقوم بما هو صحيح».

٣. يُعلق جاك على سيمون عندما وقع مغمى عليه بالقول: «إنه دائماً يسقط مغمىً عليه».

٤. «... وكان المخلوق مجموعة من الصبية يسيرون بخطى عسكرية منتظمة تقريباً في خطين متوازيين مرتدين ملابس غريبة شاذة...» (الفصل الأول).

٥. ومع إيمان جولدنج المطلق بأن الشرّ طبيعة موروثة في الإنسان وموجود في كل إنسان منذ الخليقة، لا يصح القول بأن جاك شخصية شريرة منذ البداية.

٦. ففي الفصل الأول، وبعد اختيار الصبية رالف رئيساً لهم، وبعد أن أعطى رالف جاك المسؤولية عن الجوقة... تبادل جاك ورالف الابتسام بودٍ خجل. وعندما قرر رالف في الفصل الثاني إشعال نار إشارة على الجبل «... فلابد أن يروا ناراً. يجب أن نشعل ناراً»، تعاون رالف وجاك على حمل زند ثقيل من الخشب: «... تمايلا معاً، فقد ربط بينهما جهد حمل الزند وصعدا الجزء الأخير من انحدار الجبل وغنيا معاً: واحد! اثنان! ثلاثة! ورميا الزند بقوة على الكومة الضخمة ثم رجعا بضع خطوات ولذة الانتصار تطلق ضحكاتهما.

٧. يعلل جولدنج عدم قدرة الصبية، جاك ورالف وسيمون، على قتل الخنزير: «... كانوا يعرفون (للاحظ استخدام جولدنج صيغة الجمع في الإشارة إلى الصبية الثلاثة لا صيغة المفرد التي تخص جاك وحده في إشارة مبطنة إلى الشر الكامن في قلب كل إنسان بغضّ النظر عن مستوى وحدة هذا الشر وإمكانية ظهوره إلى السطح أو كبته أو التحكم به والتغلب عليه) لماذا لم يطعن الخنزير؟ لشناعة المدية وهي تهبط، وتقطع اللحم الحيّ، وبسبب منظر الدم غير المحتمل».

٨. تجاوز جاك القوانين التي كان يدعو إلى احترامها، فكان يتحدث في الاجتماعات من دون الإمساك بالمحارة، كما كان يهملها تماماً بدعوى ألاّ قيمة لها ولا سلطة على الجبل أو في الطرف الآخر من الجزيرة، على عكس بيجي الذي كان يتسلح بها، ورالف الذي كان يرى «حيثما تكون المحارة فهناك اجتماع».

٩. «وواصل جاك النفخ (في المحارة) حتى دبت الحركة في المأوي، وزحف الصيادون متجهين نحو الرصيف...» وفي الاجتماع أبلغ جاك الصبية أنهم رأوا الوحش... ولا يستطيعون صيده، وأن رالف قال عن صياديه: إنهم بلا جدوى وإن رالف لا يصلح رئيساً مثله مثل بيجي.

١٠. وضع (جاك) المحارة بحرص بالغ على العشب.. وجرت دموع إذلال من ركن كل عين من عينيه: «لن ألعب أبداً، ليس معكم. لن أكون من مجموعة رالف. يستطيع كل من يريد الصيد أن يحضر معي...».

١١. في الفصل الحادي عشر من الرواية ينطلق رالف وبيجي والتوأمان وبعض الصغار متسلحين بالشرعية والمحارة للمطالبة بنظارات بيجي إلا أن الحراس المدافعين عن القلعة الصخرية يمنعونهم من الاقتراب.

(روجر): قف! من القادم هناك؟

مال رالف برأسه إلى الخلف، ولمح وجه روجر الأسمر على القمة، صاح: «يمكنك أن ترى من أنا. كفّ عن السخافة»... ظهر المتوحشون وقد أخفى الصباغ هوياتهم.. كانوا يحملون رماحاً وقد نظموا أنفسهم للدفاع عن المدخل.

١٢. يمثل المظليّ الميت في رواية سيّد الذّباب فساد الأمل الإنساني فقد كان الطيّار قبل أن تسقط طائرته، ويقتل رمزاً لذروة عظمة الإنسان وتقنيته، واستخدمت تلك التقنية لا لمصلحة البشرية بل ليقتل بها الناس بعضهم بعضاً، ولينقلب السحر على الساحر، ليصبح المظليّ أداة للاعتداء والقتل وفي الوقت نفسه ضحية لها. وما اختفاء المظليّ الميت وابتلاع البحر له إلا إشارة لعدم الحاجة إلى مثل هذا الوحش المتخيل في الجزيرة بعد ظهور وحوش آدمية حقيقية فيها، كانت قد قتلت في اللحظة نفسها سيمون على أنه هو الوحش.

١٣. مشهد مقتل سيمون على أيدي صبية الجزيرة، وقد ظنوه الوحش، من أبشع المشاهد في الأدب الحديث. وقد اكتسب سيمون بُعداً رمزيّاً، كالمسيح؛ لأنه قُتل على يد أولئك الذين حاول إنقاذهم. على أيدي أولئك الذين أصمّوا آذانهم عن الاستماع إلى الأخبار السارة التي أتاهم بها سيمون. لا خوف من الوحش على الجبل، فما هو إلا إنسان ميت متحلل متعفن لا يضر ولا خوف منه.

المراجع

١. وليم جولدنج: روائي من العصر الأسطوري، فؤاد نصرالدين حسين، ص١٠٤-١٠٦، مجلة الفيصل، ع ٢١١، محرم ١٤١٥هـ يونيو/يوليو ١٩٩٤م.

٢. الشر في كل قلب، بثينة رشدي، مجلة القاهرة، ع ١٣٢، نوفمبر ١٩٩٣م، ص ٢٧٥-٢٧٦.

٣. وليم جولدنج آخر الروائيين الميتافيزقيين، ماهر شفيق فريد، مجلة إبداع، ص٧٤-٨٩، ع٩، سبتمبر ١٩٩٣م.

٤. رواية لورد الذباب لويليم جولدنج، دار النشر للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٨٨م.

5- EPSTEIN, E.L., NOTES ON LORD OF FLIES. LORD OF THE FLIES CAPRICON BOOKS, 1959.

6- GOLDING, WILLIAM, LORD OF THE FLIES, LONDON: FABER AND FABER, 1971.

7- GREGOR, INE AND MARK KINKEAD - WEEKES, INTRODUCTION, LORD OF THE FLIES, LONDON: FABER AND FABER SCHOOL EDITIONS, 1962.

8- HYNES SAMUEL, WILLIAM GOLDING, NEW YORK: COLUMBIA UNIVERSITY PRESS, 1964.

9- KING KEAD - WEEKES, MARK AND GREGOR, IAN, WILLIAM GOLDING, A CRITICAL STUDY (LONDON: FABER AND FABER, 1967).

10- TIGER, VIRGINIA, WILLIAM GOLDING: THE DARK FIELDS OF DISCOVERY (LONDON: CALDER AND BOYARS 1974).

طرق التجارة في الجزيرة العربية قبل الإسلام

فرج الله أحمد يوسف
الرياض ـ السعودية

كان استئناس الجمل في نحو النصف الثاني من الألف الرابع قبل الميلاد، أو مع بداية الألف الثالث قبل الميلاد، من العوامل التي ساعدت على تطوير حركة النقل التجاري في الجزيرة العربية وازدهارها، مما أدى إلى قيام علاقات تجارية بين الجزيرة العربية وبلاد الرافدين ومصر وفارس والهند ودول حوض البحر المتوسط. وكانت محصلة هذه العلاقات والاتصالات تأثيرات ومؤثرات فاعلة، فقد أخذت منها الأمم المجاورة وأعطتها الكثير من أساليب حياتها، وأدت الطرق التجارية دوراً بارزاً في حياة سكان شبه الجزيرة العربية في الفترات التاريخية التي سبقت الإسلام. وكانت هذه الطرق عاملاً كبيراً من عوامل نشأة الممالك والمدن في شمال الجزيرة العربية وجنوبها(١).

وارتبطت التجارة في الجزيرة العربية بنقل البخور والطيوب من جنوب الجزيرة إلى شمالها، ومنها إلى بلاد الرافدين ومصر ودول حوض البحر المتوسط، ويذكر المؤرخ بليني في كتابه «التاريخ الطبيعي» «أن تجارة البخور قد جعلت العرب من أغنى أمم الأرض»، ويمضي قائلاً: «.. لا توجد بلاد تنتج اللبان إلا بلاد العرب، ولكن ليس كلها تنتجه، وإنما بلاد الحضارم، وهم جماعة من السبئيين تقوم عاصمتهم شبوة فوق جبل عال، وعلى بعد ثماني مراحل منها في اتجاه الشمال الشرقي تقع منطقة إنتاج اللبان... وهي بقعة يصعب النفاذ إليها لأنها محاطة بالجبال من كل جانب، وتفصلها عن البحر الواقع عن يمينها منحدرات صخرية شاهقة... وإلى جوار الحضارمة المعينيون الذين يخترق بلادهم الممر الوحيد الذي ينقل عبره البخور...»، ويقول بليني: «إن تجارة البخور كانت تحتكرها أسر معينة مما أدى إلى ارتفاع أسعاره»، ثم يمضي في ذكر الطريق الذي تسلكه القوافل المحملة بالبخور «... وبعد أن يُجمع اللبان ينقل على ظهور الجمال إلى شبوة حيث يفتح فيها باب واحد لاستقباله، ويعد الانحراف عن الطريق العام جريمة كبرى، وهناك يأخذ الكهان منه ما يوازي العشر... ثم يصدَّر البخور إلى بلاد القتبانيين ويقتضي ذلك ضريبة أخرى

لملكهم، وتستغرق الرحلة من تمنع عاصمتهم إلى غزة ٦٥ يومًا بالجمال»(٢).

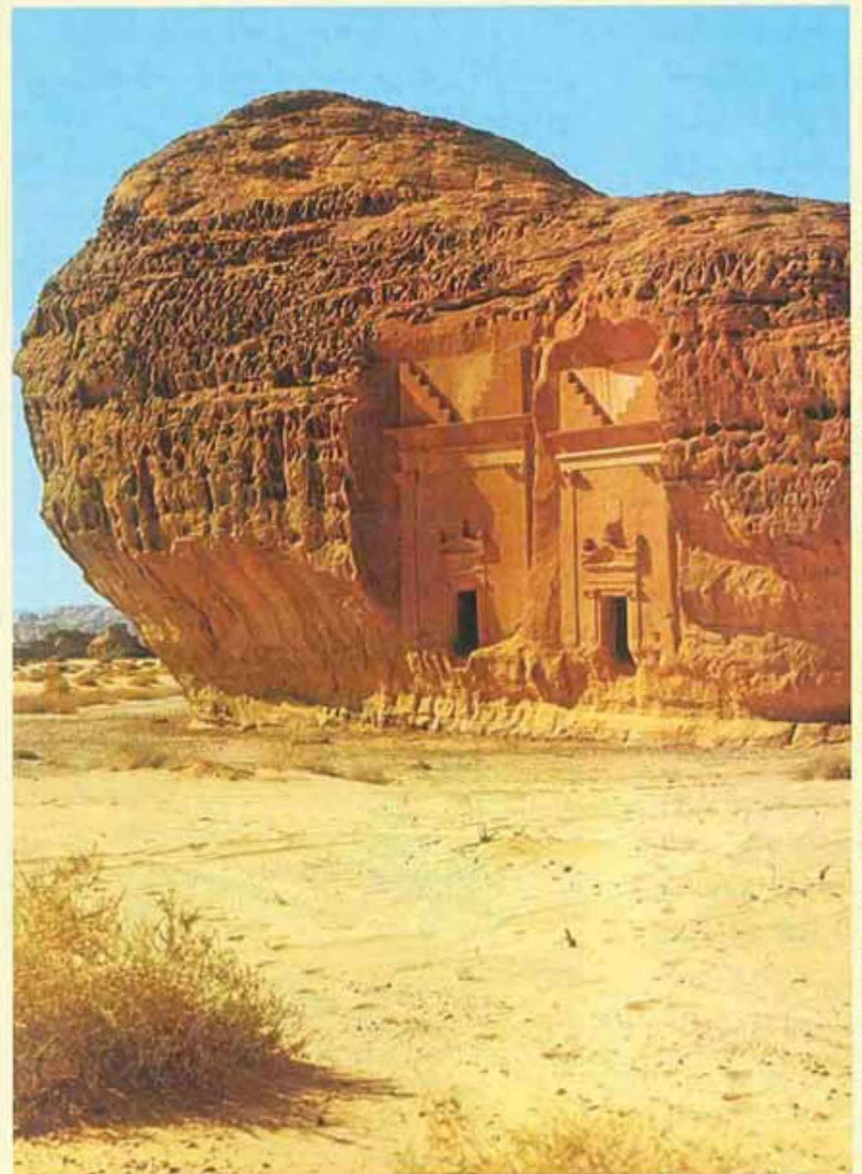
الطرق البرية

الطريق الأول: يبدأ من قَنَا بحضرموت، ويتفرع منه فرعان، يتجه الأول شرقًا على امتداد وادي ميفعة ومنه إلى شَبْوَة. ويتجه الفرع الثاني من قَنَا إلى وادي حجر، ثم يمر بوادي أرماح، ومن شبوة يتجه الطريق نحو عدن حتى يصل إلى نجران، ومنها يتجه شمالاً مشرقًا إلى وادي الدواسر مارًا بقرية الفاو، ثم الأفلاج فاليمامة، حيث يتفرع منه طريقان: أحدهما يتجه شرقاً نحو الخليج العربي، والآخر شمالاً صوب بلاد الشام.

الطريق الثاني: يبدأ من الركن الجنوبي الغربي لشبه الجزيرة العربية حيث ممالك سبأ ومعين وحمير وأوسان وقتبان، ويتجه نحو الشمال مخترقًا الحدود الشمالية لمنطقة سبأ، ثم يتخذ بعد ذلك شكل ممر ضيق يقع في أرض المعينيين، ثم يستمر الطريق شمالاً إلى ديدان (العلا)، ثم إلى مدين (البدع)، ومنها يواصل الطريق مسيره إلى أيلة (العقبة)، ثم بعد ذلك إلى سلع (البتراء)، عاصمة مملكة الأنباط، ثم يتفرع إلى فرعين: أحدهما يتجه إلى تدمر في الشمال، والآخر يتجه صوب الغرب حتى يصل إلى غزة على الشاطئ الفلسطيني. وعلى هذا الطريق كانت تسير قوافل قريش قبل الإسلام في رحلتي الشتاء إلى اليمن، والصيف إلى الشام.

الطريق الثالث: يبدأ من حضرموت وعُمان ويتجه إلى واحة يبرين عبر الحافة الشرقية للربع الخالي، حتى يصل إلى الجرهاء على الخليج العربي، ومنها إلى العراق، ويتفرع منه فرع من يبرين إلى اليمامة.

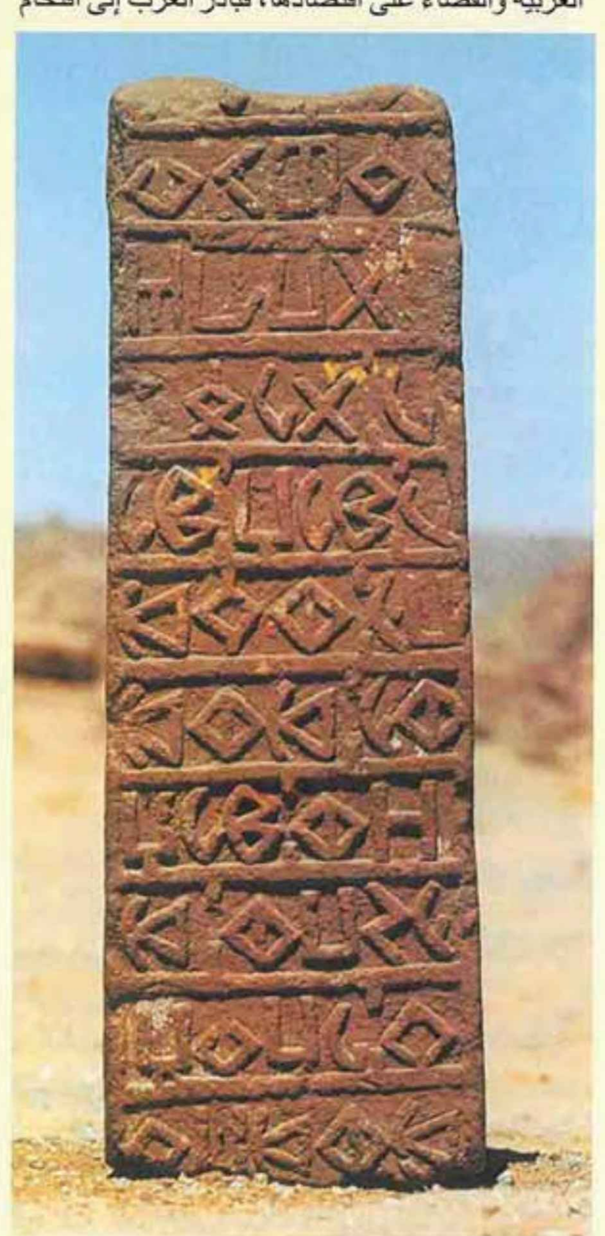
الطريق الرابع: يخترق الجزيرة العربية شمالاً مشرقًا فيبدأ من مكة وينتهي في بلاد الرافدين، وعرف باسم درب الحيرة، وأصبح بعد الإسلام طريقًا رئيسًا للحج والتجارة وأطلق عليه اسم درب زبيدة منذ العصر العباسي بعد الإصلاحات التي أجرتها به زبيدة بنت جعفر زوج الخليفة العباسي هارون الرشيد(٣).



من آثار مدائن صالح عاصمة مملكة الأنباط

الطرق البحرية

بعد اكتشاف الرياح الموسمية في القرن الأول قبل الميلاد سيطر الإغريق والرومان على المنافذ البحرية في بلاد الشام ومصر والشام، حاولوا منافسة العرب في السيطرة على طرق التجارة بتحويلها عبر البحار بدلاً من الطرق البرية، مما كان يعني إضعاف نفوذ الممالك العربية والقضاء على اقتصادها، فبادر العرب إلى اقتحام



مسلة لحيانية بالعلا

ميدان التجارة البحرية، وساعدهم على ذلك موقع بلادهم المميز، والذي تحيط به البحار من ثلاث جهات، ففي الساحل الشرقي للجزيرة العربية ساهمت موانئ جزيرة تاروت بالمملكة العربية السعودية، وجزيرة فيلكا بالكويت، وجزيرة البحرين وأم النار في دولة الإمارات العربية المتحدة، وشبه جزيرة مسندم بسلطنة عُمان في رواج التجارة في منطقة الخليج العربي، ويعد ميناء الجرهاء على الساحل السعودي الشرقي من أهم الموانئ التجارية في القرن الثاني الميلادي، فقد كانت له صلات تجارية مع جنوب الجزيرة العربية وإفريقية والهند وبلاد الرافدين، وربما كان من موانئ مملكتي معين وكندة عندما كانت قرية الفاو في أوج نشاطها السياسي والتجاري(٤).

وفي جنوب الجزيرة العربية أدت الموانئ والمراكز التجارية دوراً بارزاً في الحركة التجارية مع الأقاليم المجاورة، ومن أشهر موانئ جنوب الجزيرة العربية ميناء عدن الذي يعد من الموانئ المهمة على بحر العرب منذ القرن السادس قبل الميلاد، وكانت تنقل عبره التجارة بين الجزيرة العربية ومصر وشرق إفريقية والهند، أما ميناء قنا (حصن الغراب) فهو ميناء حضرموت الذي كان من أهم مراكز التجارة في عهد الحميريين حتى أواخر القرن الأول الميلادي، وميناء سمهرم (في ظفار بسلطنة عُمان) الذي أسسه ملوك شبوة في القرن الأول قبل الميلاد(٥).

وعلى ساحل البحر الأحمر كان ميناء لوكي كومي (القرية البيضاء) من أهم موانئ مملكة الأنباط وكان يرتبط بطريق بري مع عاصمتهم سلع (البتراء)، واختلف المؤرخون في موقعه، فرأى بعضهم أنه يقع قرب ينبع، بينما رأى آخرون أنه في شمال أملج، والرأي الراجح أنه يقع في عينونة(٦).

ولما كانت طرق القوافل المتجهة إلى مصر تمر عبر أراضي مملكة الأنباط فقد نشأت بين مصر والأنباط علاقات سياسية وتجارية، ولكن هذه العلاقات كانت تتأرجح بين السلم والحرب حسب مصالح الطرفين؛ فقد بادر الأنباط إلى مساعدة الفرس مما مكنهم من إسقاط حكم الأسرة السادسة والعشرين واحتلال مصر عام

٥٢٥ ق.م، وسيطر الأنباط منذ ذلك التاريخ على غزة التي كانت تنتهي عندها طرق التجارة القادمة من جنوب الجزيرة العربية، واستمرت سيطرة الأنباط على غزة حتى قدوم الإسكندر، فتصدى له الأنباط، وحاولوا رده عن مصر بين عامي ٣٣٢ ـ ٣٣١ ق.م لكنهم أخفقوا في ذلك، وبعد موته عام٣٢٣ ق.م اقتسم ضباطه السيطرة على الأقاليم التي كانت تحت حكمه فنتج من ذلك قيام ثلاث ممالك: هي مملكة البطالمة في مصر، ومملكة السلوقيين في سورية، ومملكة آل أنتيجوس في مقدونيا واليونان.



مدخل ضريح نبطي

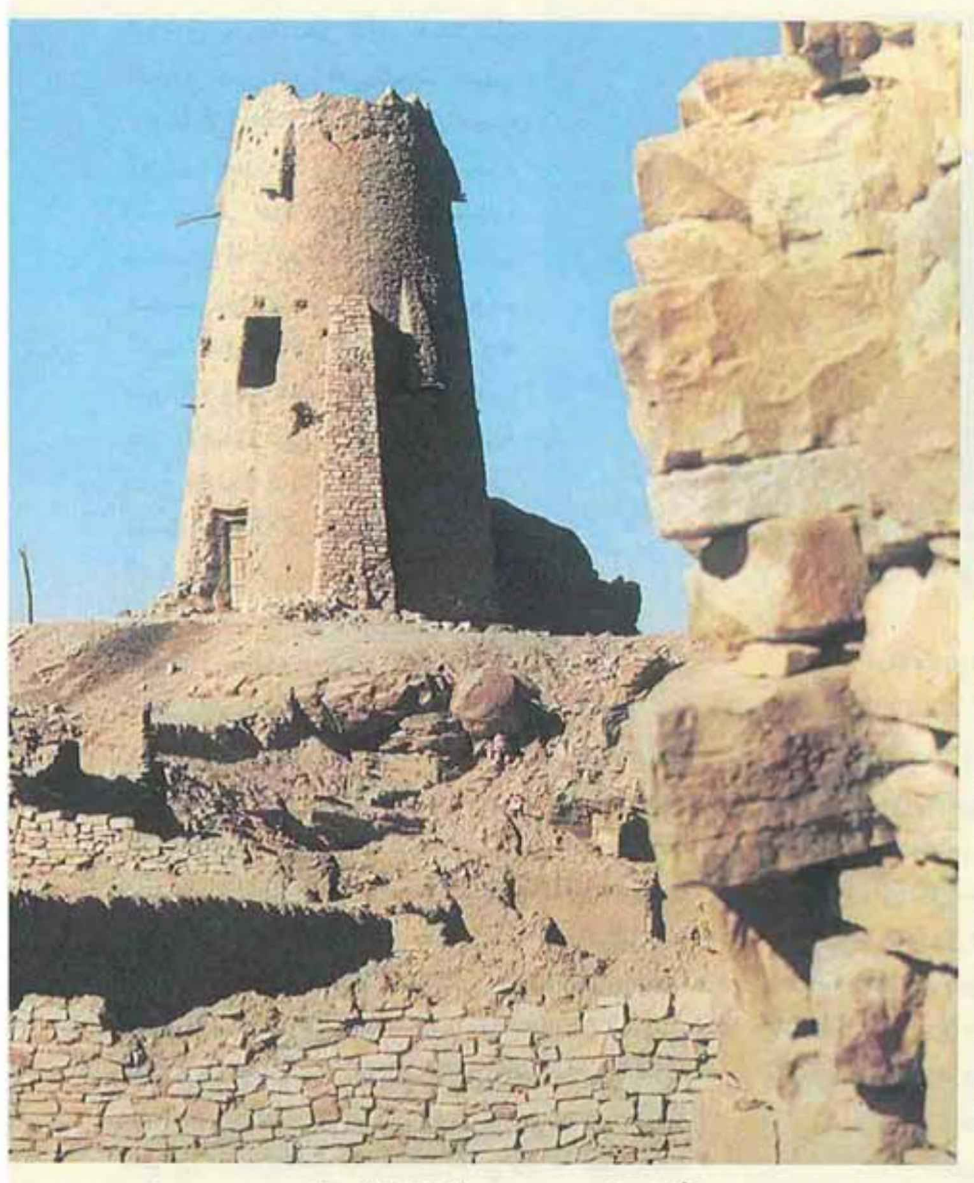
وحاول بطليموس الثاني تحويل طرق التجارة البرية المارة بأراضي مملكة الأنباط إلى طريق يبدأ من جنوب الجزيرة العربية ومنها إلى البحر الأحمر، ثم خليج السويس، فقام بتحصين مدينة هيرونوبوليس الواقعة على خليج السويس، ثم بنى أسطولاً من السفن ذات الطوابق الأربعة، وشرع في تنفيذ حركة كشوف منظمة في موانئ البحر الأحمر من خليج العقبة شمالاً إلى باب المندب جنوبياً، وأثارت هذه التحركات الأنباط الذين تصدوا لسفن البطالمة في البحر الأحمر، ونشبت بين الطرفين معركة بحرية عام ٢٧٨ – ٢٧٧ ق.م تمكن خلالها البطالمة من تدمير الأسطول النبطي. وخشيةً من تهديد الأنباط للموانئ المصرية قام بطليموس الثاني بإقامة تحصينات دفاعية في ميناء أرسينوي (السويس). وفي عهد بطليموس الثالث (٢٤٦ – ٢٢١ ق.م) أحكم البطالمة سيطرتهم على البحر الأحمر، وعندما كانت الملكة كليوباترا السابعة آخر ملوك البطالمة تستعد للهروب من مصر أمام زحف الرومان، سارع الأنباط الذين تحالفوا مع الرومان إلى إحراق الأسطول البطلمي في ميناء كليوباتريس قرب السويس(٧).

وبعد أن قضى الرومان على البطالمة واحتلوا مصر، حاولوا السيطرة على جنوب الجزيرة العربية عن طريق الحملة التي قادها إليوس ـ جالوس (٢٥ـ ٢٤ ق.م)، وبعد نزوله في ميناء لوكي كومي توجه جنوباً عبر ساحل الجزيرة العربية في محاولة للسيطرة على اليمن، لكن هذه الحملة أخفقت وعاد إليوس ـ جالوس إلى مصر دون أن يحقق أي شيء، ويذكر مؤلف كتاب «دليل البحر الإرثري» الذي من المرجح أنه قد كُتب بين عامي ٥٠ و٨٠م، عدداً من الموانئ العربية التي تُنقل عبرها التجارة مثل: خور ريري، وقنا، وعدن، وسوقطرى، والمخا، ولوكي كومي، وجزيرة تريم(٨).

الممالك والمدن العربية التي ارتبطت بطرق التجارة

مملكة سبأ: استمرت مملكة سبأ خلال الفترة من عام ٧٥٠ إلى سنة ١١٥ ق.م، وحُكمت منذ بدايتها حتى عام ٦١٠ ق.م من قبل ملوك كانوا كهاناً، ويحملون لقب مكرب، وبسطت مملكة سبأ في عهد المكربيين سلطتها على سائر جنوب الجزيرة العربية، وكانت عاصمتها مدينة صرواح.

وفي بداية عهد كرب إل وتر تجرد ملوك سبأ من سلطتهم الدينية، وصارت مأرب عاصمة للمملكة بدلاً من صرواح، وكانت مركزاً لتجارة البخور، ويعد سد



مأرب الإنجاز المعماري العظيم الذي خلد اسم عاصمة مملكة سبأ الثانية.

وقد تحدثت التوراة والمصادر اليونانية والرومانية، كما تحدث القرآن الكريم عن مستوى الرفاهية والبذخ الذي كانت تعيش فيه مملكة سبأ التي كانت تتاجر بسلع ذات قيمة مثل: الذهب والفضة والأحجار الكريمة والتمور والبخور، مع بلاد الشام والرافدين(٩).

مملكة معين: شملت الجزء الأكبر من جنوب الجزيرة العربية وخضعت لسيطرة مملكة سبأ في بعض الأحيان، وكانت عاصمتها مدينة قرناو التي تقع أنقاضها إلى جنوب شرق صنعاء، وكان لملكة معين دور كبير في تجارة جنوب الجزيرة العربية والإشراف على طرق القوافل، فقد كانت للمعينيين جالية تجارية مقيمة في ديدان (العلا)، وأطلقت النقوشُ المعينيةُ على ديدان (العلا) اسم (معين مصرن) أي معين المصرية، لكونها تمثل نقطة الاتصال التجاري مع مصر.

وكانت الجالية التجارية المعينية المقيمة في ديدان (العلا) تشرف على التجارة القادمة من بلادها في طريقها إلى الشمال، وكان لتلك الجالية رئيس مسؤول أمام الملك اللحياني عن سلوك التجار المعينيين المقيمين في ديدان (العلا) وممارستهم التجارية، وجباية الضرائب منهم.

ومن الأسر المعينية المقيمة في ديدان (العلا) والتي ورد ذكرها في النقوش: يفعان التي تولى ثلاثة من أفرادها منصب رئيس الجالية المعينية، وعم رتع، ومليح التي جاء ذكرها في نقش أحد المقابر الموجودة بديدان (العلا): «هانئ بن وهب إل من عشيرة مليح يعاني من الذنوب، ويطلب من نكرح وود غفران خطاياه عندما ينقل إلى هذا القبر»(١٠).

مملكة قتبان: اختلف المؤرخون في تحديد بدايتها ونهايتها فقال بعضهم: إن بدايتها كانت في القرن السادس قبل الميلاد ونهايتها عام ٥٠ ق.م، بينما يرى آخرون أن بدايتها كانت عام ٦٤٥ ق.م ونهايتها في

القرن الثالث قبل الميلاد، وكان ملوك قتبان يلقبون بلقب مَكرب الذي يطلق على الحاكم الذي يجمع السلطتين الدينية والسياسية أي يكون ملكًا وكاهنًا في آن واحد، ويعد «يدع أب ذبيان» آخر مكربي المملكة القتبانية وأول ملوكها فقد وصف نفسه في أحد النقوش بأنه مَكرب قتبان، بينما تلقب في نقش آخر بلقب الملك، وقد حكم في القرن الثالث قبل الميلاد، وكانت مدينة تمنع هي عاصمة مملكة قتبان(١١).

مملكة حضرموت: اشتهرت بإنتاج كميات كبيرة من البخور، ويمتد عهد مملكة حضرموت من منتصف القرن الخامس قبل الميلاد إلى أواخر القرن الأول الميلادي، ومنذ عام ١١٥ ق.م صارت خاضعة لملكة حمير، وتعد مدينة شبوة عاصمة مملكة حضرموت من أهم مراكز تجارة البخور، فقد ذكر المؤرخ بليني أن عمليات حز شجر اللبان، وقطف البخور وتجميعه وتخزينه كانت تتم فيها(١٢).

مملكة كندة: كانت قرية الفاو المدينة التي عرفت في كتابات المسند باسم «قرية ذات كهل»، عاصمة مملكة كندة الأولى (منتصف القرن الأول قبل الميلاد إلى بداية القرن الرابع الميلادي). وعاشت «قرية الفاو» نحو ثمانية قرون من الزمان بين القرن الرابع قبل الميلاد وبداية القرن الرابع الميلادي. واكتسبت أهميتها التجارية من وقوعها على طرق القوافل المتجهة جنوباً إلى اليمن، وشمالاً مشرقة إلى الخليج العربي، وشمالاً إلى بلاد الشام. وأثبتت الأدلة الأثرية التي كشفت عنها الحفريات التي قامت بها جامعة الملك سعود تحت إشراف الأستاذ الدكتور عبدالرحمن الطيب الأنصاري أن هذه المدينة من أكبر مدن القوافل في الجزيرة العربية وما جاورها.

وقد كان للطرق التجارية البرية الممتدة من جنوب الجزيرة العربية إلى شمالها دور رئيس في حياة سكان قرية «الفاو» فازدهرت بها الحركة التجارية، وكانت الحبوب والطيوب والنسيج والأحجار الكريمة والمعادن والذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص أهم السلع التي تاجر فيها أهل قرية «الفاو» وانعكس ثراء أهلها على ما شيّدوه من منازل وقصور وأسواق ومقابر ومعابد، وما زينوا به منازلهم من رسوم متنوعة وتماثيل معدنية، وأخرى من المرمر(١٣).

مملكة ديدان ولحيان: مرت هذه المملكة خلال نشأتها بثلاث مراحل:

ـ المرحلة الأولى (المرحلة الديدانية): من القرن السابع حتى نهاية القرن السادس قبل الميلاد.

– المرحلة الثانية (المرحلة اللحيانية الأولى): هي فترة التحول من مملكة المدينة (مملكة ديدان) إلى الحضارة اللحيانية.

ـ المرحلة الثالثة (المرحلة اللحيانية الثانية): من بداية القرن الثالث قبل الميلاد. وفي تلك الفترة أصبح لمملكة لحيان مركز إستراتيجي قوي بوصفها مملكة ذات نشاط تجاري واسع، لوقوعها على الطريق التجاري القادم من جنوب الجزيرة العربية.وكانت عاصمتها ديدان (العلا) من أهم المحطات التجارية على طرق القوافل المتجهة من جنوب الجزيرة العربية إلى بلاد الرافدين ومصر والشام، مما هيأ لمملكة لحيان موارد مالية واقتصادية هائلة تمثلت في جباية الضرائب والمكوس، وتقديم الخدمات الضرورية من مأكل ومشرب للقوافل العابرة، بالإضافة إلى المشاركة في نقل التجارة من جنوب الجزيرة العربية إلى شمالها(١٤).

مملكة الأنباط: ظهرت مملكة الأنباط على مسرح

الأحداث في المنطقة التي تقع شمال المملكة العربية السعودية وجنوب الأردن في الفترة ما بين القرن الأول قبل الميلاد والقرن الثاني الميلادي، وكان لها دور بارز في حركة التجارة البرية بين شمال الجزيرة العربية وجنوبها، وكانت طرق القوافل القديمة تمر عبر أراضي مملكة الأنباط مروراً بعاصمتيها الجنوبية مدينة الحجر (مدائن صالح) والشمالية سلع (البتراء)، ومن هناك تتجه غرباً عبر مدن الأنباط إلى غزة والعريش، أو شمالاً إلى دمشق، ومنها إلى ساحل البحر الأبيض المتوسط.

وتدهورت القوة التجارية لشمال الجزيرة العربية بعد سقوط مملكة الأنباط على يد الرومان عام ١٠٦م، وأعقب ذلك تحول الطرق التجارية إلى طريق البحر الأحمر مروراً بمصر، وإلى طريق الخليج العربي مروراً بتدمر، ومن هناك إلى الإمبراطورية الرومانية(١٥).

تيماء: أدت دوراً كبيراً في تاريخ شمال الجزيرة العربية الاقتصادي والسياسي؛ لوقوعها على الطريق

نتيجة مشاركة الممالك العربية في حركة التجارة مع الممالك والأمم المجاورة حدث تبادل حضاري بين الممالك العربية بعضها مع بعض، والممالك العربية والممالك المجاورة

التجاري بين الشمال والجنوب. ولعل أهم الأحداث التي تبرز في تاريخ تيماء مجيء الملك البابلي نبونيد (٥٥٥ - ٥٣٩ ق.م) من بلاد الرافدين وبقاؤه فيها مدة عشر سنوات، وجعلها عاصمة لملكة بابل. وقد ذكرت تيماء في النقوش الآشورية والبابلية بوصفها مركزاً تجارياً لبعض القبائل العربية. كما كان لها أهمية خاصة على الطرق البرية الرئيسة المؤدية إلى الشواطئ الشرقية للبحر الأحمر(١٦).

دومة الجندل (أدماتو): أحد أهم مراكز تجارة القوافل، حيث عرفها الآشوريون والبابليون، وشنوا عليها عدة حملات يعود أقدم ما سجل منها إلى القرن الثامن قبل الميلاد، كما أخذوا عدداً من ملكاتها أسيرات إلى بابل. وكانت أهم القبائل التي تسكن هذه المنطقة من دومة حتى تيماء قبيلتي قيدار وأدوم. ولعل اسم دومة اشتق من اسم هذه القبيلة، التي جاء ذكرها في التوراة(١٧).

القوانين التجارية في الممالك العربية

وضعت الممالك العربية قوانين وتشريعات لتنظيم التجارة، وحفظ حقوق التجار، وتسهيل جباية الضرائب، وسنذكر من تلك القوانين، على سبيل المثال لا الحصر، بعض البنود في قانون تمنع التجاري، وقانون سبأ التجاري:

قانون تمنع التجاري: يأتي في مقدمة التشريعات التي تنظم حركة التجارة التي عرفتها الممالك العربية ومن بنوده:

- على تجار تمنع دفع ضريبة السوق في تمنع مهما كانت تجارتهم.
- يجب على التاجر امتلاك متجر في تمنع حتى يسمح له بالتجارة فيها.
- أي تاجر غريب يأتي إلى تمنع وينوي التجارة فيها يجب أن يكون له متجر.
- يحق للقتبانيين فقط المتاجرة مع القبائل المجاورة.
- فرض غرامة مالية على أي تاجر دخل أراضي قتبان وهو يحمل سلعاً ينوي المتاجرة فيها من دون الحصول على إذن رسمي.
- التاجر الذي يحاول الغش يدفع غرامة مالية قدرها ٥٠ قطعة ذهبية.
- فرض ضريبة على جميع التجار سواء أكانوا من تمنع أم من خارجها.
- التاجر القتباني أو المعيني الذي يؤجر محله أو منزله كمخزن لمالك متجر، عليه دفع ضريبة عن السلع المخزنة لديه.
- تدفع الضريبة إلى ملك قتبان.
- لا يحق لطرفين ممارسة التجارة في تمنع إلا إذا كان أحدهما من قتبان.
- يحق للملك القتباني الإشراف على كل العمليات التجارية في أي سلعة تدخل أراضي المملكة.

قانون سبأ التجاري: صدر هذا القانون في عهد الملك



من آثار إيبلا السورية

شمر يهرعش الثالث في بداية القرن الثالث الميلادي، وفيما يأتي بعض مواد هذا القانون:

- في حالة بيع أو مقايضة أي سلع تكون مدةُ الخيار شهراً واحداً.

- إذا أراد المشتري عدم إتمام صفقة البيع ورغب في إعادة السلعة، فإذا كانت السلعة حيواناً وجب على المشترى دفع مبلغ للبائع مقابل استخدامه لهذا الحيوان.

- إذا هلك الحيوان الذي تم بيعه بعد مرور سبعة أيام من البيع فالبائع غير مسؤول عن موته، وهو بذلك يستحق كامل الثمن(١٨).

التأثيرات الحضارية المتبادلة بواسطة طرق التجارة

نتيجة مشاركة الممالك العربية في حركة التجارة مع الممالك والأمم المجاورة في بلاد الرافدين ومصر والشام والرومان والإغريق حدث تبادل حضاري بين الممالك العربية بعضها مع بعض، والممالك العربية والممالك المجاورة، فاستفادت الجزيرة العربية من الانتعاش الاقتصادي الذي عاشته، بفضل شبكة الطرق التجارية البرية والبحرية بين أجزائها كافة، وبينها وبين الأمم المجاورة، وكان لكل مملكة من الممالك العربية نظام اقتصادي ينظم شؤونها.

كما أدت الطرق والمنافذ التجارية البرية والبحرية إلى تغييرات أساسية في البنية السياسية للمجتمع العربي قبل الإسلام؛ فلم يقتصر التكوين القبلي على القبيلة وحدها، إنما تجاوزها إلى نظام الاتحادات القبلية الذي يتكون من مجموعة من القبائل لها رئيس أو زعيم عرف باسم الملك. وبدأت تلك التجمعات تظهر على مسرح الأحداث بصورة واضحة منذ القرن العاشر قبل الميلاد . وكان الهدف الأساسي لهذه السياسة القبلية حماية طرق التجارة من الأخطار الخارجية التي تهددها. ومن الأمثلة على ذلك ما ذكرته المصادر الآشورية التي ترجع إلى عهد الملك شلمنصر الثالث (٨٥٨ ـ ٨٢٤ ق.م)، والتي

تشير إلى معارك دارت بينه وبين (جندبو) ملك العرب الذي كون مع عدد من الملوك الآراميين حلفاً لرد الهجوم الآشوري في موقعة قرقر(١٩).

وكشفت الحفريات الأثرية التي أجريت في مدافن جنوب الظهران، والمدافن الركامية بالربع الخالي في المملكة العربية السعودية، ومدافن سار الجسر وأم علي بالبحرين عن وجود الحجر الصابوني، والأواني الزجاجية، والنحاسية، والأحجار الكريمة، مما يشير إلى وجود تبادل تجاري بين المناطق الداخلية في الجزيرة العربية وسواحلها الشرقية منذ العصر البرونزي (٢٤٠٠ - ١٨٠٠ ق.م).

وقامت دلمون (كان شرق الجزيرة العربية يسمى دلمون، وتضم المنطقة الممتدة من جزيرة فيلكا شمالاً إلى البحرين وساحل المملكة العربية السعودية الشرقي جنوبًا) خلال الألف الثالث قبل الميلاد بدور كبير في حركة التجارة، ومن ثم تبادل التأثيرات الحضارية مع بلاد الرافدين التي كانت دلمون تصدر لها النحاس، والعاج، والأحجار الكريمة، والأواني الفخارية، والحجرية، والتمور، وتستورد منها المنسوجات والصوف والجلود والشعير والدقيق والماشية(٢٠).

وكشفت التنقيبات الأثرية عن العلاقات التجارية التي كانت تربط شرق الجزيرة العربية ببلاد فارس، فالمكتشفات الأثرية في بعض المواقع الأثرية الإيرانية مثل: تب يحيى وبامبر، وجد ما يشابهها في مواقع هيلي وأم النار بدولة الإمارات العربية المتحدة.

وتشير نصوص (إيبلا) السورية التي تعود إلى الألف الثالث قبل الميلاد إلى القوافل التجارية التي كانت تربط شرق الجزيرة العربية ووسطها ببلاد الشام، إذ تنقل عبرها النحاس والقصدير والأحجار الكريمة والعاج والأخشاب والتمور من الجزيرة العربية إلى الشام، وعثر في موقع ماري بسورية على أدوات حجرية مصنوعة من الحجر الصابوني الذي نقلته القوافل من محاجر في وسط الجزيرة العربية (غرب الرياض)، وتم اكتشاف كثير من الأختام السورية الأسطوانية الشكل في بعض المواقع الأثرية في شرق الجزيرة العربية(٢١). ودلت الاكتشافات الأثرية على وجود اتصالات تجارية وحضارية بين مصر والجزيرة العربية منذ الألف الثالث قبل الميلاد، فقد ظهرت على المقابر الملكية في مصر صور لأشخاص من الجزيرة العربية، وظهرت بعض التأثيرات الفنية المصرية في الأعمال الدينية والفنية في الجزيرة العربية مثل الشمس المجنحة ورسوم الأبقار الموجودة على مسلة تيماء، وتصف إحدى اللوحات الجدارية المعروفة باسم (أبيشا فرسكو) زيارة أحد زعماء القبائل في شمال غرب الجزيرة العربية إلى مصر مع مجموعة من قومه. وفضلاً عن ذلك، فإن أساليب فن الرسوم الصخرية المعروفة في عدة مواقع قرب بيشة بجنوب غرب المملكة العربية السعودية لها ما يماثلها في مصر(٢٢).

وساهمت الطرق التجارية في إيجاد تراث ديني مشترك لعرب الجزيرة العربية جنوبها وشمالها. وتشير الأدلة الأثرية إلى أن معبودات عرب جنوب الجزيرة مثل إل، وود، ونكرح، وعشتر، وكهل كانت ضمن معبودات عرب الشمال، كما عبد عرب جنوب الجزيرة العربية، معبودات عرب الشمال مثل (ذوغيبة)(٢٣). وتشير تماثيل الأصنام التي عبدها العرب قبيل الإسلام بمختلف أشكالها وأنواعها إلى بعض التأثيرات الفكرية والدينية الوافدة إليهم من بلاد الرافدين، ومن الحضارات المصرية والهيلينستية والرومانية، بفعل التواصل والتداخل التجاري والاقتصادي بين العرب وأهل تلك الحضارات، عبر شبكة واسعة من الطرق البرية والبحرية.

وضعت الممالك العربية قوانين وتشريعات لتنظيم التجارة، وحفظ حقوق التجار، وتسهيل جباية الضرائب

وعبر الطرق التجارية انتقلت الكتابة وخط المسند، والخط الآرامي النبطي، فكان لذلك أثر كبير في ثقافة الجزيرة العربية. فالخط المسند كان بمنزلة الخط الرسمي لسكان الجزيرة العربية، شمالها وجنوبها، قبل الإسلام، فكتبت به ممالك سبأ ومعين وقتبان

وحضرموت وأوسان وحمير، وانتشر أيضًا في الشمال، فكتب به اللحيانيون، كما كتب به أرباب القوافل وسكان البادية فيما عرف بخط البادية (الثمودي والصفوي). وقد استطاعت المنافذ التجارية الشمالية أن تنقل معها الخط الآرامي ـ النبطي والتدمري الذي وجد في مناطق متفرقة في شمال الجزيرة العربية ووسطها، كما نقلت أيضًا الخط الآرامي ـ البهلوي الذي وجد في أختام البرونز وأوزانها، كتلك المكتشفة في موقع قرية «الفاو». ومن جهة أخرى فقد كانت بعض الأسواق التي أقيمت على امتداد طرق التجارة البرية مراكز للثقافة، ومنتديات للشعر في الجزيرة العربية، مثل أسواق عُكاظ، وذي مَجنّة، وذي مَجاز، ودُومة الجندل، والمُشَقَّر، والشِّحْر، وحضرموت، وعدن، وصنعاء، ودارَة جُلجُل(٢٤).

الهوامش والمراجع

١. استئناس الجمل وطرق التجارة الداخلية، سعود عبدالله السعود، أطلال، العدد الرابع عشر، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ص ٩٩.

- Grom, N.J: Frankincense and Myrrh: A study of the Arabian Incense Trade, London, 1981, P 34.

٢. تاريخ اليمن القديم، محمد عبدالقادر بافقيه، بيروت، ١٩٨٥م، ص ص ١٧١.١٧٣.

٣. لمحات من بعض المدن القديمة في شمال غرب الجزيرة العربية، عبدالرحمن الطيب الأنصاري، مجلة الدارة، العدد الأول، ربيع الأول ١٣٩٥هـ/مارس ١٩٧٥م، ص ٧٦.

ـ المواصلات والاتصالات في المملكة العربية السعودية خلال عام، عبدالرحمن الطيب الأنصاري، الرياض ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.، ص ص١٠.١٣.

ـ درب زبيدة: طريق الحج من الكوفة إلى مكة المكرمة، سعد عبدالعزيزالراشد، الرياض، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ص ص ٥٠. ٥١.

ـ استئناس الجمل وطرق التجارة الداخلية (مرجع سابق)، ص ٩٩. ١٠٢.

ـ الجزيرة العربية في المصادر الكلاسيكية، يحيى لطفي عبدالوهاب، (الأبحاث المقدمة للندوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، كلية الآداب، جامعة الرياض)، الكتاب الأول، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ص ص٥٥ ـ ٧١.

42- Bowen, R.L: Ancient Trade Routes in South Arabia, in Archaeological Discovieries in South Arabia. (Baltimore 1958), PP35-

- Bree, W.C: The classical TRade Routes of Arabia from the Evidence of Potlemy, Strabo and Pliny, in the Studieds in the Hoistory of Arabia. (P.178. Vol. 2 Perislamic Arabia. King Saud University 1948).

٤. المواصلات والاتصالات في المملكة العربية السعودية خلال مئة عام (مرجع سابق)، ص١٦ ـ ١٩.

ـ الجغرافيا التاريخية لشبه الجزيرة العربية في عصور ما قبل التاريخ، طلعت أحمد محمد عبده، الإسكندرية، ١٩٨٨م، ص ٢١٨. ٢١٩.

٥. المواصلات والاتصالات في المملكة العربية السعودية خلال مئة عام (مرجع سابق)، ص ١٨.

٦. شمال غرب المملكة العربية السعودية: بحوث في التاريخ والآثار، علي إبراهيم حامد غبان، الطبعة الأولى، الرياض، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ص ص ٢١. ٢٥ .

ـ الأنباط ومدائن صالح، جون هيلي، أطلال، العدد العاشر، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص ١٢٧.

-Kirwan, L: Where to Search for the Ancient Port of Leuke Kome. (PP 55- 61 VoL.2 Per-Islamic Abrabic. King Saud University 1984).

7 - Al-Ansary, A.R. and Abo Al-Hassan: The Civilization of two Cities Al-Ula& Madian Salih. (Dar Al-Qawafile, Riyadh 2001), PP 74-78.

٨. المواصلات والاتصالات في المملكة العربية السعودية خلال مئة عام (مرجع سابق)، ص١٩.

ـ دليل البحر الإرثري وتجارة الجزيرة العربية البحرية، نقولا زيادة، (الأبحاث المقدمة للندوة العالمية الثانية لدراسات تاريخ الجزيرة العربية، ٥ ـ ١١ جمادى الأولى ١٣٩٧هـ الموافق ١٣ ـ ١٤ أبريل ١٩٧٩م، قسم التاريخ وقسم الآثار والمتاحف، كلية الآداب، جامعة الملك سعود ، الكتاب الثاني مطابع جامعة الملك سعود، الرياض ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)، ص٢٧٦.

٩. لمحات من بعض المدن القديمة في شمال غرب الجزيرة العربية (مرجع سابق)، ص٧٦.

ـ جزيرة العرب مصير أرض وأمة قبل الإسلام، محمد ولد داده، الطبعة الأولى، الرياض، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص١٠٠. ١٠٤.

10 -The Civilization of two Citieds, PP 27-28.

١١. جزيرة العرب مصير أرض وأمة قبل الإسلام، مرجع سابق، ص ١٠٦.

١٢. المرجع السابق، ص ١٠٦.١٠٧.

١٣. ـ قرية الفاو صورة للحضارة العربية قبل الإسلام في المملكة العربية السعودية، عبدالرحمن الطيب الأنصاري، الرياض ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص ٧٧.٨٨.

14 -The Civilization of two Citieds, PP 14-17.

١٥ـ مواقع أثرية وصورة من حضارة العرب في المملكة العربية السعودية، عبدالرحمن الطيب الأنصاري، الرياض، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ص ٤٤ ـ ٤٦.

ـ الأنباط ومدائن صالح، (مرجع سابق)، ص ١٣٧.

-The Civilization of two Citieds, PP 80-81.

١٦. لمحات من بعض المدن القديمة في شمال غرب الجزيرة العربية (مرجع سابق)، ص٨٠.

أبو درك: مقدمة عن آثار تيماء، ص ٢٥.

١٧. لمحات من بعض المدن القديمة في شمال غرب الجزيرة العربية (مرجع سابق)، ص٨٠.

١٨. التشريعات في جنوب غرب الجزيرة العربية حتى نهاية دولة حمير، نورة عبدالله علي النعيم، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ص ص ١٨٣. ١٨٦.

١٩. يحيى: المرجع السابق ص٩٢.

٢٠. المواصلات والاتصالات في المملكة العربية السعودية خلال مئة عام (مرجع سابق)، ص ٨ ـ ٩.

٢١. آثار ما قبل التاريخ وفجره في المملكة العربية السعودية، محمد عبدالنعيم، ترجمة عبدالرحيم محمد خبير،الرياض، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ص ٤٢١ ـ ٤٣٢.

- Nayc :m, M.A: Prehistory and Protohistory of the Arabian Peninsula. (Vol.3 Untied Arab Emirates, India 1994).

٢٢. المواصلات والاتصالات في المملكة العربية السعودية خلال مئة عام، (مرجع سابق)، ص ٨ ـ ٩.

ـ تاريخ العرب القديم، محمد بيومي مهران،الجزء الثاني،الطبعة الحادية عشرة، الإسكندرية، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ص ص ٢٨٤ ـ ٢٨٦.

٢٣. مواقع أثرية وصورة من حضارة العرب في المملكة العربية السعودية (مرجع سابق)، ص١٤.

٢٤. قرية الفاو صورة للحضارة العربية قبل الإسلام في المملكة العربية السعودية، (مرجع سابق)، ص ٢٣.

مصدر الصور: كتاب «مقدمة عن آثار المملكة العربية السعودية»، إدارة الآثار والمتاحف، وزارة المعارف، الرياض، ط٢، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، والإنترنت.

مرض هشاشة العظام

إسماعيل الخطيب
الرياض ـ السعودية

مرض هشاشة العظام يطلق عليه أسماء أخرى منها تخلخل العظام، أو ضعف العظام، أو وهن العظام، وكل هذه المسميات تصف حالة العظام بعد إصابتها بالمرض.

قال تعالى: *قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا*. مريم:٤.

تعريف المرض

يتكون النسيج العظمي من ألياف من مادة عضوية بروتينية تسمى الكولاجين تحفظ هيئته، وتديم مرونته بالإضافة إلى مكونات غير عضوية (معدنية) مثل عنصر الكالسيوم Calcium، والفوسفور Phosphorous بنسب معينة، وهي التي تكسب العظام القوة والصلابة، وعندما يفقد النسيج العظمي هاتين المادتين أو إحداهما تصبح العظام هشة ومثقبة وضعيفة وقابلة للكسر تلقائيًا، أو نتيجة تعرضها للكدمات حتى لو كانت بسيطة.

ومرض هشاشة العظام يصيب الرجال الكبار السن، وخاصة بعد بلوغهم الخامسة والستين من العمر، ويصيب النساء أكثر من الرجال، وخاصة بعد بلوغهن الخامسة والأربعين من العمر، وهذه الفترة تكون فترة ابتداء انقطاع الطمث (العادة



الشهرية)، وفيها تعاني السيدات نقص هورمون الإستروجين Estrogen الذي له دور كبير في الحفاظ على مخزون عنصر الكالسيوم في العظام.

ويتسلل مرض هشاشة العظام إلى الهيكل العظمي للإنسان تدريجيًا بصمت وببطء شديد دون أعراض تذكر في البداية إلا إذا حدث للإنسان عارض مفاجئ كالسقوط على الأرض أو التعرض للكدمات التي يتسبب عنها حدوث الكسور التي يكتشف عند علاجها أن هذا الشخص مصاب بالمرض.

أسباب المرض

إن أسباب الاصابة بمرض هشاشة العظام غير واضحة التفسير إلى الآن، ولكن هناك عوامل تؤدي دورًا مهمًا في حدوث المرض، بالإضافة إلى أن السيدات أكثر عرضة للإصابة بالمرض من الرجال، ومن هذه العوامل:

- نقص التغذية التي تحتوي على عنصر الكالسيوم: لا شك أن عنصر الكالسيوم عنصر مهم في بناء عظام قوية، والحصول على كثافة أو كتلة عظيمة عالية، ومخزون كبير من الكالسيوم يكون رصيداً للجسم وقت الشيخوخة، ومن ثم نستطيع القول بأن شباب اليوم الذين يعتمدون على الوجبات السريعة الخالية من الألبان معرضون للإصابة بمرض هشاشة العظام عند بلوغهم سن الشيخوخة.

- عدم تناول الأغذية المحتوية على فيتامين (د) D: كالألبان المعالجة بفيتامين (د)؛ لأن فيتامين (د) يساعد على دخول الكالسيوم في العظام.

- عدم التعرض لأشعة الشمس في فترتي الصباح والمساء خاصة:

لأن أشعة الشمس تحتوي في هذه الفترة على الأشعة فوق البنفسجية Ultra Violet التي تساعد على تكوين فيتامين (د) D من الطبقة الدهنية الموجودة تحت الجلد.

- عدم ممارسة التمارين الرياضية والركون إلى الراحة:

فالعظام كالعضلات لا تحافظ على قوتها إن لم تتعرض لجهود يومي، مثال ذلك الأشخاص الذين يلازمون الفراش، ورواد الفضاء في حقل فقدان الجاذبية الأرضية يخسرون بسرعة كميات كبيرة من كثافة عظامهم، وكذلك من يستعملون السيارة في تنقلاتهم، والذين يجلسون وقتاً طويلاً أمام شاشات التلفاز: كل هؤلاء لن تتاح لأجسامهم الفرصة لبناء عظام قوية.

- عدم وجود مخزون كاف من الكالسيوم في جسم الإنسان: والذي قد تكوّن في أثناء الشباب وقبل بلوغ سن الخامسة والثلاثين.

- عامل الوراثة: يؤدي عامل الوراثة دوراً كبيراً في



هشاشة العظام تصيب النساء أكثر من الرجال

الإصابة بداء هشاشة العظام، فالآسيويون والأوربيون هم أكثر عرضة للإصابة بالمرض موازنة بالسود أو أصحاب البشرة السمراء، ويرجع ذلك إلى وجود كثافة عالية للعظام لدى الجنس الأسود.

- نقص الهرمونات الجنسية:

نقص هورمون الإستروجين Estrogen في السيدات بعد بلوغهن سن اليأس (انقطاع الحيض) أو بعد إزالة المبيضين جراحياً لأسباب مرضية أو غيرها يؤدي إلى الإصابة بمرض هشاشة العظام؛ لأن هذا الهورمون له دور كبير في الحفاظ على مخزون الكالسيوم في العظام.

كذلك نقص هورمون التستسترون Testesterone له التأثير نفسه في كثافة العظام وصلابتها في الرجال.

- عادة التدخين: أثبتت الدراسات أن كثافة عظام المدخنين أقل كثيراً من كثافة عظام غير المدخنين، مما يجعل المدخنين أكثر عرضة للإصابة بمرض هشاشة العظام عن غير المدخنين.

- شرب الكحول Alcoholics: مادة الكحول تؤثر في

امتصاص الكالسيوم، وتؤدي إلى ضعف العظام، بالإضافة إلى تكسير خلايا الكبد وقد وجد أن مرضى الكبد معرضون بدرجة كبيرة للإصابة بمرض هشاشة العظام.

ـ تأثير بعض الأدوية: إن استعمال بعض الأدوية فترات طويلة قد يصحبها نقص شديد في كثافة العظام مع التعرض لحدوث عدة كسور، ومن هذه الأدوية عقار الكورتيزون Cortison وأدوية الغدة الدرقية المسماة بالثيروكسين Thyroxin، وكذلك أدوية الحموضة التي تحتوي على مادة الألومونيوم Alu-minium لأن هذه المواد تكون مركبات غير قابلة للذوبان في الماء مع الكالسيوم مما يعطل امتصاصه من القناة الهضمية ومن ثم تقل كمية الكالسيوم الممتص واللازم لبناء العظام وتقويتها.

ـ تأثير بعض الأمراض: هناك بعض الأمراض التي تؤدي إلى الإصابة بمرض هشاشة العظام، مثل زيادة إفراز الغدة الدرقية Thyroloxicosis والجار درقية Hyper Para Thyrodism، وذلك ـ كما قلت من قبل ـ لأن هورمون الثيروكسين يسبب اضطرابًا كبيرًا في تمثيل الكالسيوم في الجسم.

ـ اتباع بعض الناس ريجيما قاسيًا: خاليًا من الكالسيوم والفيتامينات وخاصة فيتامين (د) D والفوسفور يعرضهم للإصابة بمرض هشاشة العظام.

ـ الأشخاص الذين يتناولون الوجبات السريعة: الخالية من عنصر الكالسيوم معرضون للإصابة بمرض هشاشة العظام.

ـ كثرة تناول المياه الغازية :Carbonated Kola التي تحتوي على عنصر الفوسفور يؤدي إلى الإصابة بمرض هشاشة العظام في الكبار، وسقوط الأسنان في الأطفال الصغار؛ لأن زيادة معدل عنصر الفوسفور عن معدل عنصر الكالسيوم في الدم تعرقل امتصاص الكالسيوم ودخوله في العظام، فتصبح العظام هشة وخاوية.

أعراض المرض

ـ الإصابة بالكسور نتيجة الكدمات البسيطة، وخاصة في عظم الورك والرسغ، وتهشم فقرات العمود الفقري.

ـ انحناء العمود الفقري (حدبة دواغر Dowagers Hump) مما يتسبب في بعض الأحيان في سوء الهضم الناتج من التدفق الارتجاعي لحامض المعدة لضيق حجم البطن بسبب التحدب والضغط على المعدة.

ـ حدوث مشكلات تتعلق بعدم السيطرة على المثانة والأمعاء حيث لا يتوفر الحيز الكافي لمحتويات البطن.

ـ كذلك تنضغط فقرات العمود الفقري فتتأثر أضلاع الصدر مما يعوق عملية التنفس الطبيعية.

تشخيص المرض

ـ يمكن تشخيص المرض بواسطة صدور الأشعة السينية أشعة X Rays في الحالات الممكنة.

ـ أفضل طريقة لكشف هذا المرض هو قياس كثافة العظام عن طريق جهاز حديث



كثير من الأمراض أسبابها السمنة



حامض الستريك الموجود في الفواكه يساعد على امتصاص عنصر الكالسيوم

يسمى جهاز قياس كثافة العظام والذي يتميز بالآتي:
- آمن ولا يعرض المريض لمخاطر الإشعاع.
- يعطي قيمة كثافة العظام رقمياً بشكل دقيق ونسبة العناصر المعدنية فيها.
- يمكن للجهاز كشف أمراض تصلب العظام والكساح ومشكلات الظهر والمفاصل.
- يكشف الجهاز نسبة الدهون بالجسم، ونسبة العناصر العضلية، وكذلك نسبة الماء، ومجموع هذه النسب بالجرامات.
- يعطي الجهاز صوراً ملونة للأماكن المصورة.
- يستغرق الكشف بهذا الجهاز وقتًا قصيرًا لا يتعدى دقائق معدودة.

علاج مرض هشاشة العظام

يتم علاج مرض هشاشة العظام بإيقاف سير المرض، والعمل على تعويض كتلة العظم المفقودة، وذلك تحت إشراف طبي دقيق عن طريق:
- إعطاء المريض مركبات الكالسيوم بالجرعات اللازمة له.
- إعطاء المريض مركب فلوريد الصوديوم بالجرعات المطلوبة.
- إعطاء المريض جرعات من فيتامين (د) سواء كان نقطًا بالفم أو كبسولات، وبالجرعات اللازمة التي يقررها الطبيب.
- يوصف لبعض المرضى هورمون الكالستونين Calcitonin، وهذا الهورمون يساعد على تمثيل عنصر الكالسيوم وترسيبه داخل العظام، وللعلم فإن هذا الهورمون يفرز طبيعيًا في الجسم ليقوم بهذه المهمة، وعند نقصه يعطى للمريض من الخارج على

هيئة بخاخ يستخدم بالأنف أو أمبولات للحقن.

- يوصف هورمون الإستروجين Estrogen للسيدات اللاتي انقطع عنهن الطمث على الأقل في السنوات الأولى من انقطاعه (٥ سنوات). حتى يمكن الحفاظ على مخزون الكالسيوم الموجود في عظامها، وتنجو من الإصابة بمرض هشاشة العظام بإذن الله تعالى، وعلى السيدات أن يعرفن أن هذا الهورمون له آثار جانبية غير مستحبة، كالشعور بالغثيان وانتفاخ الثديين.

- كذلك تتوافر الآن أدوية حديثة من مجموعة البيسفونات Biphosphonate تحت أسماء تجارية مثل Bonofos، واسمه العلمي Sodium Clodronate، وهو على شكل كبسولات أو حقن تعطى حقناً مرة كل شهر.

الوقاية من الإصابة بمرض هشاشة العظام

- تخزين معدل كبير من الكالسيوم في الجسم للمستقبل:

من الثابت علمياً أن هناك تخزيناً مستمراً لعنصر الكالسيوم في العظام من سن البلوغ إلى سن الخامسة والثلاثين تقريباً، لذلك من المهم جداً الاستفادة من هذه المرحلة والعمل على تقوية العظام عن طريق تناول الأغذية الغنية بعنصر الكالسيوم وفيتامين د، والتعرض لأشعة الشمس في الصباح الباكر وفي أثناء الغروب لأسباب ذكرتها من قبل؛ وذلك لتكوين مخزون معقول من عنصر الكالسيوم في العظام حتى إذا وصلت السيدة إلى سن انقطاع العادة الشهرية وفقدت هورمون الإستروجين (يحافظ على مخزون الكالسيوم في العظام)، فإن فرصة إصابتها بداء هشاشة العظام تكون أقل ضراوة من السيدة التي لم تتناول الكالسيوم وفيتامين د في شبابها، لذلك يبقى تناول الغذاء المحتوي على الكالسيوم مهماً للحفاظ على قوة العظام في جميع مراحل العمر المختلفة.

- الامتناع عن التدخين وشرب الكحوليات والشاي والقهوة والمنبهات.

- مزاولة التمارين الرياضية الخفيفة والمعتدلة والمستديمة.

- تناول الحليب المدعم بفيتامين د أو التعرض للشمس صباحاً ومساءً.

- تناول الغذاء الكامل المتوازن المحتوي على الفيتامينات الأخرى والمعادن تحت إشراف طبي.

الأغذية الغنية بعنصر الكالسيوم

نوع الغذاء	كمية الغذاء	مقدار الكالسيوم بالمليجرام
الحليب	نصف لتر	٧٠٠
لبن زبادي	فنجان	٣٥٠
آيس كريم	فنجان	١٨٠
جبن	١٠٠ جرام	٦٧٠
ورق العنب	١٠٠ جرام	٣٩٢
الملوخية	١٠٠ جرام	٣٧٠
الجرجير	١٠٠ جرام	٢٠٥
النعناع	١٠٠ جرام	٢٠٠
البقدونس	١٠٠ جرام	١٩٥
اللوز	١٠٠ جرام	٢٥٤
الفستق	١٠٠ جرام	١٤٠
خبز أبيض	قطعتين متوسطتين	٨٠
سلمون	١٠٠ جرام	١٧٠
سردين	١٠٠ جرام	٣٧٥

احتياج الفرد اليومي من عنصر الكالسيوم

السن	الاحتياج اليومي من الكالسيوم بالمليجرام
من الولادة - ٦ أشهر	٣٦٠ تتوافر في كأس واحدة من الحليب
من ٦ - ١٢ شهراً	٥٤٠ تتوافر في كأس ونصف الكأس من الحليب
من ١ - ١٠ سنوات	٨٠٠ تتوافر في كأسين من الحليب
من ١١ - ١٨ سنة	١٣٠٠ تتوافر في ٤ كؤوس من الحليب
فوق ١٨ سنة	١٠٠٠ تتوافر في ٣ كؤوس من الحليب
الحامل والمرضع	١٣٠٠ تتوافر في ٤ كؤوس من الحليب
النساء اللاتي بلغن سن اليأس	١٥٠٠ تتوافر في ٤٫٥ كؤوس من الحليب



الوجبات السريعة من مسببات هشاشة العظام

التفاعلات الجانبية للكالسيوم مع المواد الأخرى

- الخضراوات تحتوي على نسبة ضئيلة من الكالسيوم، قليلة الامتصاص بسبب وجود حمض الأوكساليك OXALIC ACID الذي يتحد مع الكالسيوم مكونًا مركب أوكسالات الكالسيوم العديم الذوبان في الماء والامتصاص، كذلك يوجد حمض الأوكساليك في الشيكولاتة Chocolate المضاف إليها اللبن الذي يحتوي على الكالسيوم، لذلك نجد أن الأطفال الذين يشربون هذا النوع من الحليب لا يستفيدون من الكالسيوم.

- الحبوب الجافة والبقوليات تحتوي على حامض الفايتيك Phytic Acid الذي يتحد مع الكالسيوم والمعادن الأخرى مكونًا مركبات غير قابلة للذوبان في الماء ومن ثم تكون قليلة الامتصاص من القناة الهضمية.

- حامض الستريك CITRIC ACID الموجود في عصائر الفاكهة يساعد على سرعة امتصاص عنصر الكالسيوم في القناة الهضمية، لذلك من المستحسن إضافة الكالسيوم إلى هذه العصائر حتى يستفيد منه الطفل.

- فيتامين (د) يساعد على امتصاص عنصر الكالسيوم كما أسلفنا من قبل.

- الأغذية والمشروبات التي تحتوي على الفوسفور أو الفوسفات تعرقل امتصاص الكالسيوم مثل المياه الغازية، لأنه لابد من وجود نسبة معينة بين الكالسيوم والفوسفور حتى يتم امتصاص الكالسيوم بصورة طبيعية، وغالبًا ما تكون نسبة عنصر

الكالسيوم أعلى من نسبة عنصر الفوسفور.

- أدوية الحموضة مثل الرانيتيدين Ranitidin ، والفاموتيدين Fumotidine والسيميتدين Cemitidine تقلل من إفراز حامض المعدة (الهيدروكلوريك HCL) الذي يساعد على امتصاص عنصر الكالسيوم.

- أدوية الحموضة التي تحتوي على الألومنيوم تقلل من امتصاص عنصر الكالسيوم.

- النقص الشديد في عنصر الماغنسيوم في الجسم

مزاولة الرياضة ضرورة لتفادي هشاشة العظام

يسبب نقصاً في عنصر الكالسيوم في الجسم Hypo-calcemia.

- زيادة عنصر الحديد في الجسم تساعد على زيادة امتصاص عنصر الكالسيوم.

- المضادات الحيوية مثل البنسلين والنيوميسين Penicillin & Neomycin تساعد على سرعة امتصاص عنصر الكالسيوم.

- أدوية الكورتيزون Cortisones، ومضادات الصرع Antiepileptics وهورمون الثيروكسين Thy-roxine Hormone تقلل من امتصاص عنصر الكالسيوم من الأمعاء.

- تناول عنصر الكالسيوم مع كمية غير مكافئة من الفوسفور والتي يجب أن تكون النسبة بينهما ٢:١ يسبب توقف تكوين فيتامين ك K الذي يصنع بالأمعاء، ويصبح الإنسان معرضاً للإصابة بالنزيف.

- الضغوط النفسية تعرقل امتصاص عنصر الكالسيوم من الأمعاء إلى الدم.

احتياج الفرد اليومي من فيتامين د D

- الشخص البالغ والطفل الصحيح ٤٠٠ وحدة دولية (تتوافر في الغذاء اليومي).
- المرأة الحامل والمرضع ٤٠٠ - ٦٠٠ وحدة دولية يومياً.
- الشخص البالغ المصاب بالكساح ٥٠،٠٠٠ وحدة دولية يومياً.
- الطفل الكسيح ٤٠٠٠ وحدة دولية يومياً.

وذلك لعدة أسابيع ثم تجرى أشعة إكس X rays على العظام للتأكد من عملية التكلس Calcifi-cation في العظام. ثم يُثبت على جرعة استمرارية تراوح بين ١٠٠٠ و ٢٠٠٠ وحدة دولية يومياً إلى حدوث الشفاء بإذن الله تعالى.

- الأشخاص العاديون وخصوصاً في الحقول ومن يتعرضون دائماً لأشعة الشمس في الصباح والمساء يكفيهم فيتامين (د) الذي يتكون في الطبقة الدهنية الموجودة تحت جلودهم.

المراجع

١. احذروا.... الإفراط في تناول الفيتامينات، د. إسماعيل الخطيب.
٢. المعادن وصحة الجسم البشري، د. إسماعيل الخطيب.
٣. ملحق خاص عن مرض وهن العظام بمناسبة اليوم العالمي لوهن العظام ١٤١٧/٦/١هـ. د. محمود الدسوقي. رئيس قسم الطب النووي بمستشفى الملك خالد الجامعي، جامعة الملك سعود - الرياض.
٤. دليل وهن العظام: مسبباته، علاجه، الوقاية منه. د. محمد الدسوقي، و د. صالح عثمان، قسم الطب النووي بمستشفى الملك خالد الجامعي، ود. غسان سعلوف، رئيس الجمعية اللبنانية للوقاية من ترقق العظام، بيروت - لبنان.
٥. تخلخل العظام (اللص الصامت) نشرة محكمة صادرة عن إدارة الشؤون الإعلامية والتثقيف الصحي، مستشفى الملك فيصل التخصصي ومركز الأبحاث. سنة ١٤١٥، ١٤١٦هـ.

مصدر الصور: الإنترنت.



أسماء الفائزين في مسابقة العدد (٣٠٣)

رمضان ١٤٢٢هـ - نوفمبر / ديسمبر ٢٠٠١م

الفائز الأول: **د. طاهر سالم تونسي - جدة - السعودية.**
الفائز الثاني: **آمال طلبة فرج نوار - شبين الكوم - مصر.**
الفائز الثالث: **فؤاد البكري - تمارة - المغرب.**
الفائز الرابع: **زبيدة جمال إسماعيل أبو ريان - عمان - الأردن.**
الفائز الخامس: **بشرى علي محمد اليفاعي - صنعاء - اليمن.**
الفائز السادس: **أحمد رامي القطان - السالمية - الكويت.**
الفائز السابع: **فوزية غزالي - بسكرة - الجزائر.**
الفائز الثامن: **ابتسام حسين خميس حمد - الزرقاء - الأردن.**

حل مسابقة العدد (٣٠٣)

١- في السنة الخامسة للهجرة وقعت غزوة الخندق.

٢- الحرب أولُ ما تكون فتية
تسعى ببزتها لكل جهول

قائل البيت هو: عمرو بن معدي كرب.

٣- جعبر: قلعة قديمة سماها العرب (دوسر) تقع على الفرات بين الرقة وبالس.

٤- مرج الكحل: شاعر من أهل جزيرة شقر بالأندلس.

٥- إعجاز القرآن كتاب شهير لـ: مصطفى صادق الرافعي.

أسئلة مسابقة العدد (٣٠٦)

ضع علامة ☑ أمام الإجابة الصحيحة:

(١) فتحت صقلية على يد:

☐ القائد عبدالرحمن الغافقي الذي فتح صقلية قبل زحفه على فرنسا ☐ أسد بن الفرات صاحب كتاب «الأسدية».

(٢) من قائل هذا البيت: **ولكنّ نفساً مُرةً لا تقيم بي على الذل إلاّ ريثما أتحوّل**

☐ الشنفرى الأزدي ☐ عنترة بن شدّاد.

(٣) قانون غريشام:

☐ قانون إنجليزي قديم يحصر الإرث في الابن الأكبر ☐ القانون القائل: إن العملة الرديئة تطرد العملة الجديدة من التداول.

(٤) جيرارد الكريموني:

☐ عالم قروسطي. نقل إلى اللاتينية كتباً كثيرة من تراث اليونان المترجم إلى العربية. ☐ لا هوتي فرنسي. قام بترجمة الإنجيل إلى العربية.

(٥) الإرْدَبّ: ☐ مخزن للحبوب في قرى مصر. ☐ مكيال مصري لتقدير الحبوب.

الاسم: ________ المدينة: ________ ص.ب: ________ هاتف: ________

العنوان: ________ الدولة: ________ الرمز البريدي: ________ ناسوخ: ________



شروط المسابقة

- الإجابة عن جميع الأسئلة بشكل صحيح.
- لا تقبل إلا الإجابات المدونة على هذه القسيمة.
- إرسالها خلال ٤٥ يوماً من بداية الشهر العربي الذي صدر فيه العدد.
- أن يكتب المتسابق اسمه وعنوانه كاملاً داخل القسيمة.
- أن يكتب على الظرف (مسابقة العدد .....).

طريقة اختيار الفائزين

- تفرز جميع القسائم التي ترد من القراء.
- يتم استبعاد القسائم التي تكون ناقصة الإجابات.
- تجمع الإجابات الصحيحة، وتعمل قرعة بينها للفائز الأول، وقرعة أخرى للفائز الثاني، ثم قرعة للفائز الثالث، وهكذا إلى الفائز الثامن.
- ترسل الجوائز إلى أصحابها فور الوصول إلى النتيجة، وتدفع بالريال السعودي أو ما يعادله بالدولار الأمريكي.

مضاعفة جوائز المسابقة

استجابة لرغبات عدد كبير من الإخوة القراء المتابعين للمسابقة والتي عبروا عنها من خلال الرسائل الكثيرة التي ظلت ترد إلى المجلة، ولإتاحة فرص الفوز بالجوائز لعدد أكبر منهم، فقد تمت مضاعفة عدد هذه الجوائز ابتداءً من العدد ٢٩٦ لتصبح على النحو الآتي:

الجائزة الأولى: ١٠٠٠ ريال.

الجائزة الثانية: ٧٠٠ ريال.

الجائزة الثالثة: ٥٠٠ ريال.

الجائزة الرابعة: ٤٠٠ ريال.

الجائزة الخامسة: ٢٥٠ ريالاً.

الجائزة السادسة: ١٥٠ ريالاً.

الجائزة السابعة: (اشتراك لمدة عام في مجلة الفيصل).

الجائزة الثامنة: مجموعة من أعداد الفيصل وبعض إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

ولا يخفى على القارئ المتابع أن الجوائز المستحدثة هي الرابعة والخامسة والسادسة والثامنة.
والفيصل، مع شكرها لكل الإخوة الذين يشاركونها الرأي في تطوير أبوابها، تأمل أن تكون عند حسن ظنهم دوماً، مع تمنياتنا بحظ وافر لجميع القراء الأعزاء.

عنوان المجلة:

ص.ب(٣) - الرياض ١١٤١١ ــ المملكة العربية السعودية. هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ / ٤٦٥٣٠٢٧ ــ ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

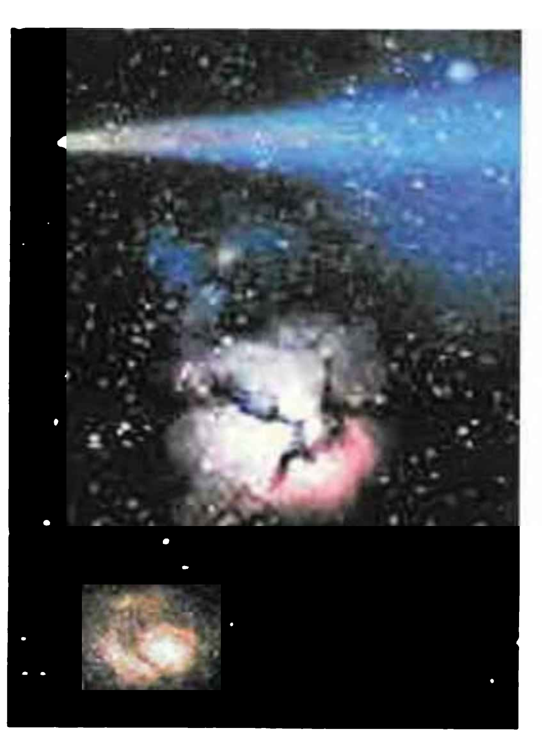


رحلة

محمد بن إبراهيم الملحم
الدمام - السعودية



أطلقْ عنانكَ للهوى الدوّارِ ... ما الحبُ إلا صهوةُ الأشعارِ
والحبّ دَوْحٌ يستظلّ بفيْئِه ... من لوعةِ التّطْواف في الأعمارِ
هو في ربيع العمرِ أحلامُ المُنى ... وهو المَلاذُ لدى الخريف الضاري
ما أجملَ الإبحارَ في عين الرِّضا ... وعناقَ أرواحٍ لدى الأنظارِ
هذا نسيمُ الروح يرشفُ حظّه ... من جدول الحبّ النّمير الجاري
والفجرُ جاء إلى رحالي راغبًا ... وأمالَ لي رأسًا وحطّ جواري
لأهيمَ في سيمائه مُتسهِّمًا ... فكأنما جُرِّدْتُ من إبْصاري
وأطير نحو فضائه مُستشرفًا ... وأظلّ ألحقُ ومضةَ الأنوارِ
تبدو مسافاتي لها غدّارةً ... وأحسّ إدْراكي لها كفِراري
وتقلّبتْ أشياؤه حولي فلم ... أرَ غيرَ دائرةٍ من الأقدارِ
فجمعتُ همّي ثم صحتُ مُقرّرًا ... وقصدتُ. زادي حُزْمةُ الأسرارِ
فإذا وصلتُ وجدتُ أني غارقٌ ... في لُجّةِ الليل البَهيم العاري
لأجادلَ الأفكارَ كلَّ دقيقةٍ ... ويضجّني عقلي وصوتُ قراري
وأعود من حيث البداءةُ أنتقي ... رأيًا يُفجّر يقظتي بنهاري



حكمة القدر

أماني حاتم بسيسو

عمان - الأردن

أوّاه من ليلٍ من باتت تموج به ... شتّى العواطف من حبٍّ ومن حذرِ

يرى النجومَ، ولكن ليس يلمسُها ... يثنيه بُعْدُ المدى، والخوفُ من خطرِ

إن هدّهُ وهنٌ، يغفو ليُدركها ... بالنوم، لكنّهُ يصحو على غَررِ

كم ارتقى لسماها متْنَ أجنحةٍ ... فلم ينلْ غيرَ جهدِ البحثِ والسّفرِ

ناجته نجمته يومًا بأدمُعها ... فهالهُ دمعُها، والتاعَ في كَدرِ

وشفَّ منه حنينٌ دافقٌ ألمٌ ... سرى لِمُهجتها، وانداحَ في وَفرِ

وصبَّ في جوفها نورًا، وأسلمَها ... لغفوةٍ بعد أن كلّت من السّهَرِ

بدا بأحلامها نجمًا يُسامرُها ... والحُبُّ يُنشِدُها في غفلةِ القمرِ

فكان (حلْمًا) حبيبًا، ليس تدركه ... وليس يُدرِكُها في عالمِ البَشَرِ

يرنو إليها، فترنو ملءَ أعينها ... كلاهما - سغبًا - يقتاتُ من نظرِ

هي الأماني كبَرْقٍ خُلَّبٍ ومضتْ ... (كادتْ ولمّا..)، فغصَّ الليلُ بالعبَرِ

قد كان حظّهما من كلّ ما بنَيا ... بينًا، وتلكَ أخيرًا.. حكمةُ القَدَرِ!

فخر

عبد يغوث الحارثي

ألا تلوماني، كفى اللّومَ ما بيا ... فما لكما في اللوم خيرٌ ولا ليا

ألمْ تعلما أن الملامة نفعُها ... قليلٌ، وما لومي أخي من شماليا

فيا راكبًا، إمّا عرضْتَ فبلّغَنْ ... نداماي من نجْران أن لا تلاقيا

أبا كرب والأيهَمَين كليهما ... وقيسًا بأعلى حضرموت اليمانيا

جزى اللهُ قومي بالكُلاب ملامةً ... صريحهم والآخرين المواليا

ولو شئتُ نجّتني من الخيل نهْدةٌ ... ترى خلفها الحُوّ الجياد تواليا

ولكنّني أحمي ذمارَ أبيكمُ ... وكان الرماحُ يختطفنَ المحاميا

أقولُ وقد شدّوا لساني بنسْعةٍ: ... أمعشرَ تيم، أطلقوا عن لسانيا

أمعشر تيم، قد ملكتمْ فأسجِحوا ... فإن أخاكم لم يكن من بوائيا

فإنْ تقتلوني تقتلوا بيَ سيّدًا ... وإن تُطلقوني تحْربوني بماليا

أحقًا، عباد الله، أن لست سامعًا ... نشيد الرعاء المعْزبين المتاليا

وتضحكُ مني شيْخةٌ عبْشميّةٌ ... كأنْ لم ترىْ قبلي أسيرًا يمانيا

وظلّ نساءُ الحيّ حولي رُكّدًا ... يُراودْن مني ما تُريد نسائيا

وقد علمَتْ عرسي مُليْكةُ أنّني ... أنا الليثُ معْدُوًا عليه وعاديًا

وقد كنتُ نحّار الجزُور ومُعْمِلَ الـ ... مطيِّ، وأمضي حيث لا حيّ ماضيا

وأنْحرُ للشّرْب الكرام مطيّتي ... وأصْدعُ بين القينتَيْن ردائيا

وكنت إذا ما الخيل شمّصها القنا ... لبيقًا بتصريف القناة بنانيا

وعاديةٍ سومَ الجراد وزعْتها ... بكفّي وقد أنْحوْا إليّ العواليا

كأنّيَ لم أركبْ جوادًا ولم أقلْ ... لخيْلي: كُرّي نفّسي عن رجاليا

ولم أسْبأ الزّقّ الرويّ ولم أقل ... لأيسارِ صدْقٍ: أعظموا ضوءَ ناريا

الهوامش

• الشاعر هو عبد يغوث بن صلاءة من بني الحارث بن كعب من كهلان، من اليمن (عرب الجنوب). كان عبد يغوث رجلاً عظيم الجسم جميلاً. وكان كريمًا وفارسًا معدودًا وسيّدًا في قومه. قاد قومه يوم الكُلاب الثاني على بني تميم وأحلافهم فقُتِل وأسر من قومه عددٌ كبير. ثم وقع هو في الأسر. أسره شخص من بني عُمير بن عبد شمس، من بني التّيْم من قريش.

أراد عبد يغوث أن يفتدي نفسه بمئة من الإبل، ولكن بني التّيم أبوا وقالوا: قُتل فارسُنا النعمان بن جسّاس، ولم يقتل من بني الحارث فارس معدود. فلا بُدّ من قتل عبد يغوث بالنعمان. فكان مقتل عبد يغوث في عام ٦١٣م، قبل الهجرة بنحو عشر سنين.

[تاريخ الأدب العربي لعمر فروخ، ج١ ص ٢٠٦ ـ دار العلم للملايين، بيروت].



فارس عمر الزعبي
عجمان ـ الإمارات

كان ثمّة ليل صاخب يلفّ مدينة صماء.. وكان ثمّة قشعريرة تسري كموجة شتوية وسط زحام السيارات بعد الواحدة ليلاً.. كان هنالك أيضاً شجيرات تبعث أنواراً ضئيلة من ثناياها الرطبة، وكأنها تخادع الليل الصاخب وسط هذه المدينة الصماء، والتي لم تعد تسمعني كما كانت دمشق تسمعني.. أيام زمان.. وما أيام زمان؟؟

أعود بكلّ ثقتي الباردة.. أستجمع شتات سنين ذرتها أعاصير إفلاس وخيانات.. تنتابني فرحة ليمت زائفة حتى ولو أحسست أنها كانت كذلك. فرحة لست أجيد تسميتها.. أهي ناقصة؟؟ باهتة؟؟ حزينة؟؟ في الحقيقة لست أدري كم يلزمني من المفردات التي تستعصي عليّ كي ألج إلى انطفاءاتها واشتعالاتها.

حاولت جاهداً أن أعيد إلى فرحتي دمعتها، علّها تطفو على ما جعّدته الأزمان المتلاحقة كموجات آن لليلها أن يندثر، لكن عبثاً.. أيّ عبث!!

من لبّ ليل صاخب في مدينة صماء.. من لجّ بحر من الشجيرات الشاحبة المصابيح.. من قلب أغنية عراقية كانت تتردّد في جنبات سيارتي الصغيرة التي توقفت قرب شجيرة شاحبة رغم الكم الهائل من تلك الأضواء المتراقصة المحيطة بها. من طرقات أنامل قطرات جادت بها سماء تلك المدينة الصماء راحت تتناثر بعشوائية غير محببة.. من ينبوع صمت ران للحظات بينما دعد تعبث بشعرها الحالك.. من أشياء كثيرة.. تناهى إليّ صوتها وهي تضحك بتلقائية طفولية:

ـ ما لك!!!؟

من أين جاءت بهذه العبارة؟؟.. سنوات ستّ عجاف مضين دون أن أسمعها.. وكم كنت بحاجة إلى من يقولها لي، ولم يقلها أحد! ستّ من السنوات العجاف كان جلّ ما شاهدته: العجب.. أيّ عجب!!

كان اليوم الجميل منها ذلك اليوم الذي ينقضي دونما استدعاء لمركز شرطة، أو نيابة، أو محاكم، أو بنوك تطالب بأقساطها، أو أصدقاء كثر يريدون ديونهم على وجه السرعة.

ـ ما لك!!!؟

قالتها بنغمة مدوّية.

ما لي؟ نعم ما لي؟

كانت اللحظات تنقضي دون أن أقول شيئاً، دون أن أقول: ما لي.

ترى ما عساي أقول؟؟

لا أنكر أبداً أنني بدأت أحسّ بالسنوات الست قد بدأت عذاباتهن تتلاشى كموسيقا منطفئة. رحت في إسهاب عميق أحاول أن أشرح لها ما لي، وما فيّ، وما عليّ، وما بي من لوعة جانحة تجاهها.. تجاه أنثى تضمّني بعد سبعة و ثلاثين عاماً.. تجاه حياة أنوي أن أحياها بكلّ ما أوتيت من حب، بكلّ فوضى الشعراء، بكلّ ما أوتي إليوت من خراب، بكلّ جنوح الأبطال، وجنون العشاق. ما لي؟؟ حقاً ما لي؟؟

كنت أريدها أن تفهم أنني عشقتها.. أحببتها.. مولع بها.. وكنت أريد أن أملأها غزلاً.. شعراً.. حاولت استذكار ما كنت أحفظه.. عرّجت بذاكرتي المائلة نحو الخلف أبداً نحو نزار وسواه، عرّجت على ابن الفارض أيضاً، لكن عبثاً. باتت الكلمات عصيّة.. لم يكن سوى الصمت، الصمت الذي أمقته. حينها ـ من المؤكّد حينها ـ أنني عرفت ما بي، وما لي. ورحت أكتب إليك. أكتب إليك مسترجعاً عشرة عشرة أعوام، مسترجعاً كيف انطفأت مسيرتنا كرايات حزب مخذول.

رحت أكتب إليك، إذ إنني لم أجد طريقاً إلى الغزل كلّه إلاّ عبر التاريخ بحبك الذي ما زال راسخاً في حناياي، ورفضته بعد عشر من السنوات بين جدران مدينة صماء

مخالفةً بذلك كلّ قواعد العشق المجنون لدى سحابات قاسيون(١)، وعاصية كلّ النسمات التي كانت تعبر عين الخضراء(٢) في الطريق إلى الفيحاء(٣).

رحت أكتب إليك عساي أتحرّر منك. . عساي أقدر أن أقول لتلك الصبيّة الحسناء التي كانت تسأل بفزع طفوليّ: «ما لي، ما بي. .».. شرعت أكتب إليك بينما غادرتني مودّعة وهي تقول: سأدعك لأوهامك التي لن تغادرك، ولن تغادرها.

وكتبتُ؛ كتبت إليك هامساً بنشيج تخنقه مرارة أبديّة: كسنونوةٍ صغيرة كنت تطلّين. . كسنونوةٍ كان يبدو وجهك من النافذة ترقبين عودتي حين أعود من المدرسة. . وكنت أحثّ خطاي راجعاً. . كنت أتباهى أمام الفتيات المراهقات اللائي كنت أدرّسهنّ بأنّ لي زوجة جميلة أجمل منهنّ. . زوجة كانت تجلس قبل سنتين على المقاعد ذاتها التي يجلسن عليها الآن. . زوجة كانت في أثناء حصّة الرياضة تذرع الممرّ مرّات ومرّات كيما تحاذي حجرة الصفّ التي أدرّس فيها. . أقسمت أيّامها إنني قد وجدت ضالّتي الأبديّة. وكنت إخال نفسي مؤمناً حينها. .

وحين أعود أروح في تساؤل الذي داخ من التدريس ساعات: كيف هبة الله؟؟ ألا زالت تبكي؟؟ وكنت تجيبين: نعم ما زالت كذلك، ولا تتوقف عن البكاء إلاّ حين تأتي لتقبّلها. فأروح أمنحها القبلات. . قبلات لا تتناهى. . قبلات لا تلامس النسيم. . قبلات ترتقي سلّم الأبوية الخالدة. وكنت تتسلّلين إليّ. . كنت كثيراً ما تتسلّلين إليّ. . من عتمة الموت ودخان المدافئ ورحيل الأقارب في الشتاء تتسلّلين إليّ.

كنت كثيراً ما أتوسّد طيفك في ظلمة ليل شتويّ طويل. كنت كثيراً ما تكذبين. . وكنت كثيراً ما أصدّق ذلك الكذب الجميل، لأنني أريد أن أصدّق ذلك الكذب الجميل، فصبر جميل!!

من تحت ميزاب جفّ في سنوات القحط تسلّلت إليّ؛ وأمطرتك، أمطرتك حتى استحالت روابيك مغانيَ و ربيعاً وقمحاً تناثر في كلّ بيادر الشام. . أيّ شام؟؟

كنت كثيراً ما تصنعين مني صنماً تمثالاً، وكنت كثيراً ما أنطقك حتى استحلت إلى قصيدة نادرة السرد و التهذيب.

من قال إنّ قصّتنا كتبت؟

كنت كثيراً ما أوقف الليل، وأهدّئ من روعه كي أقف إلى جانب الخلايا المؤدّية إليك. . لكنك كنت تفضحين كلّ هذه الرغائب في وضح النهار دونما ارعواء. كنت أجمّع كلّ الأوراق . . أخبّئ فيها كلّ رغائبك السريّة كي لا تفتضحي عليّ أجد فيها ليلاً أطاول فيه أطراف هدبيك اللذين كانا - في دعة - يطيران صوابي. . أيّ صواب. .؟

جرّبتك ثملاً. . و وقفت أناشد كلّ الصبوات أن ترأف بي..

كيف؟. .

كيف؟ ولا حياة لمن ترى نور الصباح قد مضى يغلّف أسوار الحقيقة الليليّة العاشقة. لكن ما من شكّ أبداً أنك خسرتني أبداً، وأنني ضيّعتك أبداً.

الهوامش

١. قاسيون: جبل يحتضن مدينة دمشق.
٢. عين الخضراء: متنزه قرب دمشق.
٣. الفيحاء: أحد أسماء دمشق.

القَيّوط ١٣*

أرتورو سوتو ألابازث

ترجمة: أديب كمال الدين

كانت الشمس تهبط تحت الأفق مؤطِّرةً حافة الصحراء بخط من النار البنفسجية. ارتفعت العاصفة بشكل حلزونات ترابية فوق السهل، وتألّقت الزهرة في زاويتها المظلمة في السماء. ضرب خوان الراعي على الأوتار المشدودة لقيثارته لحنًا حزينًا مثلما تهادى حصانه المتعب بقربه، وبجسده الذي انحنى على القربوس(١)، وقبّعته التي تعلّقت بالجزء الخلفي من رقبته، وبعينيه اللتين حدّقتا طويلاً في عرف حصانه المترب، غنّى الراعي واحدة من أغنيات الشكوى الحزينة. من حين إلى آخر بين فواصل اللحن، كان ينخرط في مناجاة متوحّدة. ثلاث عشرة ساعة قضاها فوق ظهر الحصان متتبعاً أثر القطيع الشبحي.

ثلاث عشرة ساعة من ركوب السهل متتبعاً الشمس. ثلاث عشرة ساعة من الضرب بالسياط، والتراب، والعرق.

ولأنه هام في هذا القفر اللانهائي فإنّ الرجل فَقَدَ اتصاله بالحياة؛ كانت روحه تجفّ مثل البندقة، وجلده ينقلب إلى حجر وكذلك قلبه.

بقدر ما تستطيع عيناه أن ترى لم يكن هناك شيء إلاّ السماء والأرض تلتقيان معاً في الأفق عند خط الغروب الدموي. في هذه الساعة أعادت أحجارُ الصحراء إلى المدى الحرارة التي امتصتها طوال النهار، وانتشرت ظلالُ منطقة الصبير الرمادية الرصاصية إلى ما لانهاية. والراعي خوان تشبّث بأغنيته مثلما تشبّث بحبيب مجتازاً ببطء تلك المسافات الوامضة. بدأت الريحُ تصفرُ الليلَ والموت بصوت مرتفع، وانزلق الخوف والخرافة إلى مقوماتهما بمكر.

ولكن عقل الراعي خوان كان مشغولاً. بعزم، ومن دون عجلة، كان يتوجّه إلى منطقة محددة مُنقاداً بوساطة النسيم، مستنشقاً الهواء، متتبعاً رائحة اللحم الميت.

أظلمت السماء، وبعيداً جدًا أومضت مجرة درب اللبّانة حتى بدت مثل الندى في الفضاء.

بعد عدة دقائق رأى أمامه سياج شرك فولاذياً مترباً ممتداً على تخوم الصحراء إلى المديات القصوى اللامرئية. توجّه الراعي خوان نحوه وتوقّف على مبعدة عدّة ياردات منه. قطع أغنيته فجأة وجلس دون حراك محدّقاً في الأسلاك الشائكة. بدأ الحصان الذي كانت أعنّته غير مربوطة بإحكام بضرب الأرض الصلدة فابتسم راكبه وقد طُوِّق بجو خانق من العفن وهو يحصي القيّوطات. كان هناك اثنا عشر منها. اثنا عشر قيّوطاً معلّقاً على السياج ببراثنها المتصالبة، وأذنابها المتيبسة، ورؤوسها المتدلية على صدورها. كانت الحيوانات تتعفّنُ تحت شمس الصحراء وقد غُطِّيت خطمها الصغيرة السمراء المصفّرة بقطع دم يابسة حتى بدت شبيهة بالفزّاعات أو بالإعلام وسط الريح. وإذ كنست الريحُ السهول فإنها لعبت بالشعر الجاف للقيّوطات التي ارتعشت وتحركت.

وكانت علاماتُ الحياة هذه التي ظهرت على أجسادها الميتة مفارقة وحشية. كانت يدا الراعي خوان كبيرتين ضخمتين، مع أظافر قذرة وأصابع قصيرة وغليظة. أزالت يداه الخيط المتين للوهق(٢) والجلود والعفص. يداه اللتان وسَمَتا الوسم الحارق لجلد العجول الحريري الذي تسبب، بعدئذ، في انبعاث رائحة اللحم المحترق. يداه الخشنتان الساحقتان هما اللتان جلبتا الألم، سنة إثر أخرى، إلى عدد لا يُحصى من الحيوانات. وذلك كان السبب في اكتساب الرجل ذلك العنف الأعمى، والعناد الصامت، والتفرّد المتأصّل في استهداف الحيوانات ذوات الأقدام الأربع.

لكن عالم الراعي خوان، عالم الطواف وحيداً والضياع فوق اتساع السهول، كان صغيراً جداً بحيث كان بمقدوره أن يتناغم مع راحته التي يجدها في التدخين والشراب والتأملات. وكان كل شيء آخر بالنسبة إليه (السماء والسهل والوحدة) علامة استفهام خطيرة مرعبة.

في ذلك اليوم جاء من مكان بعيد ليحصي قيّوطاته: بهائم الافتراس التي تكمن حول القطعان بعيونها الفسفورية الصغيرة والتي تتحول إلى أشباح في الليل ترتعد بنباحها وقت بزوغ القمر. كانت القيّوطات أعداء الراعي خوان بشكل طبيعي، وكان يصطادها بوساطة الشَرَك والبندقية. وبوحشية يضحّي بتلك التي أمسك بها كمثال لباقي الحيوانات؛ لذلك السبب فهو قد علّقها بالشوكات المضيئة في الشرك حتى إنّ دمها قطّر قطرات سود على مقربة من الشرك.

أضاء نجمُ المساء ظلالَ القيوطات بضوئه البنفسجي معرّيًا الصحراء من خلال الموت. كان بمقدور الراعي خوان الذي تحدّث مع نفسه وابتسم ونوعّد ولعن أن يرتاح لرؤية ثلاثة عشر قيّوطًا فوق الشرك الوحشي، لكن القيّوط الأكبر حجمًا والأكبر سنًا، القيوط ١٣، الماكر، اليقظ، المتحدّي، كان على الدوام يهرب منه.

ليلة بعد ليلة كان يختبئ في أجمة من المسكيت(٣) في مستنقع جاف، في مكان ما في ذلك اليباب الصخري المتناسق ليعوي باتجاه القمر. حدّق الراعي خوان في النجوم مرتجفًا من البرد تحت بطانيته مصغيًا إلى القيّوط وبدا أنه يراه، يرى ظهره المقوّس وذيله الصلب وخطمه المُسنن. وبدا له أن بإمكانه رؤية الحيوان مهرولاً عبر السهول مومضًا متوحشًا. بعد عدة شهور سيقدم حسابًا إلى الرئيس: رجل النفط في سان انطونيو وذلك بإخباره أن قيّوطًا عجوزًا قد اختطف أكثر من عجل.

دعا الراعي خوان الله أن يمكّنه من قتل القيوط ١٣. حين ترك طلقته الأخيرة تنزلق في ماسورة البندقية. انصرف بعيدًا عن المنظر المثير للغثيان تاركًا القيّوطات خلفه متأرجحة وسط الريح بجلودها الحمر الحابسة لوميض الشفق الأخير. ولكن صورتها وسمتْ في ذاكرة الراعي خوان بقوة بحيث لا يمكن محوها مثل ذكريات رجل وحيد.

إنه يستطيع أن يتصوّر القيوط ١٣ معلّقًا هناك، ببراثنه المتصالبة، ورأسه المُنهك مهزومًا مقتولاً.

أبهجته الفكرة وسيطرت على عقله مزيلة عنه الرماد والعناء والوحدة. أهرمته الشمس قبل الأوان، والخطوط التي لا تُعدّ ولا تُحصى وسمَت جلده: لقد كان خوان الراعي بوجهه الدائري وتعبيره الحيواني تهجينًا ما بين بهيمة حقل وناسك.

وظهرت لحيته الحمراء وحاجباه المبيّضان بفعل الشمس ما بين الغضون مثل هُلْب من الضياء. وتقلّصت عيناه الصغيرتان عبر سنين من وهج الشمس، حيث كانت عيناه رماديتين زرقاوين بريئتين، والآن أصبحتا قاسيتين جافتين.

ذلك لأن الشيء الوحيد الذي انعكس فيهما كان الصحراء والسطح الهندسي المجرّد للوحدة الفسيحة.



أخيرًا فقدت السهول وميضها، وغطّى الليلُ الرائق الأرض، فترجّل الراعي خوان وأخفى نفسه خلف منطقة صبّير لينتظر. لن ينتظر حتى يشعل سيكارته لذا عضّ مضغةً من التبغ.

لاطف إصبعه مقداح البندقية وانتظر مستمتعًا بالبهجة المتوقعة خلال وقت قليل وحالما يرتفع القمر إلى مداره الثابت، فإن القيّوط ١٣ سيستريح على وركيه، ثم يرفع رقبته المطوّقة ليبدأ أغنيته الليلية. والطلقة، ناعمة مغطاةً بالفولاذ، ستمزّق العواء في حنجرته أو رأسه.

هذا ما كان الراعي خوان يفكر فيه مبتسمًا تحت بطانيته منتظرًا صامتًا. ارتفع القمر عاليًا، ولكن ليس هناك من إشارة عن القيّوط ١٣. كان فولاذ البندقية باردًا ما بين أصابع الراعي خوان. كم بدا غريبًا أن ليس بمقدور القيّوط الخروج حتى الآن! كم هي فارغة، ميتة، مجدبة بدت الصحراء!

صخرة ورجل، مدى ورجل، إحدى ساقيه تخدّرت، فترك نمل دمه الراكد ليخدرها تماماً.

بدأ يجتاح روحه صمت، صمت عميق. إنها ليست قوقعة تتشكّل في الخارج، بل إشعاع كينونته الخاص، طيران كل شيء غير محسوس في داخله. أحس الراعي خوان أن شيئاً ما كان يغادره، ذلك الشيء المهم الذي كان ينفصل عنه، ذلك الحذاء الجلدي الخشن يَترُكُ فارغاً، ولهاثه الصوفي الفظّ، وبطانيته التي صارت فارغة وكانت تحمل شكلاً قاسياً لكتلة كبيرة هامدة هي البقايا المتحجرة لكينونة ما. مثل الأحجار التي أحرقتها الشمس والتي تعيد إلى المدى ليلاً أشعة الشمس. كان الراعي خوان يَتْرُكُ دون روح. حاول أن يفكّر، أن يتذكّر، ولكن جميع ما كان يتذكره لم يكن سوى ومضات صور فارغة، وعبر شاشة عقله الشاحبة مرّت أبراجُ الآبار النفطية الحديدية الغريبة، المذاق الجيد للبيرة، الجذوعُ الإنسانية اللحمية البدينة البيض للحفّارين، القطعانُ غير الواضحة التي مرّت مسرعةً محدثة غيوماً من التراب، جمجمةُ العجل الذي مات عطشاً في الصحراء. ولكن هذه الصور كانت فارغة تماماً ومتحررة من الجسد بحيث كانت عديمة النفع بالنسبة إليه.

أطبق الصمت بشكل كلّي مطلق. وصار الراعي خوان بجسده المرتعش في الليل البارد وبروحه الضائعة شيئاً لا قيمة له، صار نقطةً ضاعت في الوحدة فقط.

حين ثبت بندقيته ما بين ركبتيه مضغ مضغةً مُرّةً من التبغ وانتظر. انتظر دون أمل، حتى سمع، فجأةً، صوت عواء قصيراً. أعاده الصوت إلى الواقع، فنظر إلى جميع ما حوله منتصباً مرتجفاً والبندقية في يديه.

لقد وصل القيّوط ١٣.................

وستومض عيناه الصغيرتان الصفراوان في مكان ما في الجوار. جعل الراعي خوان إشارة الأمان في بندقيته تنزلق وانطلق بسرعة فوق السهل، عوى القيّوط ثانيةً وثالثة. اقترب خوان بحذر من الموضع الذي صدر منه الصوت، فشعر أن الحياة عادت إلى جسده فتعرّف يديه وقدميه الكبيرتين في حذائهما المألوف العتيق. وبينما كان متردداً كيف يجد سبيله، سمع عواءً يبعث على الشفقة قاده إلى قطعة صغيرة، متناثرة، صفراء من الأجمة. هناك كان القيّوط ١٣. كان كبيراً ورمادي اللون. وقد أبانت زمجرة خطمه عن أسنانه البيض القوية.

اندفع إلى الأمام ببراثنه النازفة ولسانه المتدلّي أسود متورّماً. كان الحيوان يبذل جهداً يائساً ليهرب بعيداً. راقبت عيناه اللامعتان بالكراهية والخوف اقتراب الرجل ببطء، وكان شعر ظهره منتصباً وقد عوى عدّة مرّات بصوت أجش. رفع الرجلُ بندقيته واتخذ هدفه مطوّقاً الموقع. كان الحيوان يموت من العطش. كان ضعيفاً جداً بسبب الألم فلم يستطع أن ينبح المزيد على القمر، وهذه كانت ليلته الأخيرة. ابتسم الراعي خوان وفكر في جميع القيّوطات المصلوبة حتى إنه كان يستطيع أن يشمّ رائحة لحمها المتعفن. شدّ إصبعه مقداح البندقية شيئاً فشيئاً كما لو كانت قوساً يرسمها. هكذا وقف الرجل والحيوان ينظران أحدهما إلى الآخر عدّة ثوان، ولكن الإطلاقة لم تجد هدفها.

غيّر الراعي خوان رأيه فجأةً فأطلق النار باتجاه السماء. تردد الصوت في الفراغ الفسيح. والقيّوط اللاهث بجنبيه الصاعدين والنازلين مثل المنفاخ بقي حيّاً في الأجمة. نظر الرجل إليه بحنان وتكلم ببضع كلمات معه، وذهب ليجلب الماء، وحين انحنى فوقه ليصبَّ الماء بوساطة إناء من الألمنيوم فإنّ الحيوان ارتدّ إلى الوراء مرعوباً. ولكي يستطيع القيّوط أن يشرب الماء بطمأنينة فإن الراعي خوان رجع إلى صبّاره وفكر متلفعاً ببطانيته وضوء النجوم يسقط مباشرة على جبينه: لو أنه قد قتل القيّوط فلن يكون بإمكانه أن يجد شيئاً ما ليفعله في العالم. إذ سيعاوده الصمتُ الحديدي الرهيب الذي عانى منه تلك الليلة. هكذا ذهب لينام بسلام سعيداً وقد هدهده الصوتُ الواهنُ للعَق القيوط العطشان.

ذلك هو السبب الذي جعل القيوط ١٣ يعيش مدة طويلة، ربّما سنوات. وفي الليالي التي اكتمل فيها القمر فإنه عوى دون توقف، وهاجم العجول مما أغضب الراعي خوان فطارده. ولكن الرجل لم يشعر مرةً أخرى بالوحدة الحديدية المرعبة في اتساع السهول. وبالنسبة إليه فإن القيّوط ١٣ كان عدواً مقدساً لا تُنتهكُ حرمته.

الهوامش

• القيوط: ذئب صغير يعيش في براري قارة أمريكا الشمالية.

١- القريوس: جزء من السرج مقوّس مرتفع من قدّام المقعد ومن مؤخرته.

٢- الوهق: حبل في طرفه أنشوطة يستخدم في قنص الحيوانات.

٣- المسكيت: نبات شائك.

رحلة
في كتاب

رحلة إلى الحجاز

مراجعة: وليد محمد السراقبي
الرياض - السعودية

يُعدّ الارتحال وسيلة من وسائل اكتشاف المجهول، وطريقًا للتواصل مع الآخرين، وسعيًا لتجاوز التخوم، ونهجًا لاكتساب المعرفة، ومدرسة تثقيف للإنسان، وإثراء فكره، وحافزًا له للتأمل في نفسه أولاً، وفي الآخرين ثانيًا، وبحرًا زخّارًا بكل ماتع ومدهش ومفيد؛ ذلك أنه «ليس من لزم جهة وطنه، وقنع بما نُمي إليه من الأخبار من إقليمه، كمن قسم عمره على قطع الأقطار، ووزع أيّامه تقاذف الأسفار، واستخراج كل دقيق من معدنه، وإثارة كل نفيس من مكمنه».

ومن هنا نرى شاعرنا محقًا في قوله:

تغـرّبْ عن الأوطان في طلب العلا
وسافر ففي الأسفار خمس فوائد
تفرُّجُ همٍّ واكتساب معيشةٍ
وعلم، وآداب، وصحبة ماجدِ

وقال فرنسيس بيكون: «إن السفر تعليم للصغير وخبرة للكبير». وقال إليوت: «انطلقوا أيُّها الرحّالة، فأنتم لستم نفس الأشخاص عند بدء الرحلة».

ولعلي غير مجانب الصواب إذا اعتقدت أن قول إليوت المتقدّم ينطبق تمام الانطباق على من يتابعون خطوات المرتحلين، ويقرؤون ما سطّروا، ويتأملون ما دوّنوا، ويحلّلون ما أنتجوا، ويستنبطون من وراء كلماتهم ما خفي من مدلولات، محاولين إنارة اللوحة التي حاول الرحالون رسمها، ساعين إلى اكتشاف مقاصدها الخبيئة.

والكتاب الذي نحاول مقاربته في هذه الصفحات، جملة من اللوحات الماتعة والمفيدة. فقد تلاقت فيه عناصر التاريخ، وعناصر الجغرافيا، وعناصر الإثنوجرافيا، والأنثربولوجيا، وزخر بصورة واقعية، وتقريرية لملامح حياة مجتمع ما إبّان فترة زمنية معينة، وحوى وصفًا دقيقًا ومترابطًا لثقافات مجتمع إنساني، وخصائص أهله وأسلوب حياتهم. وقد صدر الكتاب - في طبعته الثانية - عن دار الفيصل الثقافية في الرياض، سنة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.



رحلة إلى الحجاز
في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي ١٨٥٤م
شارل ديدييه
ترجمها وقدم لها وعلق عليها
د. محمد خير البقاعي
الرياض: دار الفيصل الثقافية، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

الرحالة شارل ديدييه

أما صاحب الرحلة فهو الرحّالة الفرنسي شارل ديدييه المولود في جنيف عام ١٨٠٥م، وهو شاعر وصحفي وروائي، نال في مطلع حياته قسطًا من العلوم القانونية والرياضية، ثم حطّت به عصا الترحال في باريس، فأصدر مع الروائية الفرنسية جورج صاند صحيفة «العالمين».

كان لديه ميل عجيب للسفر والتغرّب، فقد زار كلاً من إيطاليا، والمغرب، وإسبانيا. وكان يزمع الارتحال

إلى بغداد، وحلب، وإستانبول، إلا أن فقده بصره حال دون تمكينه من ذلك. أصدر عدداً من الكتب التي سجّل فيها رحلاته، منها: سنة في إسبانيا، وجولة في المغرب، وليالي القاهرة، ورحلة إلى الحجاز.

وأما مترجم الكتاب؛ فهو الدكتور: محمد خير البقاعي، الأستاذ في جامعة الملك سعود في الرياض. أصدر عدداً من الكتب بين تحقيق وترجمة، منها: ديوان دريد بن الصمة القشيري، ومحمد بن حازم الباهلي، ومحمد بن يسير الخارجي، ووضاح اليمن، والوجيز والمجاز لأبي طاهر السلفي. وترجم عن الفرنسية كتاب «لذّة النص» لرولان بارت، وكتاب «الرواية في القرن العشرين» لـ «تادييه».

يقع كتاب «رحلة إلى الحجاز» في أربعمئة صفحة من القطع المتوسط. وينقسم ثلاثة أقسام:

أ ـ مقدمة المترجم: ص ٧ ـ ٣٣.

ب ـ النص المترجم: ص ٣٥ ـ ٣٦ لمقدمة الناشر. ص٣٧ ـ ٣٧٣ لفصول الرحلة.

ج ـ فهرست المصادر والمراجع، وكشاف الأعلام والكتب الواردة في متن الرحلة ص ٣٧٥ ـ ٣٩٩.

وقد أثار المترجم الفاضل في مقدّمته جملة من القضايا المفصلية المهمة، فكشف عن أهمية الرحلة مصدراً من مصادر التاريخ بغض النظر عن الغايات التي تقبع وراءها. وكشفت عن توجّه مثقفي المملكة إلى أهمية هذا المصدر والاهتمام به، عبر عقد ندوات، وإصدار الوثائق وكتب الرحلات، ولاسيما ما صدر منها باللغة الفرنسية، وذلك عائد إلى قلة المتمرسين في ميدان اللغة الفرنسية، على الرغم من توازي الوجودين الاستعماريين: الإنجليزي والفرنسي.

ومن هنا تأتي ترجمة «رحلة إلى الحجاز» لـ «شارل ديدييه» لتسدّ ثغرة في نشر ما كتب عن الجزيرة العربية باللغة الفرنسية.

من مظاهر وعي ديدييه التاريخي تلك الموازنات التاريخية التي يعقدها في فصول رحلته، ساعيًا إلى وجود نقاط تشابه بين المنطقة المشاهدة، ومنطقة أخرى، أو بين شخصية حاضرة وشخصية تاريخية أخرى

أهمية الرحلة

وعرض ـ من بعد ـ إلى تقديم لمحة تاريخية، كشف فيها النقاب عن مبدأ الرحلة ومنطلقها الزماني والمكاني. ثم رسم إطاراً للأوضاع الدولية التي كانت منتشرة آنذاك، فتركيا كانت في حرب مع روسيا، وفرنسا تقف إلى جانب تركيا في هذه الحرب. وفرنسا تعيش مرحلة الإمبراطورية الثانية (١٨٠٨ ـ ١٨٧٣م) وكان على رأسها نابليون الثالث الذي رفع من شأن فرنسا وبوّأها مكانة دولية مهمة، ومنحها إسهاماً مهماً في توجيه دفة الحياة السياسية في أوربا.

وتأتي أهمية هذه الرحلة من جملة أمور، منها:

- رسم الإطار السياسي والاجتماعي والاقتصادي في النص الثاني من القرن التاسع عشر.
- تقديم معلومات جغرافية ذات عائد طيب.
- تقديم معلومات إثنوجرافية عن المجتمعات البشرية.
- التحليل السلوكي لكثير من الشخصيات التي التقاها «ديدييه».

ثم أبان الدكتور البقاعي عن منهجه في ترجمة الكتاب، وفي ذلك تظهر نظرته إلى مسألة الترجمة؛ فهي مسألة معقدة، وليست مقصورة على النقل من نظام لغوي إلى نظام لغوي آخر؛ لأنّ هذا وحده لا يبين الإمكانات الحقيقية للنص المترجم؛ ومن هنا لا بدّ من أنْ تكون الترجمة تمثُّلاً لثقافة كلا النصّيْن؛ ذلك أن اللغة ـ على حد ما يرى الدكتور البقاعي ـ أشبه ما تكون بالموقع الأثري الذي ينضح بأمور كثيرة: من تاريخ، وعادات، واعتقادات. ومن هنا لابد للمترجم من الغوص وراء الرمز اللغوي، وتحطيم جدر الأحرف والألفاظ، سعيًا إلى الوصول إلى ما أراد صاحب النص أنّ يقوله، لا أنْ يقف عند تخوم الأيقونات اللغوية، ففي الترجمة يستفيق التاريخ، ويستنهض الخيال، وتبرق اللغة، وتتنامى الدلالة، مما يجعل النصّ

نابضًا بالحياة، وينأى به عن السكون والصمت اللذين يصبغان أبا الهول.

وأما القسم الثاني - النص مترجمًا - فهو يتألف من مقدمة الناشر الأول للرحلة بالفرنسية، وتاريخها يعود إلى عام (١٨٥٦م) ص ٣٥ - ٣٦. ومن ثلاثة عشر فصلاً تشكل صلب نصّ الرحلة، وهي: صحراء السويس (ص٣٧)، والسويس (ص٦١)، والطور (ص٧٣)، وجبل سيناء (ص٨٧)، والبحر الأحمر (ص١٣٧)، وجُدَّة (ص١٦٩)، ولوحة نابضة بالحياة (ص١٩٧)، والأشراف والوهابيون (ص٢١٩)، من جُدَّة إلى الطائف (ص٢٩٥)، ومن الطائف إلى جُدَّة (ص٣٣١)، بعض التأملات (ص٣٥٧)، ومغادرة جدَّة (ص٣٦٧).

دقة الوصف

تعتمد هذه الفصول في مجملها على جملة من الأصول التي يشترك فيها شارل ديدييه مع غيره من الرحّالين، وهي: دقة الملاحظة، والوصف، والتقصي بأمانة وصدق، والتفرقة بين المشاهدة والرواية. وتتضافر في مادة هذه الفصول العناصر الأدبية مع عناصر إثنوجرافية، ويراد بالأخيرة «الدراسة الوصفية لأسلوب الحياة الاجتماعية، ومجموعة التقاليد والعادات والقيم، والأدوات والفنون، والمأثورات الشعبية لدى جماعة معينة أو مجتمع معين، خلال فترة معينة؛ لأنها نسق معرفي لدراسة الإنسان طبيعيًا، واجتماعيًا، وحضاريًا».

وتقوم فصول الرحلة على رسم ثلاثة أطر، هي: الإطار الزماني، والإطار المكاني، والإطار الاجتماعي، وهو في كل ذلك يستحضر ما شاء له أن يستحضر من مخزون تاريخي، أو جغرافي، أو ديني، أو نفسي، سعيًا منه إلى تحرّي الدقة والصدق والواقعية في الوصف. يقول مثلاً: «أبحرنا يوم الحادي والعشرين من يناير في الساعة الثانية عشرة..».

«ألقينا المراسي في الساعة الرابعة.. كانت الليلة جميلة صافية..» وفي أثناء الرحلة يعمد إلى الوصف الدقيق للمكان، والإنسان وثقافته، وهو ما يسمى بـ «طبائع البلدان».

كان ديدييه يفرّق بين المشاهدة والرواية، ويلفت نظر القارئ إلى ضرورة التلبث عند ما يقرؤه، وعرضه على محكّ النقد والتدقيق

يقول مثلاً: «... أما المدينة نفسها فلا تكاد تستحق الوصف، شوارعها وأزقتها ضيقة وملتوية، وتعجّ بالغبار، وهي وسخة غالبًا. أما البيوت فسيئة العمارة، لا يهتم أصحابها بترميمها».

وقال في وصف «السنبوك» الذي نقله في البحر الأحمر: «... أراهن واثقًا أنه ومنذ قرون لم يتغيّر أي شيء فيه، وأنّ المراكب والأشرعة والمجاديف هي بالتأكيد نفسها منذ العصور الموغلة في القدم، وأن البحّارة يرسون في المرافئ نفسها، يمارسون العادات نفسها، ولديهم الأحكام المسبقة نفسها، ونذر الشؤم نفسها التي كانت في عهد سكان الكهوف».

ووصف قصر العباسية الذي بناه الخديوي عباس باشا: «والعبّاسية: قصر فخم رهيب، بناه الخديوي عباس باشا على حدود الصحراء ليكون سكنًا. إنّ هذا القصر بالنسبة إلى عباس باشا هو كجزيرة «كابري» بالنسبة إلى «تيبيروس» وعباس ليس إلا نسخة مصغّرة عن «تيبيروس» هو نصف نمر ونصف ضبع، لا يحدّ من وحشيته إلا الخوف... كان هذا الجحر الغامض والمنيع في أثناء حياة الخديوي عباس مسرحًا منيعًا لمفاسد لا تصدّق، ولجرائم لا تغتفر».

ووصف أحد المرافق فقال: «فهناك - غير بعيد على الأرض - حمام طبيعي يحمل اسم بني إسرائيل، حمام سيدنا موسى، وقد تركنا وراءنا عينًا مشهورة تحمل اسمه أيضًا. عيون موسى، وتبدو بيضاء اللون على الشاطئ في وسط أشجار النخيل».

لقد كان ديدييه يعمد إلى وصف الإطار الدقيق لما تقع عليه عينه من مدن، وقرى، وواحات، وكان يصف ما يشاهد من مرافق، وأرباض، ومشاهد. وأريد بالأولى

الأسوار والحصون، والمياه، والمساجد، والحمامات، والمنازل، والشوارع. وأريد بالثانية الأحياء والضواحي. أما الثالثة فتشمل المقابر، وآثار الأنبياء، والعلماء، والصالحين، والمعابد، والكنائس.

ومن أمثلة وصفه المشاهد ما قاله في وصف بركة فرعون: «... وهو اسم يطلقه العرب على مكان هلاكه - هلاك فرعون - ويظنون أنه منذ ذلك مسكون بجان أشرار، لذلك لا يخاطر البحارة بقطع تلك اللجة الضحلة ليلاً، إنهم يفعلون ذلك بصعوبة في وضح النهار، ولا يفعلون إلا بعد أن يصالحوا الأرواح الشريرة بأن يقوموا بممارسات خرافية».

ومن ذلك أيضاً وصفه لشجرة كان الناس يتبركون بها آنذاك فقال: « وناهيك عن حب العرب للأشجار؛ فإنّ هناك بعض الأشجار المباركة التي تلقى معاملة خاصة. إنها الأشجار التي تنبت قرب ضريح أحد الأولياء، أو أي مكان يكرسه الدين أو التطيّر، فهم يحرصون في أثناء مرورهم بهذه الأشجار على تعليق شيء يملكونه لكي يدفعوا عنهم مصائب الدهر...».

وقال في موضع آخر: «وتزعم الحكاية الخرافية أنه كان في القديم دير مسيحيّ في هذه البقعة، وأنّ الأرض ابتلعته في أعماقها، وأننا منذ ذلك الوقت نسمع أصوات النواقيس كل يوم عند العصر.. وإن كان صحيحاً وجود مثل هذه الأصوات المعجزة لم أستطع التحقق من وجودها؛ فإنّ سبب حدوث ذلك قد يكون سيلاً في داخل الأرض، أو بركاناً يتفجر تحت الأرض».

وكان ديدييه يفرّق بين المشاهدة والرواية، ويلفت نظر القارئ إلى ضرورة التلبث عند ما يقرؤه، وعرضه على محكّ النقد والتدقيق. «.. وإن كل ما قلته هنا ترداد لما أخبرت به؛ لأن شيئاً لم يكتب - حسب علمي - بخصوصها، وإنني إذ أقدم للقارئ ما انتهى إلى معرفتي من معلومات؛ فإنني أدعوه إلى أن يأخذها مع الاحتفاظ بحق المراجعة كما فعلت أنا نفسي.. وينبغي أن يسيطر الحس النقدي على أكثر الأقوال تأكيداً لمراقبتها». ص١٤٥.

مظاهر وعي

وتعكس فصول الرحلة عامة مظاهر مختلفة لوعي ديدييه، منها: الوعي التاريخيّ، والوعي الفكري، والوعي اللغوي.

ومن مظاهر وعيه التاريخي - مثلاً - تلك الموازنات التاريخية التي يعقدها في فصول رحلته، ساعياً إلى وجود نقاط تشابه بين المنطقة المشاهدة، ومنطقة أخرى، أو بين شخصية حاضرة وشخصية تاريخية أخرى، مما يؤكد حضور التاريخ في ذهنه ووعيه. وربما اندمج وعيه هذا بوعي سياسي، على نحو ما حصل عن الأهمية التي تتبوّؤها قناة السويس. قال: «إن موقع السويس الهام في قلب خليج على البحر الحمر، جعل منها - منذ أمد بعيد - مركزاً تجارياً مهماً. وكان بطليموس فيلادلف الذي شقّ بين النيل، والبحر الأحمر قناة مازلنا - حتى اليوم - نجد بعض آثارها مدفونة تحت الرمال، وهو ابن وارث الإسكندر الأكبر، قد أطلق على هذه المدينة اسم أخته «أرزينوي» التي كان مشغوفاً بها، وتزوجها حسب تقاليد سلالة البطالمة». ص٦١.

تقوم فصول الرحلة على رسم ثلاثة أطر، هي: الإطار الزماني، والإطار المكاني، والإطار الاجتماعي، ويستحضر ديدييه ما شاء له أن يستحضر من مخزون تاريخي، أو جغرافي، أو ديني، أو نفسي

ومن مظاهر وعيه الفكري ما كان يعرضه من بعض مظاهر الاعتقادات التي كانت سائدة - آنئذٍ - على نحو ما عرض له من حديث عن بركة فرعون التي سبق ذكرها في صفحة متقدِّمة، وتصويره للحكاية الخرافية التي «تزعم» أنّ الأرض ابتلعته في الزمان الغابر؛ فقد رفض التسليم بما روي له شفاهاً، وحاول أن يجد للقضية تفسيراً علمياً ينأى به عن الخرافة والأساطير، حتى إنّ موقفه هذا ليبدو من أوّل

كلمة يصدر بها الفقرة، وأعني بها قوله: «وتزعم»، وهذا يؤكد من جهة أخرى ما سبق أنْ قلناه من تفريقه بين ما يرى وما يسمع، وما كان يدعو إليه من وضع كل شيء على وضم النقد، وإعمال مبضع التدقيق والتمحيص فيه.

ويبدو لي وعيه اللغوي عند تلبّثه عند رأي بعض علماء الاشتقاق الذين وصفهم بالجرأة - وهو بذلك يفصح عن عدم رضاه عن الرأي - فقد قالوا: إنَّ اشتقاق اسم «السويس» إنما هو ناتج من تحريف كلمة Oasis التي تعني «الواحة» في العربية. وقد اعتمد في رفضه هذا الرأي على أمرين، الأول: افتراق الاسم عن المسمَّى. الثاني: القرائن الجغرافية الطبيعية، قال: «فإن كان الأمر كذلك فإنَّ هناك تباعداً بين الاسم والمسمَّى؛ لأن السويس بعيدة عن أن تكون واحة؛ إذْ ليس فيها شجرة واحدة، ولا خيط ماء رفيع، وليس هناك ما هو أكثر قحطاً منها، ولا ما هو أكثر كآبة منها» ص٦٢. وانظر ص ٣١١ عند حديثه عن اشتقاق اسم «الطائف».

أما وعيه الاجتماعي؛ فيبدو من خلال تعرُّضه لمسائل الرق وتجارته، إذْ يأس لما يلاقيه هؤلاء الأرقاء: «... وكان هؤلاء المساكين المربوطون مثنى مثنى على الرحال، وكانوا في ميعة الصبا، ولونهم أسود يتفاوت في شدة السواد، قد جيء بهم من حدود دارفور، ومن الحبشة، وكان التجار الذين يسمّون «الجلاّب» يأتون بهم أولاً إلى جدة عبر سواكن والبحر الأحمر». وانظر مثلاً ص ٤٦، ٥٧، ٢٢٠، ٣٠٢.

وتعكس فصول الرحلة أيضاً قدرة ديدييه على دراسة الشخصية التي يقابلها، وتحليلها. وقد مرَّ بنا قوله عن البَّحارة: «ويمارسون العادات نفسها، ولديهم الأحكام المسبقة نفسها».

وقال في وصف الخديوي عباس باشا: «كان مفرطاً في الريبة، تلاحقه الشكوك الدائمة.. وكان لا يثق بأحد.. كان بالطبع بخيلاً، ولكن أعظم التضحيات لم تكن تعني له شيئاً عندما يتعلق الأمر بتحقيق رغباته التي تسيطر عليه» ص٥٢. والشواهد على ذلك كثيرة متناثرة في صفحات الكتاب.

كان ديدييه يعمد إلى وصف الإطار الدقيق لما تقع عليه عينه من مدن، وقرى، وواحات، وكان يصف ما يشاهد من مرافق، وأرباض، ومشاهد

المصادر والمراجع

أما القسم الثالث من الكتاب؛ فيضم كشّافاً بالمصادر والمراجع التي عاد إليها المترجم في أثناء عمله، وشكلت رافداً مهماً في إضاءات النص. وهي قسمان: الأول للمصادر العربية، والثاني للمصادر الأجنبية.

وقد اتصفت هذه المصادر بالغنى والتنوّع، فهي موزَّعة بين كتب التاريخ، وكتب الرحلات، ومعجمات البلدان والمواضع والأودية، وكتب الجغرافيا، وتلا ذلك كشّاف بالأعلام والأماكن التي وردت في متن الكتاب، مما أضفى على عمله كثيراً من العلمية، والرصانة، والدقة.

وكان للحواشي والتعليقات التي رفد بها الدكتور البقاعي مواضع كثيرة من الكتاب إسهام كبير في الارتقاء بمستوى الترجمة من جهة، وإزالة كثير من الغموض من جهة ثانية، ورفد الرحلة بالإجابة عن كثير من الأسئلة التي يتوقع أن تخطر في ذهن القارئ من جهة ثالثة.

وكان لعلو أسلوب الترجمة، ورشاقة عبارة المترجم، وسلاسة أسلوبه، ونصاعة لغته وطواعيتها إسهام كبير أيضاً في النأي بالكتاب عن جفاف الترجمة وسكونها، مع وعيه أن من يتصدّى لترجمة أي نصّ يجب أن يكون متمثلاً لثقافتي النص المنقول والمنقول إليه، إضافة إلى شدَّة التحرّي للمصادر، وحسن التوثيق، واعترافه بفضل من قدموا له عوناً، أو رفدوه برأي، أو أجابوه عن تساؤل فلم ينس أن يقدم لهم الشكر الجزيل.

قصة علم الكون بين عصور زاهية وقرون مضنية وحاضر حائر

يوسف بن عبدالرحمن الذكير

الرياض - السعودية

ما برح الكون وأسراره تأسر جنان الإنسان، منذ سطر تاريخه في غابر الأزمان.. أقمار ونجوم وكواكب سبت لبه.. وخواسف وكواسف حيرت عقله.. وشهب ونيازك شغلت فكره.. استلاب

حول مقالة قصة علم الكون

في العدد ٣٠٤ من مجلة «الفيصل» شوال ١٤٢٢هـ، وردت مقالة بعنوان «قصة علم الكون» لدي فيها بعض الملاحظات التي ألخصها في الآتي:

إن في المقالة أوهامًا يظن كاتبها أنها من تاريخنا العلمي، ويبدو أنه بحاجة إلى الاطلاع الجيد في هذا المجال، لأن ما كتبه تخيلات أتساءل قبل أن أعرضها: ألا تعرض المجلة ما يرد إليها من مقالات على مراجع أو أكثر من ذوي الاختصاص؟ وإذا لم يعرف المحرر مختصًا في تاريخ العلوم، فلِم لا يعتذر عن نشر المقالات التي لا يتأكد من دقة معلوماتها، فيستريح ويريح؟ هذا إذا افترضنا أنه لا يعرف مختصين في هذا المجال. ونحن نعلم أنه يستطيع أن يجدهم حوله. فالمجلة نفسها نشرت أكثر من مقالة جيدة في تاريخ العلوم لكتّاب من داخل المملكة وخارجها.

ـ ففي الصفحة ٧٣ يقول كاتب المقالة: «أمر الحجاج بن يوسف الثقفي في القرن الأول بترجمة كتاب الأصول لإقليدس، تبعه ترجمة مؤلف بطليموس الشهير في علم الفلك».

وهذا وهم لا يستند إلى أي مرجع معتمد. فعلى الرغم من وجود تعريب للكتب العلمية في العهد الأموي، إلا أن كتابي إقليدس وبطلميوس (وليس بطليموس) لم يعربا بأمر من الحجاج الثقفي. بل لم يعربا إلا في العصر العباسي. ونظرة واحدة إلى كتب تاريخ العلوم مثل كتاب سزكين توضح هذا الكلام. ولعل الخلط عند الكاتب ناتج من أنه قرأ أن الكتابين هما من ترجمة الحجاج بن يوسف بن مطر، وهو مترجم من أهل القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي).

ويقول الكاتب أيضًا: «لعل من ألمع علماء الهيئة (الفلك) الإسلامية وسامًا هما... ابن سينا... والبيروني».

وهنا يضع ابن سينا في القمة مهملاً عددًا من نجوم الفلك العرب. بينما مكانة ابن سينا العالية هي في الطب، وليست في الفلك. ومؤلفاته الفلكية ليس فيها كثير من الأصالة. وكان الأجدر بالكاتب أن يطلع على كتاب في تاريخ الفلك العربي، وهناك كثير مما ألّف في هذا المجال.

ـ ويقول أيضًا: «سكب السبائك الإسلامية في علم الفلك ما اقتصر على المؤلفات النظرية. بل وانحسر فعمر العلوم التطبيقية. الأسطرلاب ودوره في الملاحة..إلخ».

فأول ملاحظة على هذا الكلام هي أن كلمة انحسر غير معبّرة هنا عما يريده الكاتب. فالانحسار يعني الانسحاب والتراجع، بينما الكاتب يقصد الشمول والتوسع. والملاحظة الأخرى هي أن الأسطرلاب من الآلات التي تم اختراعها قبل الإسلام. وورث العرب عنه عدة مؤلفات باليونانية، تم تعريبها في عصر الترجمة. وهذا مدوّن ومسجل في المصادر المختلفة، وأهمها «الفهرست» لابن النديم. صحيح أن للعرب

آلات تم تطويرها بعد الأسطرلاب. ولكن الكاتب لا يتطرق إلى هذا، لأنه حاطب ليل، ينقل عن غيره دون تمحيص.

ـ ويقول الكاتب: «مؤسس المرصد ورائده الفلكي المسلم نصر الدين الطوسي، كان أول من شكك في نظرية بطليموس».

وهنا أكثر من ملاحظة. فأولاً نصير الدين (وليس نصر الدين) الطوسي خائن تحالف مع المغول ضد المسلمين، وترقى في أعلى المراتب لدى هولاكو السفاح. والمرصد الذي يتحدث عنه الكاتب بني من أجل التنجيم للمجرم هولاكو.

وثانياً: الطوسي عاش في القرن التاسع الهجري. بينما الشكوك على بطليموس مدونة منذ القرن الثالث الهجري. وأشهر كتاب في هذا المجال هو «الشكوك على بطليموس» لابن الهيثم، من أهل القرنين الرابع والخامس. وهو مطبوع أكثر من مرة.

ـ وأيضاً يقول الكاتب: «بل إن أقرانه وتلاميذه من أمثال الأزدي والشيرازي..».

وأول ملاحظة على هذه العبارة هي أن المقصود بالأزدي هو العالم الدمشقي مؤيد الدين العرضي. ورد اسمه هكذا Urdi عند «هف Huff»، مؤلف كتاب «فجر العلم الحديث». وقد عرب هذا الكتاب مرتين من قبل الناشر نفسه في الكويت. وفي كلتا المرتين قام بتعريبه «دكتور» من غير المتخصصين بتاريخ العلوم. فنجد المترجم الأول يسمي العالم الدمشقي «الأزدي» كما ورد في المقالة. والمترجم الثاني يسميه «الأردي» (ينسبه إلى اللغة الأردية، وهي لغة حديثة). فتأملوا كيف يكتب الغربيون تاريخنا العلمي، ونحن لا نكلف أنفسنا البحث عن مترجم مختص يعرب كتابهم تعريباً صحيحاً. وقديماً قال المتنبي: «يا أمة ضحكت من جهلها الأمم».

حامد عبدالله المحمدي
جدة

ردود وتعقيبات



أكتب معقباً على موضوع «ثمانية أنواع من الأغذية النباتية تتصدر قائمة الطعام الصحي» المنشور في العدد ٣٠١، وهو بقلم د. مسعد شتيوي الذي يبدو أنه قد بذل جهداً واضحاً لدعم وجهة نظره، التي تمحورت في غالبها حول القيمة الوقائية للنباتات التي ذكرها، وخاصة من السرطانات. ونحن لا نقلل من أهمية الدراسات التي اعتمد عليها، ولكنها دراسات مبنية على الاحتمالات. ثم إن لهذه النباتات قيمة غذائية غير منكرة، وقد أفاض الدكتور صبري القباني في كتابه «الغذاء لا الدواء» في إيراد أهميتها. وسبقه النويري في «نهاية الأرب» إلى هذا الموضوع. على أن محتويات النباتات من الفيتامينات قد تتأثر بطرائق الطهو. أما محتوياتها من المعادن

النادرة، فربما كانت في وضع لا يسمح بامتصاصها. وربما استفدنا كثيراً لو راجعنا أي كتاب يعالج استقلاب هذه المواد.

لقد ساق الكاتب مجموعة من الفيتامينات أو مولداتها، وعنصر السلينيوم كمواد مضادة للأكسدة. وهذا ليس بجديد، إنما الجديد عدّ ذلك ميزة للخضار والفواكه على الأطعمة من منشأ حيواني، والمحفوظة، لأن النيتروزامين مسرطن، بل مطفر وماسخ أيضاً. إلاّ أن وجوده ممكن فقط في ظروف استخدام النايترايت كحافظ، والتي تتفاعل مع بعض الأمينات في ظروف ما لتشكل النيتروزامين، ولكن اللوائح تمنع مثل هذه التجاوزات.

وقد تختزل النترات إلى نايترايت؛ في ظروف معروفة. نذكر على سبيل المثال، إذا خزنت السبانخ المعالجة أو غير المعالجة في ظروف تسمح لنمو المكروبات التي تختزل النترات إلى نايترايت، وأما النترات بحد ذاتها فتوجد في النباتات، وتكثر في الخضراوات، وفي حدود قد تصل في بعض العينات إلى ٣٠٠٠ جزء بالمليون. والسبانخ، والملفوف، والخس، واللفت والسلجم، والفجل والكرفس والباذنجان غنية جداً بها. بينما يسمح القانون في الولايات المتحدة باستخدام هذه المادة لمعالجة اللحوم بحدود ٣ أوقيات لكل ١٠٠ رطل لحماً، أي بمعدلات أقل من معدلات وجودها في الطبيعة. وهي موجودة في الفواكه، ولكن بنسب أقل من وجودها في الخضراوات. فاستهلاكنا منها عن طريق المواد النباتية أكثر بكثير من استهلاكنا لها عن طريق اللحوم.

ثم ذكر الكاتب الهرمونات. ولعله قصد مواد تشبه الهرمونات، فالهرمونات لا تنتج إلا في جسم الإنسان والحيوان، وفي الغدد الصماء. إلا أن تكون هذه الأغذية النباتية قد تعرضت لأثر المنشطات الهرمونية فتعلقها، كما يعلق اللحم MSD الذي كان يضاف إلى أغذية العجول لتسمينها، وقد منع هذا حديثاً.

وينسب الكاتب، استناداً إلى بعض الباحثين للأغذية النباتية الفضل الأول في تلافي إمكان الإصابة «بالأمراض الصعبة» المعقدة، وهم يجدون في التغذية باللحوم والمنتجات الحيوانية كثيراً من الأذى، وهم جميعاً يتبنون مدرسة النباتيين من البوذيين والهنود. ونحن لا ننكر إطلاقاً القيمة الغذائية للأطعمة المشتقة من أصل نباتي، إلا أن إجماع علماء الأغذية يوصي بضرورة عمل توازن تام بين المكونات الأساسية؛ ولذلك ظهر مفهوم الأهرامات الغذائية. ولحسن الحظ، أن ينشر د. عدنان قشلان في عدد العربي رقم ٥١٥، موضوعاً في هذا المعنى بعنوان «النباتيون.. معتقدات وحقائق».

فالفول مثلاً، وهو لحم الفقراء، فقير في بعض الأحماض الأمينية الأساسية والدسم، لذلك غالباً ما تدعم الوجبة بالجبن والزيت والبصل، ولو صح أنه يقي من سرطان القولون، لظهر ذلك في مصر، حيث يعدّ وجبة أساسية. ويزيد القباني من فوائد استخدام أزهاره والقرون الخضراء في مكافحة الرمال البولية. ولكن علينا أن نحذر «التفول» عند بعض المصابين بالحساسية. وهنا لابد من تأكيد أن النسب التي ذكرها الكاتب ٤٠٪ بروتين، ذكر القباني أنها ١٧٪، ولعل هذا تحدث عن فول يابس، وذلك تحدث عن فول أخضر.

إن المعادن الموجودة في النباتات ضرورية للجسم، ولكن امتصاصها قد يتأثر بوجود مقاهيات أخرى، فالخبز، بسبب احتوائه على بعض الأمينات، يعيق امتصاص الكلس، والحديد، كما يذكر كتاب دافوسون «مبادئ الطب الباطني» موجود في السبانخ، ولكن على هيئة حديديك غير قابل للامتصاص.

زد على ذلك، أن بعض المواد ذات الأصول النباتية لا تتوافر طوال أيام السنة إلا إذا حفظت بإحدى طرائق الحفظ الحديثة التي قد تؤثر في محتوياتها.

أرجو أن أكون أضفت شيئاً جديداً والله المستعان.

محمود عبدالعزيز الزعبي
ص.ب ٢٨٤
إربد - الأردن

آراء أحمد أمين التربوية من خلال كتاب «حياتي»

محمد الشلياح
طنجة - المغرب

قد يتسرب إلى أذهاننا ونحن نقرأ لأحمد أمين (١٨٨٦ - ١٩٥٤م) سلسلته الإسلامية (١)، أو باقي كتبه التي ألفها في الحديث عن وحي الخاطر، أو أعلام الإسلام وزعمائه في المشرق والمغرب من عالمنا العربي الإسلامي، أو عندما يحاورنا في الفلسفة والأخلاق والآداب بجميع فروعها.. أنه لم يؤلف لنا كتابًا في التربية بمفهومها الاصطلاحي، ونتساءل: ألم يكن ميالاً إلى هذا الميدان الحيوي مع أنه يعدّ مربيًا لأجيال بكاملها؟! أو مثل هذا الموضوع كان إذاك ليس له قراؤه ومحبوه، أو أن الوقت لم يسمح بعد لفتح هذا الباب أمام قراء العربية عصر ذاك لينهلوا منه، ويعطوا رأيهم فيه؛ ليصبح خصبًا، كما كان الشأن بالنسبة إلى النقد الأدبي والحوار الاجتماعي عند رواد النهضة الحديثة. وهل يحق لنا أن نطالب رجلاً كأحمد أمين بأن يحدثنا في موضوعنا بلغة مباشرة؟ ألم تكف الإشارة والتضمين لآرائه بين السطور التي كتبها، وهي طويلة وعريضة يصعب حصرها؟

فالذي أرومه من هذه التساؤلات وما يشبهها هو أن رجال التربية وزعماءها لم يكونوا كلهم من مؤلفي كتب التربية العامة أو الخاصة، ومحرري مقالاتها، ومحللي ظواهرها، بل قد نستنبط من كتب الفكر والأدب والحديث والتشريع والخطب السياسية والدينية، والأقوال المأثورة.. نظريات تربوية قد لا نعثر عليها في الكتب المتخصصة. وليس من السهل، بل من الإمكان، الإحاطة بهذا الموضوع أو التقرب منه مهما حاول الباحثون القيام بهذه المهمة الشاقة، فيكفي أن نعلم أن كل إنسان يعيش في وسط معين فهو مرب بعد أن تصبح تجاربه ناضجة، لكن تبقى أهمية هذه الأفكار منحصرة في حدود آفاق الثقافة والاطلاع والاحتكاك بالحياة، واتساع أو ضيق هذا الاحتكاك، وذلك الاتصال. وهنا تكمن الفروق في نقل النظريات والآراء، ولا ينحصر هذا الأمر في التربية، وإنما يتعداها إلى ميادين أخرى لها صلة بحياة الإنسان



أحمد أمين

ومقوماته وخصائصه الفكرية والعقلية والثقافية.. ومن هنا يصح القول: إن مؤلفات أحمد أمين كلها تربوية إذا أمعنا النظر فيها، لكن من أقربها إلى مجالنا ما يقوله وهو يتحدث عن نفسه وحياته وشعوره ومقوماته، في حياته الخاصة التي هي في الحين نفسه حياة اجتماعية بكل ما للكلمة من معنى(٢). وهذا ما نجده في كتابه الصغير «حياتي» وهو صغير من حيث الحجم الظاهر، ولكنه كبير جدًا من داخله، فهو أوسع من مؤلفاته ومن كل كلماته التي كتبها أو نطق بها بعد أن صار مسؤولاً واعيًا بما بداخله أو حوله، وهذا ما سنحاول التقرب منه عن طريق سطور قليلة من هذا المؤلف، أو عبارات موزعة داخل الكتاب توزيعًا عشوائيًا(٣). ولاشك أنه مما يشترط في العينة أن تكون على هذا الشكل، وإن كانت قيمتها العلمية تبقى نسبية، كما هو الأمر في أي بحث يندرج تحت العلوم الإنسانية، بل ربما في غيرها

من الموضوعات العلمية البحت. وهذا أمر لابد من الإشارة إليه في بداية هذه الدراسة حتى نكون على علم بمحيط الموضوع وحدوده من حيث الصحة والدقة كذلك.

كتاب «حياتي» وكيفية البحث عن دلالات تربوية فيه

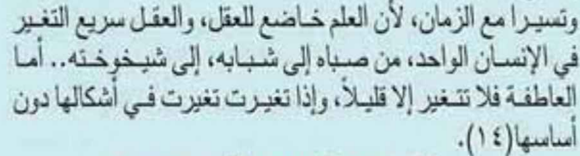
لا أريد أن أخوض في موضوع حياة أحمد أمين عن طريق ما قيل عنه وهو طفل يتربى داخل أسرة محافظة، أو ملتزمة مبادئ الدين الإسلامي وأخلاقه السمحة، أو أنه كان محباً للقراءة إلى درجة النهم، أو ذا عزيمة قوية قادرة على تحقيق ما قد يستحيل على كثير من الناس، في مجال العلم والجاه، فالحديث في مثل هذا الموضوع يعتمد - كما هو معروف - على النقل - في معظمه - لأننا لم ننشأ معه داخل بيت واحد وتحت سقف يجمعنا به في جميع الأوقات أو في غالبيتها لنقول عن الشخصية ما رأيناه ولامسناه في سلوكها وتصرفاتها ونمط حياتها.. لكن ما نريد أن نتعرفه هو من خلال ما كتبه وقاله عن نفسه، وقد بلغ من النضج درجة تستحق التقدير والإعجاب وتطلب منا أن نضع فيه ثقتنا الكاملة حتى نستفيد ونفيد كقراء؛ لأنه كما قيل: «القارئ منتج للنص لا محض متلق سلبي خاضع لسلطته»(٤). ولسنا مع من قال: «تقطعت علاقة المؤلف بالنص، أو بتعبير آخر، علاقة النص بصاحبه، بسيرته وأخباره، ونفسيته، وثقافته، وعلاقته بعصره»، وحلت محل ذلك سلطة النص Rolan Barthe(٥) إذ يصعب إخضاع ما هو إنساني محض لمقاييس علمية دقيقة وثابتة، فهذا أمر بعيد المنال. فالإنسان في جوهره أكبر من أي نظرية علمية. وإلا لما كان التطور المستمر من السمات التي تميزه من باقي الكائنات(٦)، من ثمة يكون الكتاب صورة (مقربة) لصاحبه، يعكس لنا آراءه وحياته الفكرية والثقافية والاجتماعية بصدق، وهو ما أكده الكاتب نفسه بأوضح العبارات(٧)، فتكون مهمتنا - معشر القراء - في البحث عما يأتي به الكاتب من دلالات تربوية بين السطور، وقد تختلف هذه المهمة وتتنوع حسب تنوع الأهداف والغايات. وقد أشار الدكتور عبدالعزيز عتيق في مستهل تقديمه للكتاب إلى ما يصب في هذا الاتجاه، وهو أهمية كتاب حياتي الذي أعطانا فيه الأستاذ أحمد أمين، وبقلمه، ترجمة لحياته الخاصة والعامة بكل أبعادها..

وتجدر الإشارة إلى أن كتاب «حياتي» خير مرجع لمن يدرس الأستاذ أحمد أمين بوصفه رائداً من رواد الإصلاح والحركة الفكرية العربية الحديثة(٨). ونحن نسأل بدورنا: ألم تراود الأستاذ أحمد أمين فكرة التربية وهو من رواد الإصلاح ومن المفكرين؟ ألم يكن الإمام محمد عبده (ت: ١٩٠٥م) رائداً من رواد الإصلاح والحركة الفكرية الحديثة في عالمنا العربي الإسلامي، ولكنه، على ذلك كان مربياً وأستاذاً للأجيال التي جاءت بعده في المشرق والمغرب دون الإفصاح عن ذلك (فيما أعلم) في مقالة من المقالات التي حررها في مجال الدعوة إلى التربية والإصلاح (٩). وإنما ضمن ذلك كلامه وهو يتحدث عن قضية فكرية أو دينية أو وطنية أو قومية.. تحتاج إلى علاج وتحليل لتُقدم للقارئ في حلة جديدة يسهل تناولها وهضمها، لتتحول بذلك إلى غذاء للعقل والفكر.

وعلى هذا النهج سار أحمد أمين وما سوف نتعرض له من أقوال تندرج في هذا السياق، تكوّن في الواقع، عينة تمّ اختيارها من وسط بحر زاخر بالتوجيهات المفيدة لمن أراد أن يتعلم كيفية التعامل مع قضايا الحياة، ومواجهة الصعوبات التي تعد سمة لحياة ذوي العزائم القوية والإرادة الصلبة التي لا تكلُّ ولا تني. ولسنا في حاجة إلى القول: إن الكتاب سيرة ذاتية، فلم يترك صاحبه أدنى شك في ذلك، ولم يدع لنا ما نقوله في الموضوع.

إن من أبرز ما يشجع المرء على قراءة «حياتي» كونه يجول بنا في آفاق معرفية متعددة تتلاءم وأذواق عدة أصناف من الناس، تربوا في بيئات قد تبتعد بعضها عن بعض في مستوى العيش وبناء الأسرة. فقد يجد الكل مبتغاه دون أن ينفصل الكاتب عن الموضوع، ومن غير أن يعزل هذا التوجه عن ذاك.. فلننظر كيف يمزج في أول فقرة بين الفلسفة والعلم - وهو يتحدث عن نفسه - مزجاً تاماً، لأن الإنسان المخاطب هو الفيلسوف، وهو العالم أيضاً، فعقله يستوعب ما هو صادر عنه. أو قد يصدر إذا تهيأت له الظروف، وتوافرت له الشروط، وتحرك العقل في هذا الاتجاه ليصير بعد ذلك منتجاً ومستهلكاً في الوقت نفسه لما هو كامن في أغواره - في الأصل - يقول: «ما أنا إلا نتيجة حتمية لكل ما مرّ عليّ وعلى آبائي من أحداث، فالمادة لا تنعدم، وكذلك المعاني، قد يموت الطير وتموت الحشرات والهوام، ولكنها تتحلل في تراب الأرض فيتغذى بها النبات والأشجار، وقد يتحول النبات والأشجار إلى فحم، ويتحول الفحم إلى نار» (١٠). فمهما يكن فكرك فإنه قابل لما يعرض عليه، بل يطلب المزيد، لأن الكاتب يتحدث عن الحياة العادية في الكون، يلمسها الإنسان في نفسه ومن حوله كصورة تلازمه ولا تغيب عنه لحظة، فهي مغروسة في شعوره، إذ لا يستطيع أي إنسان الهروب مما هو واقع. وينتقل الكاتب من المادة إلى العواطف والمشاعر والأفكار والأخيلة، ويسير في هذا الاتجاه منطلقاً من اللحظات الأولى التي ولد فيها وخرج إلى عالم الحياة، فهذه المعاني والكيفية التي تعرض لها إشارة إلى منهجية الكتابة دون أن يعلن أحمد أمين أنه سوف يقدم لنا درساً من هذا النوع، ولكن ليس هذا ما نقصد إليه، فقد يطول بنا الحال إذا اتجهنا على هذا النحو، ولكن نريد أن نختار أقوالاً لا تتضمن صياغتها الفكرية واللغوية معاني تربوية تحيلنا بالفعل على أفكار في التربية بأشكالها القريبة والمتوسطة والبعيدة - أحياناً - وقد صدق الأستاذ العقاد عندما قال: «وواضح أن كتّاب التراجم لا يقصدون بها إلى الخوض في مباحث الفكر ومعضلات العلم والدراسة، ولكن الكاتب تعوّد النظر إلى مسائل العلم والحياة،

ويفتح لك في كل ما يكتبه أبوابًا للنظر فيها والتعقيب عليها، سواء أراد ذلك أم لم يرده، وقد فتح مؤلف «حياتي» كثيراً من هذه الأبواب في شؤون التربية والأدب والاجتماع»(١١). كما كان صادقًا في مخاطبة كاتبنا بالعالم الأديب الجليل الدكتور أحمد أمين بك (١٢). فقد جمع أحمد أمين في كتابه بين العلم والأدب، فقد كان مؤمنًا بوجود هذا النوع من الكتابة، ولم يطلق عليه العقاد «العالم الأديب» عبثًا دون بحث أو تفكير فيما يطلقه، ولكن من عادته التأمل والتريث قبل أن يصدر حكمًا. فكتاب «حياتي» الذي هو موضوعنا جمع في كل أجزائه هاتين الخصلتين، وذلك عن قصد وشعور ووعي منه، ليكون الكتاب معداً - شكلاً ومضموناً - لصنف كبير من القراء: ذوي الذوق الأدبي، وأصحاب الاتجاه العلمي الذين يفضلون الخطاب المباشر والكلمة المقنعة، وقد أفصح الكاتب نفسه عن هذه الفكرة وهذا الاتجاه في كتابه «النقد الأدبي» عندما كان يتحدث عن عناصر الأدب فقال: «وكتب التاريخ قد تعدّ أدباً وقد لا تعدّ، فإذا كان كتاب التاريخ لا يشتمل إلا على حقائق مجردة من العواطف، ومستندة فقط إلى الحقائق والوثائق والإحصاء لم يعدّ أدبًا، أما إذا مزج فيه المؤرخ حقائقه بعواطفه، وضحك أحيانًا وبكى أحيانًا، وأتبع الحادثة برأيه فيها، وأكمل بخياله ما نقص، وبعث عند القارئ ما حمسه أو خذله، كان أدباً بمقدار ما فيه من عاطفة»(١٣). ويبدو أنه يدرك أسباب الخلود التي تميز العواطف من النظريات العلمية، لذلك قصد من وراء كتابه الخلود، إدراكًا منه لأهمية الجمع بين العواطف والحقائق العقلية، لتتعانقا وتسيرا مع الزمان، لأن العلم خاضع للعقل، والعقل سريع التغير في الإنسان الواحد، من صباه إلى شبابه، إلى شيخوخته.. أما العاطفة فلا تتغير إلا قليلاً، وإذا تغيرت تغيرت في أشكالها دون أساسها(١٤).



أثر البيت في التربية والتوجيه

من شبه المُسلّم به عند رجال التربية أو علمائها، منذ العصور الأولى، أن للبيت دوراً أساسيًا في تربية النشء، وأن هذه التربية الأولى يكون لها تأثير قوي في نفسيته وعقله وشعوره، فإذا كان الأساس قويًا فليس هناك ما يقدر على زعزعة النفس والانحراف بها عما تلقته من مبادئ في مرحلة الطفولة، إذ «أثمن تربية هي تربية المراحل الأولى من النمو، ذلك أن من الواجب أن يكون أساس البناء متينًا. والفضيلة النفسية - كما يقول بستالوتزي Pestalozzi - التي كونت عن طريق الرابطة العائلية، هي ينبوع ثرّ للحكمة والقوة، يسقي بورده سائر الروابط الاجتماعية»(١٥). ولكن «إذا لم يكن لدى العائلة وعي كامل دقيق لواجباتها، وإذا لم تكن في وضع يسمح لها بوفائها، تعرض كل شيء للخطر القتال»(١٦).

إن دعوة أحمد أمين في هذا المجال صريحة، فلننصت إليها بإمعان، لأنها وردت في أسلوب متين مفعم بالإيمان القوي والاعتزاز بأخلاق الإسلام، واتخاذ الأسلاف مناراً للأخلاف، وما أحوجنا إلى مثل هذا السلوك! فعندنا في تاريخنا العربي الإسلامي ما يعجز الإنسان عن وصفه أو الإحاطة به، ولو تمسكنا به لكان لنا شأن عظيم بين الأمم الراقية اليوم، ولَفُزْنا عليها بالرقيين معاً: الرقي الروحي الأخلاقي، والرقي المادي العلمي، فهذه الأسس متوافرة عندنا في تراثنا وحضارتنا، فالبيت هو أول مدرسة نتعلم فيها الإيمان والصدق، واستعمال العقل وتقويم الأشياء، وتمييز الصالح منها وغير الصالح، إذ كيف يتسنى لأمة أن ترقى وبيوتها مخربة بفقدان ما ينسبها إلى هويتها الحقيقية؟ يقول أحمد أمين: «كان هذا البيت أهم مدرسة تكونت فيها عناصر جسمي وخلقي وروحي، فإذا تغيرت بالنمو والذبول وبالقوة والضعف فمسائل عارضة على الأصل»(١٧). ولا ريب أن الكاتب كان واعيًا لما يقوله، فهو يكتب ليفيد، وهذا مبدؤه، ولأنه لا يقول إلا الصدق، كذا نكون نحن مدعوين عنده لالتزام تربية الأسرة الصالحة، وإزالة الخلاف بين الأب والأم حتى يتربى الطفل في حضن البيت الهادئ، وتنعكس آثاره على الشخصية عندما يصبح الفرد مسؤولاً أمام نفسه وأسرته، فهو يركز في أن البيت مدرسة (بداية ٣ و ٤).



محمد عبده

ولكن هل كانت الفكرة جديدة على الناس قبل أن يصرح بها صاحب كتاب «حياتي» الأمر لا يهم، فلا يوجد شيء من لا شيء، فقد تتعرض الأمة للإفلاس، ويلحقها الإهمال والكسل، هذه سنة الكون، وقد دار كل من الشعر والنثر في هذا المدار، وتغنى الشعراء بالأم لكونها أول مدرسة(١٨)، ولكون الأخلاق هي سر بقاء الأمم واستمرارها.. «فإن هُمُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا»

هذا كثير، لكن الهدف عندنا الآن هو إظهار مواقف أحمد أمين، والغاية التي سجل من أجلها مراحل حياته بدقة وتمعن، وبصياغة يستوعبها القارئ لكتابه، فإذا حدث التركيز أو تأكيد فكرة أو ظاهرة من الظواهر، فلا شك أنها ستثير الانتباه إليها، وتعيد قاعدة تتبع عند الناس، أو يلتفت إليها - على الأقل - وهذه هي التربية في عمقها، فبهذا التقديم والتفصيل لنموذج حي يكون الواقع أفضل من تقديم نظرية أو فكرة مجردة، فعندما نعرف من هو أحمد أمين بين رواد الفكر والأدب والعلم، فسوف نتساءل عن الأسباب التي تعلق بها وبلغ من خلالها إلى ما بلغه بين أفراد مجتمعه وجيله، حينئذ سنجده يقول لنا: «إن كل خصائص البيت التي ذكرتها (وهي

الاستقامة والتمسك بالدين) انعكست في طبيعتي، وكونت أهم مميزات شخصيتي»(١٩).

ومن الطبيعي أن الكاتب لم يأت بهذه الأفكار دون أن يكون لها رصيد في مدخراته الثقافية والعلمية، فقد صدرت هذه الأقوال عن شخصية وهي في قمة نضجها، وأجل وعيها، فهناك مخزون ثقافي وفكري يحيلنا عليه الكاتب - ضمنيا - مما يعطي لأفكاره أهمية خاصة قد لا نعطيها ونحن نقرأ الفكرة في كتاب متخصص في هذا المجال، لأن صاحب الفكرة في هذه الحال يحكي لنا عن الغير، أو يرتب لنا معلومات تتعلق بالبيت وأثره في الطفل في أي مجتمع كان، فهنا الأمر يختلف عنه ونحن نقرأ في «حياتي» فالكاتب وهو يقول: «فإن رأيت مني إفراطاً في جانب الجد، وتفريطاً معيناً في جانب المرح، أو رأيت صبراً على العمل، وجلداً في تحمل المشاق»(٢٠) نحس أنه يخاطبنا ويحاورنا ويقربنا منه، من شعوره وإيمانه وروحه، ويستعرض معنا ما اتصف به من صفات بعد غربلتها وتمييز ما هو حسن منها، وما هو في حاجة إلى تقويم اعوجاجه، أو النقص من حدته (التفريط والإفراط)، فالجد والمرح لازمان لحياة الإنسان، ولا حياة من دونهما، لكن لابد من خلق توازن بين هذين الطرفين الأساسيين، فإن كنت أباً أو أماً فكن حذراً حتى لا تدفع بأبنائك إلى الإفراط أو التفريط، لأن ما يعيش مع الإنسان من خصال، يكون صدى لتعاليم البيت ومبادئه. وعندما أتى إلى صفة الصبر على العمل، والجلد على تحمل المشاق، لم ينقص من ذلك شيئاً، أي لم يلتمس من أن نقلل من الصبر ومواجهة الصعاب إذ الحياة قائمة على مثل هذه الأسس، ولا حياة من دونها كذلك، ثم لا سعادة في الآخرة مع فقدانها، وهذا معناه بعبارة العصر، أن التنشئة الاجتماعية هي التي تعرض وجودها على الأفراد داخل مجتمع معين(٢١)،، وتنعكس آثارها عليهم، ومن أشدها تأثير الأسرة عندما يكون الطفل صفحة بيضاء تصنع منه ما نشاء، فإذا أطبع على شيء في مراحله الأولى (أي مراحل حياته) فإنه يصبح من الصعب اقتلاعه عنه، وذلك ما تقرره الدراسات العلمية حول الطفل، والشريعة الإسلامية(٢٢). وهو ما يؤكده الكاتب بحجة الحياة والواقع، يقول: «وأنصت إلى من ينصحني بالابتهاج والمرح، وتعاقبت أمام ناظري أنواع الحياة المختلفة، والمظاهر المتباينة، ولكن تسرب بعض هذه الأشياء إلى عقلي الواعي كان على السطح لا في الصميم»(٢٣). وتظهر واقعية أحمد أمين فيما يكتبه عن نفسه، ويتجلى صدقه فيما يقوله عندما يأتي من المجتمع بمن يخالف هذه القاعدة أو هذا السلوك الذي يكون نتاجاً طبيباً لما غرسته الأسرة الطيبة في نفسه، فهناك من يشبهه في هذا النمط من العيش، وتربى تربية مماثلة وسط أسرة متدينة محافظة، ولكنه لم يلتزم ما أمدته به طبيعة حياته وهو طفل أو يافع فانحرف عن جادته وأصبح مغايراً للبيئة التي نشأ فيها، فهذه حالات ليست لها علة واحدة يمكن إرجاعها إليها، كأن تكون شخصية الأب قوية أو ضعيفة، أو أن ذلك يعود إلى البيئة أو أسباب أخرى، سنة الحياة هي هكذا، لكن إذا خاض الشخص المعركة بكل قوة وعزيمة، وكان واثقاً من صحة ما يقوم به، ومؤمناً بأن العلاقة قوية بين السلوك والنتائج التي يجنيها الإنسان نتيجة ذلك فلابد أن يصل إلى مبتغاه، وهذا الإيمان به تقوى الأفراد، وتصل الأمم والشعوب عن طريقه إلى الرقي وشرف العيش(٢٤). «وعلى كل حال. فالبيت يبذر البذور الأولى للحياة ويتركها للتربة التي تعيش فيها، والجو الذي يعاكسها أو ينميها حتى تعيش عيشتها المقدورة لها، وفقاً لنظام الكون وقوانينه»(٢٥)، لا نلاحظ ونحن نقرأ للكاتب ما يحكيه لنا أي أثر للمبالغة أو الخروج عن إطار الواقع المقنع فهو يقدم لنا الفكرة ويعقب عليها بما يفسرها أو بما يجيب عن تساؤلات قد يطرحها القارئ، وهذه خاصية تميز أحمد أمين في كل ما كتبه، وهو ما يعرف بالأسلوب العلمي المتأدب(٢٦).

الحي مدرسة لها اعتبارها

ينادي علماء التربية والاجتماع بالعمل على الرفع من مستوى الحياة الاجتماعية، اقتصادياً وسياسياً وثقافياً حتى يتربى الطفل في وسط سليم فينعكس ذلك على طريقة معاملاته لأصدقائه والناس - بشكل عام - الذين هم من حوله، أو تربطه بهم علاقة الجوار والزمالة في الحي والمدرسة والقسم. ولم يهمل علماء التربية هذا الجانب المهم في تربية الأطفال، وتنمية عقولهم، وتكوين قدراتهم على فهم الأشياء واستيعابها، ومعرفة الأهداف أو الغايات من إيجادها، والحدود المطلوب التزامها في استعمالاتها والاستفادة منها. ويعد اللعب من الأنشطة المهمة التي يمكن عن طريقها تحقيق ما لا يمكن أن تحققه الدروس بوسائلها العادية (الأدوات والطرائق والوسائل)، واللعب بالنسبة إلى الأطفال، سواء داخل البيت أم خارجه، يشكل الحياة الأولى للعقل عندهم. والتدرب على ما سوف يواجهه الأفراد في مسيرة حياتهم وعلاقاتهم مع الناس، «فالمجتمع يأتي إلى الطفل عن طريق طابع الإلزام الذي يرافق العمل المدرسي، والطفل يذهب إلى المجتمع عن طريق اللعب الجماعي المشترك»(٢٧). وهذا الأمر دفع أحمد أمين إلى القول: «وكانت المدرسة الثانية هي حارتي، فقد لعبت مع أبنائها وتعلمت منهم مبادئ السلوك، وتبادلت معهم عواطف الحب والكره والعطف والانتقام، وانطبعت في ذهني أول صورة للحياة المصرية»(٢٨). ثم يتابع تفصيل هذا النشاط الذي لا يحتاج إلى معلم يكلف تعليمه، فهو الدرس الحقيقي الواقعي الذي يكون فيه التلميذ هو المعلم والمتعلم في الوقت نفسه، وما أحسن الطريقة التي يكون فيها المتعلم هو سيد الميدان، وما أسرع التعلم بها، وما أرقى المردودية الناتجة منها، ومن ثمة كان إصلاح الحي هو إصلاح للفرد الذي يعيش في هذا الحي، وقد أشار إلى ذلك الأستاذ محمود العقاد وهو يتحدث عن الشاعر الذي يصف زهرة ويحببها للناس، فإن ذلك يربي في الإنسان حب الجمال والتنظيم

والنظافة، وحب الطبيعة واحترامها والمحافظة عليها.

ويقول: «وهات لنا الشاعر الذي ينظم لنا قصيدة يحبب بها الزهرة إلى المصريين، وأنا الزعيم لك بأكبر المنافع الوطنية وأصدق النهضات، فإن أمة تحب الحدائق تحب التنظيم والتنسيق، وتحب النظافة والجمال، وتحب العمارة والإصلاح، ولا تطيق أن تعيش في الفاقة والجهل والصغار»(٢٩). وتقول الأستاذة فيولا الببلاوي: «والطفل لاينمو من تلقاء نفسه، فهو يتشكل ويتغير ويرتقي كشخصية سوية بقدر ما توفر له في الوسط الإنساني الاجتماعي الذي يعيش فيه من عوامل التربية ومقوماتها، بل إننا نستطيع بتربية رشيدة أن نشكل هذا الكائن الحي بمواصفات تجسد الجوهر الحقيقي للإنسان». وإن من أبرز المقومات التربوية في سنوات الطفولة خاصة اللعب، كنشاط مميز لحياة الأطفال، وهي مقومات لا نكاد ندركها بوعي، ولا نعطيها قدرها الذي تستحقه في تربية الطفل.. فالدراسات والبحوث الكثيرة والمتنوعة تؤكد أن اللعب هو مدخل وظيفي لعالم الطفولة، ووسيط تربوي فعال لتشكيل شخصية الفرد في سنوات طفولته.. وهي تلك الفترة التكوينية التي تجمع نظريات علم النفس على أهميتها الحاسمة كركيزة أساسية للبناء النفسي للفرد في مراحل نموه المتعاقبة(٣٠). ثم يصل أحمد أمين إلى القول: «كل ذلك كان دروساً عملية وتجارب قيمة لا يستهان بها. فإذا أنا قارنت بين نفسي في تجاربي هذه التي استفدتها من حياتي وأولادي في مثل سني التي أتحدث عنها، وآخرين قد ربوا تربية أخرى، فلا جيران يعرفون، ولا بأهل حارة يتصلون، ولا مثل هذه العلاقات التي ذكرت يشاهدون، أدركت الفرق الكبير بين تربيتي وتربيتهم، وكثرة تجاربنا وقلة تجاربهم، ومعجم لغتنا ومعجم لغتهم، ومعرفتنا بصميم شعبنا وجهلهم»(٣١).

إن الكاتب لم يستعرض هذه الاستنتاجات عبثاً، فإفادة غيره بحياته هي أساس الكتابة، وانطلاقاً من هذا الاعتبار يتكون لدينا يقين بأنه يكشف عن جوانب تربوية مهمة يجب أن نعيد فيها النظر، ونحافظ على وجودها حتى تتوثق الصلة بيننا وبين تاريخنا وتراثنا ومقومات شخصيتنا. وهو يشير إلى أسس تربوية تؤدي أدواراً فعالة في إكساب الطفل تجارب الحياة وروح المواطنة، والهدف -كما أشرنا- هو أن نستفيد مما منحته لنا التجارب، وما يقدمه لنا الواقع الذي نعيش وسطه ونحن نربي في البيت والمدرسة أو نخطط للتربية والتعليم.

الكُتّاب مرحلة أساسية في تربية النشء

يوجه أحمد أمين إلى الكتّاب في الماضي انتقادات حادة لأنه لا يليق بقواعد التربية الناجحة، ولا يتلاءم مع ما تتطلبه مرحلة الطفولة من رقابة تشمل جميع النواحي: مستوى الدرس وهيئة المدرس، والفصل الذي تقدم فيه الدروس، والساعات الملائمة لسن الأطفال.. ويجب أن تراعى في هذا الفهم المرحلة التاريخية، والوضعية الاجتماعية، وما بلغته التربية من تطورات، وعرفته من تعثر في مجالات آنذاك، ولكنه مع ذلك يعود بنا إلى المقارنة بين ماضيه وحاضره، وكيف أصبحت الكتاتيب رياضاً يشتهي الأطفال الالتحاق بها، لأنهم يجدون فيها المتعة والراحة لما شملته برامجها من أنشطة وضعت على أساس أن تقدم للأطفال في مرحلة معينة من النمو العقلي والنفسي والوجداني والجسمي والحركي، ومع ذلك فهو يدعو إلى ضرورة خلق التوازن والتزام الحذر فيما تقع فيه من إفراط وتفريط، أي إننا دائماً في حاجة إلى نسبة من الحزم لضبط النشء دون إفراط حتى لا ينعكس ذلك سلبياً على عقل الطفل وصحته



العقاد

النفسية، ويركز على عنصر اللعب الذي هو المحرك الديناميكي لطاقاته ومشاعره وتنمية مهاراته، يقول: «فأين ذلك مما نحن فيه الآن؟ الأطفال في مثل طبقتي، إنهم يذهبون إلى رياض الأطفال فتعلمهم سيدات مهذبات أو آنسات ظريفات يعملن على أحدث طراز من البداجوجيا Bidagogique ويدرجن بهم من اللعب إلى القراءة، ويتحايلن على تشويق الطفل إلى الألف والباء، ويقلبن ما كنا فيه من عيش جاف إلى حلوى، أكثر أوقات النهار مرح ولعب. ودروس كأنها لعب، ولكن على كل حال أخشى أن نكون أفرطنا أيامي في الخشونة، وأفرطنا أيام أبنائي في النعومة. والحياة ليست جداً محضاً، ولا هزلاً محضاً، ولا نعيماً محضاً، ولا شقاء محضاً.. وخير أصناف التعليم ما صور صنوف الحياة»(٣٢).



فنحن نلاحظ أن الكاتب لم يبق منحصراً في إطار الحديث عن حياته الخاصة، ولكنه يتجول بنا في مناح أخرى لها علاقة بما هو بصدد الحديث عنه، فلا يضن علينا بما يراه مفيداً، فكأنه يتصيد الفرص لطرح قضايا تاريخية واجتماعية وثقافية وتربوية، ولكن الذي يهمنا هنا هو الجانب التربوي، ولا ريب أن صاحب «حياتي» عندما يشير إلى أن السيرة الذاتية مجال يستفيد منه القراء لما تحتويه من عبر تتصل بحياة الفرد المعني، فهو يقصد أيضاً أن كاتب هذا النوع من الكتابات الأدبية مطالب بربط حياته بما له تأثير فيها، فإذا أخذنا النص السابق وعرضناه على حياة أحمد أمين فإننا سوف نرى أنه تعليق أو انتقاد ينصب على طرائق التربية قبل جيلين تقريباً، وكيف أصبحت، إلا أنه بعد النقد - إن صح التعبير - يعود إلى موضوعه ليربط بين أجزاء عمله فيقول: «ولم يكن لي سلوى في هذا الدور من الحياة إلا لعبي في الحارة مع زملائي بعض الوقت. ثم أحاديث جدتي، وقراءة أخي علينا بعض كتب القصص». ونلحظ أن

أحمد أمين يركز على اللعب، فهو غير مبال بتكرار الكلمة في أثناء كتابته، مما يفهمنا أن الهدف الأساسي هو الإشعار بأهمية هذا النشاط إذا عرفنا كيف نتحكم فيه حتى لا ينقلب إلى مضيعة للوقت وخروج عن المعقول، فيفقد الهدف المتوخى منه.

أهمية تربية الذوق لدى النشء

مما يساهم في رقي الأمم والشعوب تربية الذوق لدى الأطفال، فإذا عودناهم حب الأشياء الجميلة، والتمتع بجمال الطبيعة والمحافظة عليها، والاعتناء بها وبما ينمي هذا الذوق فيهم، من زهور تزين بها الأماكن داخل البيوت، ولوحات فنية معلقة في أماكن مناسبة.. فإذا كانت للآباء والمدرسين عناية بهذا الجانب الجمالي، فإننا سوف نهيئ أجيالاً تتمتع بأذواق فنية رفيعة، وهذا يعلمهم النظام في حياتهم، والنظافة في بيوتهم، وهذا مهم. أما عندما يتربى الطفل في حي، ويسير في أزقة وشوارع لا يعنى أهلها بنظافتها، فلا شك أننا سنخرج إلى الوجود أفراداً ينقصهم جزء مهم من إنسانيتهم «لأن الفن يسهم الإسهام الرئيسي في التعبير عن إنسانية الإنسان»(٣٤)، والأستاذ أحمد أمين يقول، وهو يحدثنا عن طفولته: «كل شيء حولي كان كفيلاً بأن يميت الذوق، ويبلد الحس، ويقضي على الشعور بالجمال، فحارتنا متربة، لا يمسها الماء إلا إذا نزل المطر أحالها بركا، وإلا ما يفعله السكان من حين لآخر، إذ يفتحون شبابيكهم ويقذفون منها بما تجمع من ماء غسل الثياب أو غسل الصحون، وأحياناً لا تتحرى السيدة ما تفعل، فينزل هذا الماء القذر على بعض المارة، فيكون النزاع ويكون السباب.. وبيتنا لم يكن يعنى بتربية الذوق أية عناية، فليس فيه لوحة فنية ولا صورة جميلة، ولا أثاث منسق جميل، ولا زهرية ولا أزهار»(٣٥). فإهمال الجانب الفني في التربية ينعكس آثاره السلبية على الأسرة والتربية معاً، ومن ثم على سلوك الأفراد الذين يتألف منهم المجتمع، «فتربية الذوق خير ما يقدم إلى الناشئ حتى من ناحية تقويم أخلاقه»(٣٦)، وقد أتى الكاتب بهذا الوصف لحي شعبي قبل أن يلتحق بمدرسة راقية في حي تسكنه الطبقة الارستقراطية أو الإقطاعية، ليضرب بذلك - كما يقال - عصفورين بحجر واحد، وليظهر أثر المدرسة الأنيقة في نظافة الطفل وذوقه الفني، ونموه الفكري والعقلي... «على كل حال أحمد لأبي أن أخرجني من هذه الكتاتيب الكريهة، وأدخلني مدرسة ابتدائية.. كانت مدرسة نموذجية بنيت على أفخم طراز وأجمله.. وفي أعلى المدرسة إطار (من الخارج) كتب عليه آيات قرآنية، كتبها أحسن الخطاطين بأحسن خط، وموهت بالذهب، فكان هذا الجمال الجديد غذاء لذلك القبيح القديم، ولبست بذلة بدل الجلباب، وأحسست علواً في قدري، ورفعة في منزلتي»(٣٧)، وهكذا يكون لجو المدرسة والجو الذي يحيط بها ويوجد داخلهما، انعكاس على المتعلم، حيث يحاول بدوره أن يتلاءم مع واقعه، فينظف جسمه وثيابه، وتتحسن ألفاظه مع زملائه الشيء الذي يجعله يشعر براحة من معنوياته، فلا يحس بتعب أو إرهاق أو نفور من المدرسة، ونبه الكاتب إلى ما قد تسببه كثافة البرامج من إعياء للطفل أو المتعلم، وهذا قد يدفعه إلى اختلاف أسباب واهية يبرر بها الغياب عن المدرسة، تجنباً للضغوط التي يتعرض لها: وقد وضع لي أبي برنامجاً مرهقاً لا أدري كيف احتملته.. لكن كان هذا الضغط الشديد مثاراً لثورتي أحياناً، فربما كنت أهرب من فقيه المكتب ظهراً. ومن الذهاب إلى أبي عصراً، أو أدعي المرض وليس بي مرض»(٣٨)، ثم يعود أحمد أمين إلى تأكيد ما قرره سابقاً من إعطاء الطفل فرصاً لممارسة حريته والترفيه عن نفسه باللعب والاتصال بأصدقائه من سنه(٣٩). ففي ذلك تجديد لقدراته الفكرية والتعليمية، يقول: «تعلمت في المدرسة دروسها، وتعلمت من التجارب أكثر من دروسها، فلعبي مع التلاميذ ومجادلتي إياهم العواطف، ورؤيتي إياهم يتصرفون في الأمور تصرفاً مختلفاً حسب مزاجهم وعقليتهم، يغضبون أو يحلمون، ويثورون أو يهدؤون. كل هذه كانت دروساً في الحياة أكبر من دروس العلم»(٤٠). ويحذر من العقوبة القاسية التي قد تكون سبباً من أسباب الانقطاع عن الدراسة، ويدرك الجميع مدى الأخطار التي قد تنجم من الانقطاع عن الدراسة أو الانسحاب، فهي أخطر ظاهرة يعاني منها حالياً جل بلدان العالم الثالث لأسباب متشابكة ومتداخلة.. وهذا موضوع آخر قد نخصص له بحثاً مستقلاً.

دور التربية الدينية في إصلاح الفرد والمجتمع

إن من الحقائق التي لا يخامرنا فيها أدنى شك، أن التربية الدينية تضبط النفس وتخلق فيها استقراراً واطمئناناً وعزيمة قوية تدفع صاحبها إلى معالجة الوقائع بالروح والعقل معاً. وتبدأ هذه التربية في البيت منذ الطفولة ويكون للأبوين تأثير قوي في الطفل في هذا المجال - كغيره من المجالات - ولكن تزداد العقيدة قوة ورسوخاً في الفرد بعد أن يصبح مستعداً عقلياً وفكرياً وجسمياً لتلقي الدروس والقيام بالواجبات التي تفرضها الشريعة الإسلامية، والبيت يعد المعقل الأول الذي يتزود فيه الإنسان بما يحتاج إليه من الزاد حتى يتقوى ويصير قادراً على مواجهة التيارات المادية الهدامة التي تشوه الحقائق وتلبسها حلة مزيفة لأغراض يسعى خصوم الإسلام إلى تحقيقها، ولأسباب ترجع إلى اختلاف الأيديولوجيات والاتجاهات، ويبدو أن والد أحمد أمين أدرك حجم هذه المسؤولية فوجه ابنه إلى الأزهر الذي كان، ومازال يحتل الصدارة في تكوين علماء الإسلام وشيوخه وفقهائه، إلى جانب مراكز أخرى مرموقة في البلاد العربية الإسلامية، مثل: المملكة العربية السعودية، والمملكة المغربية، وسورية، وغيرها «ولم تكن أوقات الدروس بالأزهر كما عهدتها في المدرسة تؤقت بساعات النهار، وإنما تؤقت بالصلوات»(٤١). وفي هذا التوقيت أكثر من إشارة إلى تأكيد ما سبق ذكره، أعني الطابع

الإسلامي المميز لهذا الجامع في المشرق العربي. ويظهر الكاتب أن العلاقة بين الأساتذة والتلاميذ من جهة، وبين التلاميذ فيما بينهم من جهة ثانية من العوامل الإيجابية للرفع من مستوى المردودية، وجلب الطالب نحو ما يقدم إليه من علوم ومعارف، بالإضافة إلى ما قد تسببه الطرائق المعقدة من صعوبات في الفهم والاستيعاب، فيحكي لنا أنه في موضوع الوضوء «قرأ الشيخ المتن والشرح ففهمتهما، ولكنه سبح بعد ذلك في تعليقات واعتراضات على العبارة، وإجابات على الاعتراضات لم أفهم منها شيئاً»(٤٢)، «وزاد الأمر سوءاً أن ليس بيني وبين الطلبة صلة، ولا بيني وبين الأستاذ رابطة»(٤٣).


أحمد أمين وطه حسين في بلودان بسورية في دار فارس الخوري رئيس مجلس الوزراء السوري آنذاك

ويبدو أن كاتبنا يفضل أن تكون للمدرسة عقلية متفتحة مع تلامذته، يقدم لهم المعارف وهو متمكن منها. «فالفكرة ليست مقدسة إلا ما قام البرهان على صحتها، ودلت التجارب على ثبوتها»(٤٤). ويركز الكاتب على ضرورة تكوين المربي المتمكن من مادته، ليكسب بذلك الثقة بالنفس ويشعر بالسعادة أمام تلامذته وطلبته، فالشريعة في حاجة إلى المناقشة المثمرة فيما هو قابل لذلك «أما جوهر الدين من إيمان بالله وجلاله وعظيم قدرته، فظل ساكناً في أعماق قلبي، لم ينل منه أي جدل، ولم يتأثر بأي قراءة، وكل ما في الأمر أن صرت أكثر تسامحاً مع المخالفين، وأوسع هدراً للمعارضين»(٤٥)، «فقد كنت أقضي الساعات الطوال في تحضير الدرس الواحد من مصادره المختلفة»(٤٦).

وأفضل أن أدرس من خلال الجزء الثاني الذي تبقى من الكتاب (أي النصف الباقي تقريباً) الحياة الاجتماعية في عصر الكاتب، وهي فترة حافلة بالأحداث التاريخية والسياسية، لأنه عمل في التعليم والقضاء حقبة مهمة من حياته واتصل في أثناء ذلك بزعماء السياسة الذين كانت تربطه بهم روابط العمل أو الزمالة، فكان يلتقي بهم في العمل والدراسة وفي جلسات ترفيهية، ثقافية علمية، تلك التي كانت معهودة عصر ذاك. ففي هذه المجالات يمكنه أن يحدد عدة مواقف يستفيد منها القارئ، وليس معنى هذا أن النصف الأول - تقريباً - من الكتاب خال تماماً من تلك المواقف، فهذه الملامح التربوية والإشارات التي وقفنا عندها في هذا المجال، وردت في النصف الأول منه، وهي المرحلة التي كان أحمد أمين يتحدث لنا فيها عن حياته في البيت والمدرسة، ومعهد القضاء طالباً للعلم، ثم بداية فترة دخوله إلى ميدان العمل بعد أن أتم دراسته وأصبح له وزن في الميدان الاجتماعي، هنا أخذت مسيرته تتغير، فتحولت اهتماماته نحو عالم آخر، ولم يعد الحديث منصباً على الدراسة، فصار في كتابه أشبه بمؤرخ لمصر في تلك الحقبة التي عرفت عدة تقلبات، وظهور مذاهب أدبية ونقدية، وجمعيات فنية، وهيئات سياسية..

فغدا حظ التربية ضئيلاً، مع العلم أنه يصعب الفصل التام بين الحياة العامة وأحداث العصر من جهة والتربية في مضمونها الواسع من جهة أخرى، إلا أن موضوعنا ركزنا فيه على الآراء التربوية التي تمكن الاستفادة منها في كل عصر.

خاتمة

إن السيرة الذاتية ليست كلها إبداعاً لكونها تنطلق من واقع عاشه صاحبها، أو تصوره ولاحظه وسمع به، ولكنها في الوقت نفسه ليست خالية من الإبداع والخلق وتدخل الذاتية فيما يقوله كاتبها، سواء نظرنا إليها من حيث الشكل والبنية اللغوية أو من حيث المضمون وما احتوته من آراء وأفكار منتزعة من الوقائع الاجتماعية والفكرية والثقافية والتاريخية، ومن هذه الرؤية يمكننا عد الأعمال التي تدخل في هذه الدائرة أعمالاً تستحق الدراسة والتحليل، لأنها تكون مصدراً لرؤى متعددة ومتصارعة أحياناً فيما بينها. مما يسمح لنا بالمقارنة، وهنا تحدد الخصائص المميزة لفرد عن آخر، فتكون قراءة كل منا - لعمل أدبي - تعطينا فرصة جديدة لمشاهدة الكاتب من نواحٍ مختلفة، بهذا تتعدد الكتب بتعدد القراء لها. وهذا لا يعني - بالطبع - توليد الأعمال الإبداعية والأدبية الإنسانية، أو الضغط عليها - إن صح التعبير - لتقدم لنا ما لا تحتويه، فلابد أن تكون رؤيتنا موضوعية، وإلا فقدت أهم عنصر من عناصر التحليل الذي يحيلنا على النص أو موقع الأفكار المنضوية تحته، وهي التي يطلب البحث عنها من خلال التأمل والاستنطاق. فالمواقف التربوية المعبر عنها في

كتاب «حياتي» ليست ناتجة من تخمين أو ممارسة متعسفة على النص، ولكنها آراء واضحة دلت عليها عبارات لها وجود قوي، ركبت تركيباً واضحاً وسليماً، مستهدفة من قبل المؤلف مقصودة، ولم ترد مستقلة عن المضامين المرتبطة بها، والتي تكون معها بيئة عامة متكاملة، لا نشعر معها ونحن نقرؤها - بتجزئة أو فراغ، أو وثوب من قضية لأخرى، أو من حيز لآخر.. وهذا ما لاحظه الأستاذ العقاد وعبر عنه بقوله: «وليست في وسع مؤلف بالبداهة أن يحصي وقائع حياته كلها في كتاب موجز أو مفصل، ولكن زميلنا مؤلف «حياتي» قد سرد لنا تاريخاً نقرؤه، فيخيل إلينا أنه متسلسل، مطّرد بغير فجوة في أثنائه، لأنه صنع بقلمه ما يصنعه المصور بريشته، لمسة بارزة هنا، ولمسة خفية هناك، وخط عريض في ناحية، وخط نحيل في ناحية أخرى. وإذا بالصورة أمامك كاملة متناسقة، تحسبها جمعت ملامح الوجه كلها، فلم تترك منها هدباً ولا شارة، وإنما هي براعة التصوير التي تخرج لنا صورة كاملة غير محسوسة الفجوات من هذه الخطوط المفترقات» (٤٧)، وتكفي أحمد أمين شهادة الكاتب الكبير عباس محمود العقاد.

الهوامش والمراجع

١. يقول الدكتور طه حسين: «من ألف «فجر الإسلام» و «ضحى الإسلام» و «ظهر الإسلام» أبقى على الأيام من أن يدركه الموت».
ويقول عبدالرزاق السنهوري: «إن سلسلة فجر الإسلام وضحاه وظهره من أقوم وأروع ما وضع عن الحياة العقلية والفكرية للإسلام، «حياتي» - دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٩٧١م - ٢٩٩.، وهي الطبعة المعتمدة في بحثنا.

٢. إن «حياتي» لأحمد أمين، كتاب لم يخصصه صاحبه للحديث عن نفسه، بل هو تصوير للحياة الاجتماعية والفكرية والثقافية، وحتى السياسية في عصره، والحجم الذي أعطي لهذه المجالات في مجمله، أوسع مما أعطاه الكاتب لنفسه ولأسرته.

٣. سوف نأخذ آراءه التربوية أو مواقفه فيها من النصف الأول - تقريباً - من الكتاب، أي من مراحل دراسته تلميذاً وطالباً، أما عندما بلغ مرحلة الرجولة، فقد انصب حديثه على الحياة الثقافية والفكرية والسياسية - أحياناً - وهذا ما يشكل في مجمله موضوعاً آخر من الدراسة، سوف ننجزه بعنوان مخالف لما هو عليه البحث حالياً.

٤ ، ٥ - انظر ما قاله الدكتور قاسم المومني في بحثه «علاقة النص بصاحبه» عالم الفكر - العدد الثالث - يناير/مارس ١٩٩٧م - ص١١٣ وما بعدها، ص١١٥.

٦. نقصد التطورات الفكرية والتقلبات العلمية في فهم الأشياء، وأسرار الكون، إضافة إلى فهم نفسه وتأمل داخله. ما يحتوي هذا العالم من خفايا:
- الذي حارت البرية فيه/ حيوان مستحدث من جماد.
- هو الإنسان، عبرة العبر.. حيرة الحير، هو الإنسان أحجية الأحاجي.
- انظر: «محور الأدب» - الغربال، ميخائيل نعيمة، ط٧، دار صادر - بيروت، ١٩٦٤م، ص٢٣.
والإنسان هو (المخلوق) الموجود الذي لا يفتأ يعيد النظر في كل شيء، ولا يكاد ينتهي حتى يبدأ من جديد.
د. زكريا، إبراهيم - مشكلة الإنسان - دار مصر للطباعة، ص٧.

٧، ٨ - يقول الكاتب: على المرء أن يبذل جهده في تعرف الحق، وتحرّي الصدق ليبرئ نفسه، ويريح ضميره. «حياتي» ص٤٨، ص٦.

٩. من ذلك على سبيل المثال ما ورد في مقالة «العروة الوثقى» و«الوحدة والسيادة»، و«أمران خطيران تحمل عليهما الضرورة تارة، ويهدي إليهما الدين تارة أخرى، وقد تفيدهما التربية وممارسة الآداب، وهما الميل إلى وحدة تجمع، والكلف بسيادة لا توضع». فبماذا نزرع الميل في الأفراد، والكلف بالسيادة؟ بالتربية وممارسة الأدب الذي هو من جنس التربية والتعليم.
انظر نص المقالة في «الأعمال الكاملة» لجمال الدين الأفغاني، شرح وتعليق محمد عمارة، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، ص٣٥٢.

١٠. «حياتي» مرجع سابق، ٥٣.

١١، ١٢. بين الكتب والناس، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٦٦م، ص٣٨، ٤٠.

١٣، ١٤. «النقد الأدبي»، دار الكتاب العربي، بيروت، ج١، ط٤، ١٩٦٩م، ص٣٩ - ٤٠.

١٥، ١٦. رونية أوبير، «التربية العامة»، ت: عبدالله عبدالدائم، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٧٩م، ص ٧٢٨.

١٧. «حياتي»، ص ٦٦.

١٨. الأم وحدها مسؤولة في المقام الأول عن غرس قيم المجتمع في نفوس الأبناء، كما تقول د. تماضر حسون: انظر مقالته «القيم والطفل»، مجلة الفيصل، ع ١٩٤، فبراير/شباط، ١٩٩٣م، ص١٠٣.

١٩، ٢٠ - «حياتي» مرجع سابق، ص٦٧.

٢١. «عليكم بالأجيال الناشئة، فهي حياة البلاد، صوغوها على ذوقكم، ابذلوا دونها الجهد، كل الجهد، ولا تمسكوا عنها شيئاً» - نجيب مخول، «فن التربية والتعليم في المدرسة الحديثة»، مطبعة التعاونية اللبنانية، ١٩٦٦م، ص٦.

٢٢. في الحديث الشريف الذي أخرجه الإمام مسلم في صحيحه «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجّسانه».

٢٣. «حياتي»، ص٦٧.

٢٤. نتذكر هنا قصيدة الشاعر التونسي أبي القاسم الشابي «إرادة الحياة»، يقول في مستهلها:

إذا الشعب يوماً أراد الحياة ... فلابد أن يستجيب القدر
ولابد لليل أن ينجلي ... ولابد للقيد أن ينكسر
ومن لم يعانقه شوق الحياة ... تبخّر في جوّها، واندثر

الديوان - دار العودة، بيروت، ص٤٠٦.

٢٥. «حياتي»، ص٦٨.

٢٦. عد إلى ما قاله فيه العقاد.

٢٧. رونيه أوبير، التربية العامة، مرجع سابق، ص٥٠٨.

٢٨. «حياتي»، ص٧٢.

٢٩. ساعات بين الكتب، دار الكاتب العربي ، بيروت، ط٢، ١٩٦٩، ص ١٨٣.

٣٠. مجلة عالم الفكر الكويتية، المجلد العاشر، ع الثالث، أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر ١٩٧٩ (١١١ - ١١٢)، انظر البحث، فهو مفيد جدًا في هذا المجال لحين الرجوع إليه لمن أراد أن يتوسع (الأطفال واللعب).

٣١، ٣٣ - «حياتي»، ص ٧٩، ٨٢ - ٨٣، ٨٣

٣٤. م. وليد قستق، دراسة في مشكلة الفن، مجلة الآداب، العدد الخامس، مايو ١٩٦٣م، ص٣١.

٣٥/٣٨. «حياتي»، ص٨٤، ٨٥، ٨٥، ٨٦ - ٨٧.

٣٩/٤٦ - لا ننس أن الكاتب كان - أحياناً - يشرف على خطة ألعاب رياضية، وهذا دليل على اهتمامه بالميدان. «حياتي»، ١٥٤، ٨٧، ٩٣، ٩٤، ٩٦، ١١٧، ١٨٣، ١٣٩.

٤٧. بين الكتب والناس، دار الكتاب العربي، بيروت، ص٣٥.

الملف الثقافي

جائزة عالمية للسنة النبوية باسم الأمير نايف بن عبد العزيز

الأمير سلمان بن عبد العزيز رئيسًا فخريًا للجمعية التاريخية السعودية

الملكية الفكرية في مركز الملك فيصل

قضية فلسطين في الجنادرية

قاتل يصبح شاعرًا!!

عودة أخناتون من ألمانيا

مؤتمر دولي حول الفنون والحرف الإسلامية



آنا ماري شيمل

خاتمة المطاف

المنصفون من الغربيين: الإعلامي السويسري الشهير ماركو ماير نموذجًا

جائزة عالمية للسنة النبوية



الأمير نايف بن عبد العزيز

صدرت الموافقة السامية على إنشاء جائزة عالمية تعنى بالسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة باسم «جائزة نايف بن عبدالعزيز آل سعود العالمية للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة».

وتبنى وزير الداخلية ورئيس الهيئة العليا للجائزة الأمير نايف بن عبدالعزيز رعايتها والعمل على استمرارها إسهاماً منه في خدمة مصادر التشريع الإسلامي على أسس علمية موثقة من خلال تشجيع البحث العلمي وتنميته في مجال السنة النبوية وعلومها.

وأوضح الأمير سعود بن نايف بن عبدالعزيز نائب الرئيس والمشرف العام على الجائزة أن الموافقة على قيام هذه الجائزة العالمية التي سيكون مقرها المدينة المنورة تأتي في إطار رسالة المملكة العربية السعودية وجهودها في خدمة الإسلام والمسلمين، وإبراز محاسن الإسلام وسماحته، وخدمة مصدريه الأساسيين القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، مشيراً إلى أن هذه الجائزة تتميز إلى جانب أهمية موضوعها بأنها الجائزة الأولى من حيث عنايتها بالسنة النبوية داخل السعودية وخارجها.

وترمي هذه الجائزة إلى تشجيع البحث العلمي في مجال السنة النبوية وعلومها والدراسات الإسلامية المعاصرة وإذكاء روح التنافس العلمي بين الباحثين في أنحاء العالم كافة.

وأكد الأمير سعود بن نايف أن الجائزة ستسهم في دراسة الواقع المعاصر للعالم الإسلامي، واقتراح الحلول المناسبة لمشكلاته، بما يعود بالنفع على المسلمين حاضراً ومستقبلا، وإثراء الساحة الإسلامية بالبحوث العلمية الأصيلة، إضافة إلى إبراز محاسن الدين الإسلامي الحنيف وصلاحيته لكل زمان ومكان، والإسهام في التقدم والرقي الحضاري للبشرية.

وتتكون الهيئة العليا للجائزة من الأمير محمد بن نايف بن عبدالعزيز، والأمير نواف بن نايف بن عبدالعزيز، ووزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، والأمين العام لرابطة العالم الإسلامي، والدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر الشريف، والشيخ يوسف القرضاوي، والدكتور ساعد العرابي الحارثي مستشار وزير الداخلية، ومدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ومدير جامعة أم القرى، ومدير الجامعة الإسلامية في إسلام آباد، والشيخ عبدالوهاب أبوسليمان، والدكتور عبدالعزيز بن صقر الغامدي، والشيخ محمد بن عمر العقيل، وبيّن أن مدة العضوية أربعة أعوام قابلة للتجديد.

من جهته أوضح الدكتور ساعد العرابي الحارثي مستشار وزير الداخلية الأمين العام للجائزة «أن للجائزة عدداً من الفروع الرئيسة وتتولى الجهة العلمية للجائزة تحديد التخصصات التي تندرج تحت كل فرع من هذه الفروع وكذلك الموضوعات التي يتم طرحها للتنافس من كل فرع ولكل دورة من دورات الجائزة في كل عام.

وسيتم الإعلان عن موضوعات الجائزة وفروعها وشروطها قبل وقت كاف عبر وسائل الإعلام على مستوى العالم، وكذلك عن شروط البحث وضوابط الترشيح للجائزة وسيقدم لكل فائز من الفائزين بالجائزة في أحد الموضوعات: شهادة استحقاق، ودرع يحمل شعار الجائزة، ومبلغ نقدي مقداره ٥٠٠ ألف ريال سعودي.

لقاءات تاريخية وآثارية

افتتح صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض مساء الثلاثاء (٢٢ من ذي القعدة ١٤٢٢هـ/٥ فبراير/شباط ٢٠٠٢م) حفل افتتاح اللقاء العلمي السنوي السادس للجمعية التاريخية السعودية، والندوة التي نظمتها جمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية بمناسبة الاحتفاء بمرور ٢٠ عاماً على تولي خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز مقاليد الحكم، وذلك بقاعة الملك عبدالعزيز للمحاضرات بمركز الملك عبدالعزيز التاريخي، كما دشن سموه موقع الجمعية التاريخية السعودية على شبكة «الإنترنت».

واختارت الجمعية التاريخية السعودية سموه رئيساً فخرياً، وعقّب سموه على ذلك بقوله: «لأنني محب للتاريخ وأهل

التاريخ ولأن تاريخنا والحمد لله مشرّف نعتز به ونستلهم منه حاضرنا فيسرني أن ألبي دعوة أعضاء الجمعية التاريخية السعودية لأكون زميلاً لهم وليس رئيساً، كي أساهم معهم ولا يهمني اختياري للرئاسة الشرفية لكنني أقبلها لعلي أن أوجههم بشيء من الدفع وأساهم معهم في خدمة تاريخنا العظيم وأتحمل معهم المسؤولية الملقاة على عواتقنا».


الأمير سلمان بن عبد العزيز

وعن أهمية التاريخ قال سموه: «إن أهمية التاريخ في حياة الأمم تنبع من كونه المخزون الصادق لمنجزاتها، والسجل الحافل لعطياتها. ومن هنا جاء حرص كل أمة على تدوين تاريخها، والاعتناء بأبرز شخصياته، وأحداثه: دراسة، وتحليلاً، وتوثيقاً».

وأضاف: «ينعقد اجتماعكم هذا في ظل مناسبة غالية تمر على المملكة العربية السعودية، ألا وهي احتفاؤها بمرور عشرين عاماً على تولي خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز ـ حفظه الله ـ مقاليد الحكم. وهي مناسبة جعلتنا نقف وقفة تأمل أمام الإنجازات الطموحة التي حدثت خلال هذه العشرين عاماً، وما أدت إليه من تطور للمملكة في جميع المستويات الاجتماعية والاقتصادية والتنموية والثقافية. وما انعقاد مثل هذه الملتقيات الطيبة إلا ثمرة لسياسته الحكيمة ـ وفقه الله ـ في رعاية العلم وأهله، والوقوف إلى جانب كل ما يؤدي إلى التطور والرقي، وما استضافة دارة الملك عبدالعزيز مثل هذه اللقاءات إلا نتيجة واضحة للدعم الكريم للعلم وأهله ومؤسساته.

وتضمن حفل الافتتاح كلمة للدكتور فهد السماري أمين عام دارة الملك عبدالعزيز، والدكتور عبدالله بن علي الزيدان رئيس مجلس إدارة الجمعية التاريخية السعوديه، والدكتور أحمد الزيلعي رئيس جمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون، وأكدت جميعها أهمية دراسة التاريخ مع استعراض إنجازات الجمعيتين.

وقد شارك في فعاليات الدورة التي استمرت ٣ أيام أكثر من ١١٠ باحثين وباحثات وأكاديميين متخصصين في علوم التاريخ والآثار السعودية ودول مجلس التعاون الخليجية.

وشارك من خارج السعودية عدد من العلماء منهم: ناصر الباخشي، وحسن النابودة، ومحمد العيدروس، وحمد بن صراي من الإمارات العربية المتحدة، ومصطفى إسحق، وعبدالقادر القحطاني، وإبراهيم شداد، وعبدالحسين أحمد، ومحمد العمارين، وسيف المريخي، وشيخة الخليفين، ويوسف العبدالله من قطر، وأمل الزياني، وعلي شهاب، وسعيد هاشم، وعلي الدوي، ومحمد معراج من البحرين، ونايف الشمروخ، وبنيان تركي، وفيصل الكندري، وسليمان البدر، وعبدالملك التميمي، وعبدالمحسن المدعج من الكويت، وسعيد الهاشمي، وسعيد الغيلاني من عمان، وعزالدين عمر موسى من السودان، وأحمد عدوان، وإسماعيل ياغي من فلسطين، وكمال الخاروف من فرنسا.

وتناولت بحوث الندوة جوانب من التاريخ العربي والإسلامي في العصور الإسلامية الأولى، كما تناولت جهود خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز في عمارة الكعبة المشرفة، وعلاقات السعودية الخارجية في عهده، وجهوده في إقامة المراكز الإسلامية في العالم الخارجي، ونظرة خادم الحرمين الشريفين تجاه مجلس التعاون الخليجي، ودعمه لتحقيق أهدافه.

من أنشطة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية


الأمير تركي بن سلطان

نظم معهد الفيصل لتنمية الموارد البشرية أحد أجهزة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية برعاية صاحب السمو الملكي الأمير تركي بن سلطان بن عبدالعزيز مساعد وزير الإعلام دورة تدريبية متخصصة بعنوان «حقوق الملكية الفكرية: الأنظمة والتشريعات» استمرت خمسة أيام من ١٢ ـ ١٧ من ذي القعدة سنة ١٤٢٢هـ، وشارك في إلقاء المحاضرات نخبة من

المتخصصين من داخل المملكة ومنظمة اليونسكو، والمنظمة العالمية للملكية الفكرية (الويبو). ومن المحاضرين الذين شاركوا في الدورة: د. يوسف بن عبدالله الخضير، ود. فؤاد فرسوني، ود. عبيد الله محمد العبيد الله، ويونس خالد عرب من الأردن، ود. عزالدين منصف كاتب، وناصر علي خصاونة (الأردن).

وتأتي هذه الدورة من منطلق الرسالة الثقافية للمركز، وبهدف إبراز الأهمية الكبيرة التي أولاها ديننا الحنيف والقوانين الدولية للحفاظ على حقوق المؤلفين والمبدعين، وناقشت موضوعات الندوة حقوق الملكية الفكرية من تبيين الحقوق القانونية والمعنوية للمؤلف، ومجالات هذه الحقوق والاستثناءات الممكنة، ووجهة النظر الشرعية، والمعاهدات الدولية المعنية، وغير ذلك تقديراً لهذا الحق الأدبي والأخلاقي والقانوني.

القضية الفلسطينية والقدس محور النشاط الثقافي للجنادرية ١٧



من محاضرات الجنادرية

ضمن النشاط الثقافي للمهرجان الوطني للتراث والثقافة (الجنادرية) في دورته السابعة عشرة، أقيمت ندوة بعنوان «قضية فلسطين: القدس والحق التاريخي» شارك فيها كل من: الدكتور يوسف القرضاوي، والمهندس رائف نجم، والأستاذ منير شفيق، والأستاذ يوسف علي الثقفي، وأدارها الأمير الدكتور تركي بن محمد بن سعود الكبير الذي استهل الندوة بالترحيب بالضيوف المشاركين والحضور، وأشار إلى أن المملكة بقيادة خادم الحرمين الشريفين كان لها دور مهم وبارز في الدفاع عن قضية فلسطين التي تعد قضية العرب والمسلمين الأولى، كما أكد أن موقف المملكة إزاء القضية الفلسطينية يعبر عن رأي المجتمع العربي السعودي المسلم والتزامه القضية الفلسطينية لما يمليه عليه إيمانه ودوره العربي والإسلامي والدولي، فلم تحظ أي قضية عربية أو غيرها باهتمام حكومة المملكة وشعبها مثلما حظيت به قضية فلسطين.

وأكد المهندس رائف نجم أن القدس من أهم المدن على وجه الأرض على الرغم من أنها مدينة لا زرع فيها ولا ضرع؛ لأن ماءها قليل، وليست من المدن التجارية المهمة، ولا تحتوي على ثروات نفطية أو معدنية، ومع ذلك فقد شهدت مالم تشهده غيرها من المدن من ظلم البشر، وكانت على مر العصور مطمعاً للغزاة والغاشمين، فحوصرت مراراً، وهدمت وأعيد بناؤها، ولكنها على الرغم من ذلك بقيت حية، وبقي اسمها في طليعة المدن، إنها مدينة الرسالات السماوية وأولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ومسرى الرسول صلى الله عليه وسلم ومعراجه.

ونوه نجم بأن هناك ثلاثة مصادر تاريخية رئيسة عن الحق: الأولى المقروء الذي كتبه المؤرخون، والثاني التاريخ الملموس المستنسخ من علم الحفريات الأثرية، والثالث التاريخ المستوفي من المصادر الدينية التي حرف بعضها عن الأصل مثل التوراة الحالية التي كتبها الأحبار في السبي، بعد ذلك تحدث عن المراحل التاريخية التي مرت بها القدس.

وتناول الدكتور يوسف الثقفي أهمية القدس عند المسلمين، وناقش أمرين الأول يتعلق بالقدس القديمة موضحاً الأسماء التي وردت في الكتب القديمة وأكثرها شيوعاً مثل اسم ورسالم، واسم يبوس نسبة إلى أحد فروع القبائل الفلسطينية القديمة، واسم إيليا الذي ورد في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، والثاني يتناول الوجود العربي في القدس، إذ تشير المصادر التاريخية إلى أن القدس أرض عربية سكنها العرب منذ آلاف السنين، وأن المؤرخين الغربيين ذكروا في دراساتهم عن الشرق الأدنى القديم أن الكنعانيين أصولهم سامية، وهاجروا إلى فلسطين واستقروا فيها وأن هجرة اليهود جاءت متأخرة، وهذا ما يثبته التاريخ، وعلماء الآثار، وأصحاب العهد القديم.

وتحدث الأستاذ منير شفيق عن حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره، وهو ماتؤكده الوثائق الدولية من ميثاق عصبة الأمم المتحدة، إلى ميثاق هيئة الأمم المتحدة، إلى الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، إلى المعاهدات والاتفاقات الدولية، خصوصاً اتفاقية جنيف عام ١٩٤٩م، وعام ١٩٦٩م.

وأوضح الدكتور يوسف القرضاوي الدعاوى اليهودية والصهيونية التي تزعم أن لهم حقاً في القدس أو فلسطين، من غير أن يكون لها سند ديني أو تاريخي، ووجه الشيخ

القرضاوي سؤالاً لليهود لماذا لم يظهر هذا الحق طوال القرون الماضية؟ بل لماذا لم يظهر هذا الحق في أول الأمر عند ظهور الصهيونية السياسية على يد هرتزل، وأشار إلى أن فلسطين لم تكن المرشح لتكون الوطن القومي لليهود. بل رشحت أقطار في إفريقية وأمريكا الشمالية.

جمعية للناشرين السعوديين

ترأس مدير مكتبة الرشد أحمد الحمدان اجتماعات اللجنة التأسيسية لجمعية الناشرين السعوديين التي تتخذ الإجراءات القانونية حالياً للإعلان عن تأسيسها قريباً.

وتهدف الجمعية إلى حماية الناشرين السعوديين وحفظ حقوقهم، وتوعية الناشرين بأنظمة المطبوعات، وزرع روح التعاون بينهم، وتسويق الكتاب السعودي داخلياً وخارجياً، ومكافحة تزوير الكتب والتصدي له بالتنسيق مع إدارة المطبوعات في وزارة الإعلام.

معرض الطفل الثقافي الثاني



هدف المعرض تنمية الجانب المعرفي للطفل

تنظم وزارة المعارف السعودية بالتعاون مع شركة معارض الرياض المحدودة «معرض الطفل الثقافي الثاني» في الفترة من ٢ - ١٢ محرم ١٤٢٣هـ (١٦ - ٢٦ مارس/آذار ٢٠٠٢م) وتشارك في هذا المعرض الجهات الحكومية ذات العلاقة، والمكتبات، ودور النشر، ومعارض، ومصانع الوسائل التعليمية، ومؤسسات الإنتاج الفني، ويرمي المعرض إلى تنمية الجانب المعرفي لدى الطفل من خلال تعويده منذ الصغر كيفية الحصول على المعلومات من مختلف مصادرها.

ومن أهدافه أيضاً إقامة نشاطات تعليمية وتثقيفية للأطفال، والتعريف بالجديد في مجال الإنتاج الفكري. بأحدث التقنيات الجديدة في مجال تعليم الطفل وتثقيفه، وإتاحة الفرصة لرواد المعرض بالتعرف إلى مجموعة كبيرة من مصادر ثقافة الطفل تحت سقف واحد.

وتشمل المعروضات كتب أطفال تعليمية وثقافية، وأدوات تعليمية سمعية وبصرية مخصصة للأطفال، ووسائل تعليمية بالتقنيات الحديثة مثل الحاسب الآلي أو تقنية الأقراص الضوئية لتجهيزات المختبرات المدرسية، والألعاب الترفيهية وتجهيزات الحدائق العامة والملاعب.

مشروع ثقافي جديد لدار المدى

تعتزم دار المدى في دمشق إطلاق مشروع ثقافي جديد ضمن نهجها الهادف إلى الارتقاء بالكتاب العربي، وتتضمن المبادرة الجديدة طباعة ١٢ كتاباً سنوياً بطبعة شعبية توزع مجاناً مع عدد من الصحف العربية، في منتصف كل شهر، ويصل عدد النسخ نحو ٤٠ ألف نسخة شهرياً.

وشاركت الصحف التي تم الاتفاق معها في المرحلة الأولى من المشروع، وهي السفير اللبنانية، والبيان الإماراتية، والثورة السورية في اختيار العناوين المقترحة من قائمة اقترحتها الدار، تضم مئة عنوان حصيلة استفتاء شارك فيه مثقفون عرب، أما الكتب التي ستصدر خلال عام ٢٠٠٢م فتضم عناوين متنوعة وأبرزها «حي بن يقظان» لابن طفيل، تحقيق أحمد أمين، و«طوق الحمامة» لابن حزم الأندلسي، و«الأيام» لطه حسين، و«أم القرى» للكواكبي، و«جولة العالم في ٨٠ يوماً» لجول فيرن، و«أرض البشر» لأنطوان دوسانت إكزوبري.

ويرمي المشروع إلى إعادة نشر أمات الكتب التي أسست حركة النهضة والتنوير في العالم العربي، ولا تزال تكتسب اليوم الأهمية نفسها، وتمتلك القدرة على التأثير في وجدان القارئ. وأشار صاحب «دار المدى» فخري كريم إلى أن مشروعه لا يتقاطع مع مشروع «كتاب في جريدة» الذي تصدره منظمة اليونسكو.

فهرسة المخطوطات الإسلامية

دعا المجلس القومي للثقافة والإعلام في مصر برئاسة الدكتور عاطف صدقي المشرف العام على المجالس القومية المتخصصة إلى فهرسة نحو ٣٠ ألف مخطوط في مكتبة الأزهر الشريف، وهي تمثل عصوراً مختلفة وتشكل مرجعاً



الأزهر الشريف

مهماً للباحثين في الشأن الإسلامي. ودعا المجلس إلى فهرسة مخطوطات المكتبات الصغيرة في الجامع الأحمدي في طنطا، وجامع إبراهيم بالإسكندرية، ومكتبة مسجد أبي العباس المرسي، مشيراً إلى قيام بعض الدول العربية بفهرسة مخطوطاتها مثل لبنان وسورية والعراق، كما أن هناك بعض الدول لم يتم فيها حصر المخطوطات مثل اليمن والسودان وعمان وموريتانيا.

وأشار المجلس في بيان له إلى أن الخزانة الحسنية في المغرب التي تحتوي على ذخيرة كبيرة من المخطوطات النادرة لم تتم فهرستها حتى الآن، كما أن المخطوطات التونسية التي كانت موزعة على الزوايا والمساجد قد جمعت مؤخراً في المكتبة الوطنية بتونس.

وأوصى المجلس بإنشاء مؤسسة عالمية لنشر التراث الإسلامي، تنفيذاً لما أقره وأوصى به المؤتمر الإسلامي الذي عقد في جاكرتا عام ١٩٩٧م، إضافة إلى إنشاء أكاديمية تتبنى جمع التراث العربي الإسلامي وتحقيقه. كما أشاد بالدور الذي قامت به وزارة الأوقاف المصرية في إنشاء مكتبة للمخطوطات الإسلامية بملحق مسجد السيدة زينب، ونقل جميع المخطوطات من مكتبات المساجد إليها، واستعداد الوزارة للتعاون مع كل جهد قومي في إطار يتجاوز البيروقراطية والتعقيدات وإعاقة أعمال الباحثين.

«العربي» تفوز بجائزة العويس

منحت مؤسسة سلطان بن علي العويس الثقافية جائزة الإنجاز الثقافي والعلمي للدورة الحالية (السابعة ٢٠٠٠ - ٢٠٠١) إلى مجلة العربي الكويتية تقديراً لدورها الرائد في الثقافة العربية الجادة والرصينة، وخدمتها في نشر الوعي بين المواطنين على امتداد الوطن العربي، خلال أكثر من أربعة عقود، ولما تمثله المجلة من قيمة حضارية عربية، وبصفتها مجلة تنويرية، أدت وتؤدي دوراً ريادياً في تعريف العرب كافة بوطنهم العربي، وربطهم بالثقافة العربية والعالمية في آن واحد، إضافة إلى ترويجها المنهج العلمي والعقلاني في الثقافة العربية. كما جاء في بيان الجائزة الذي قدّمه الأديب عبدالحميد أحمد الأمين العام لمؤسسة سلطان بن علي العويس الثقافية في مؤتمر صحافي عقد في أعقاب اتخاذ أمناء المؤسسة هذا القرار، وهذه هي المرة الأولى التي تمنح فيها الجائزة لمؤسسة ثقافية بعد أن نالها عدد من الأدباء والمفكرين والشعراء في الدورات السابقة.

أما الجوائز الأخرى لهذه الدورة فكانت قد أعلنت في وقت سابق، وفاز بها كل من: قاسم حداد «الشعر»، وزكريا تامر ومحمد البساطي «القصة والرواية»، ومحسن جاسم الموسوي «الدراسات الأدبية والنقد»، وعبدالوهاب المسيري «الدراسات الإنسانية والمستقبلية».

اكتشافات أثرية في اليمن

تمكنت بعثة أثرية بلجيكية تنقب عن الآثار في جنوب اليمن من تحقيق اكتشافات أثرية هي الأولى من نوعها في جزيرة سقطرة جنوب اليمن، ويعود تاريخ هذه الآثار إلى القرن الثالث الميلادي تقريباً.

وقد عثرت البعثة في كهف يبلغ طوله ثلاثة كيلومترات على مادة أثرية غنية تتعلق بمعبد قديم ومجموعة من الأواني الفخارية والمباخر ورسومات ملونة على قوالب من الطين.

ومن بين الآثار المكتشفة المهمة نقوش يمنية قديمة ستخضع للدراسة والفحص الدقيقين، لما لها من أهمية في تسليط الضوء على تاريخ جزيرة سقطرة في فترة ما قبل الإسلام.

ويذكر أن خبر هذه الجزيرة قد ورد ضمن جزائر اليمن في كتاب العالم اليمني أبي محمد الحسن بن أحمد الهمداني «صفة جزيرة العرب» إذ قال: «إن طول هذه الجزيرة ثمانون فرسخاً وفيها من جميع قبائل المهرة».

قاتل يصبح شاعراً

نفذت ولاية كاليفورنيا مؤخراً حكم الإعدام في ستيفن وين أندرسون المدان بتهمة القتل، والذي أصبح شاعراً يحصد الجوائز خلال فترة انتظاره تنفيذ حكم الإعدام فيه لقتله مدرسة عجوزاً عام ١٩٨٠م.

وقال متحدث باسم سجن سان كوينتين: إن حكم الإعدام نفذ في أندرسون (٤٨ عاماً) بالحقن بمادة سامة بعد ساعات من إخفاق محاولة قانونية في اللحظة الأخيرة لإنقاذ حياته.

وخاض ستيفن معركة خائبة لتجنب الإعدام، وعزز جهوده مؤيدوه ومن بينهم أعضاء في جماعة القلم الدولية للكتاب، والذين قالوا: إن إندرسون أصبح خلال الوقت الذي أمضاه في السجن مؤلفاً وشاعراً وكاتباً مسرحياً شهيراً.

ووصف مؤيدو أندرسون موهبته الأدبية التي استغلها للتعبير عن فكرة السجن والموت والذنب بأنها لا مثيل لها.

لكن عدة محاكم رفضت ذلك كما رفضت المحكمة العليا الأمريكية وقف تنفيذ حكم الإعدام.

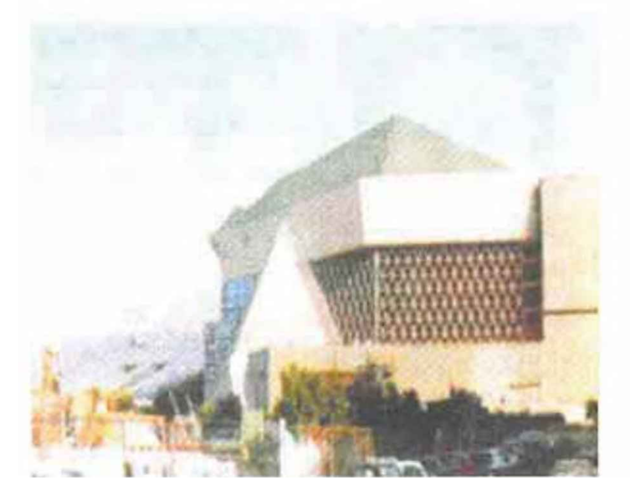
ويعد إعدام أندرسون هو أول حكم من هذا النوع في كاليفورنيا منذ مارس/آذار الماضي، والحكم العاشر منذ إعادة الولاية العمل بعقوبة الإعدام عام ١٩٩٢م.

وكان أندرسون قد سافر إلى مقاطعة سان برناردينو في كاليفورنيا عام ١٩٨٠م حيث أقام في منزل بالقرب من منزل إليزابيث ليمان المدرسة العجوز، وبعد مراقبتها عدة أيام اقتحم منزلها ليلاً بغرض السرقة، وأطلق عليها الرصاص عندما استيقظت، وفاجأته في غرفة نومها. وقال مسؤولون: إنه تركها تنزف حتى ماتت، بينما أعد لنفسه طعام العشاء، وجلس يشاهد التلفاز إلى أن جاءت الشرطة بناء على بلاغ من أحد الجيران.

وفي أثناء فترة سجنه انتظاراً لتنفيذ حكم الإعدام الذي صدر عليه عام ١٩٨١م تحول أندرسون إلى الكتابة، وفازت أشعاره بجائزتين من نادي القلم، كما عرضت خارج برودواي في نيويورك في منتصف التسعينيات مسرحية «مرثية من زنزانة محكوم عليه بالإعدام» المأخوذة عن قصائد له.

كتب تراثية في مكتبة الإسكندرية

أعلنت مكتبة الإسكندرية أن مدينة مورسيا الإسبانية أهدتها مجموعة كبيرة من الكتب المتعلقة بتراثها الأندلسي



جانب من مكتبة الإسكندرية

خصوصاً أنها مسقط رأس المرسي أبي العباس الذي ولد في سنة ٦١٦هـ وتوفي في الإسكندرية سنة ٦٨٢هـ.

وقال المسؤول الإعلامي في المكتبة «أهدت مدينة مورسيا كتاباً مصوراً عن تاريخها في العصر الإسلامي، وكتاب «كشف المعنى عن سر أسماء الله الحسنى»، باللغتين العربية والإسبانية إضافة إلى مجموعة كبيرة من الدراسات الأثرية الحديثة وأبرز مجموعات الفن الإسلامي».

وأضاف: «هناك روابط تاريخية بين المدينتين بعد لجوء عدد كبير من أهالي مورسيا المجاورة لمدينة غرناطة في الجنوب الإسباني إلى الإسكندرية هرباً من الآثار المدمرة لحروب الطوائف التي مزقت الأندلس وفتت الدولة العربية فيها».

الكتابة الروائية على الإنترنت

في تجربة لم يسبق لها مثيل ألف الكاتب الأمريكي «روبير أولن باتلر» قصة مثيرة مباشرة على شبكة الإنترنت كشف معها عن عاداته في أثناء الكتابة. جاء ذلك في موقع إيلاف على الإنترنت.

وتميزت أنشطة روبير على الشبكة بقبوله بالبث المباشر لصور الفيديو على الويب وهو يمارس مهنته المحببة: الكتابة مباشرة على النت. في الوقت الذي يفضل فيه الآخرون عرض أشياء أخرى عن حياتهم الشخصية.

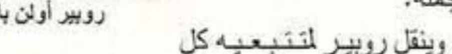
أما الروائي روبير فقد جلس طوال ثلاثة أسابيع أمام كمبيوتره وكاميرا فيديو الإنترنت (الويب كام) في لقاء مباشر مع مشاهديه ومتتبعي أعماله الروائية لمتابعة جزء

من مؤلفه قد يمتد إلى عشرات الصفحات.



روبير أولن باتلر

وبفضل كاميرا إنترنت صغيرة موجهة نحو شاشة كمبيوتره ينقل روبير يومياً وطوال الأسبوع في زمن محدد كتاباته مباشرة إلى العالم، كلمة كلمة وجملة جملة.



وينقل روبير لتتبعيه كل المراحل التي يمر منها بتصحيحاتها وتردداتها وبلحظات النشوة الأدبية. ولمن لم يستطع تتبعه مباشرة بسبب التباين الزمني بين الدول فقد أرشف روبير ١٧ حلقة من أعماله المباشرة على النت وعرضها بموقع.

وإذا كان روبير يذكر بموقعه بالأمريكية جنيفر رينغلي، وهي أول من أذاع مباشرة على النت لحظات حميمية من حياتها اليومية، فلا يتعلق الأمر بالأهداف نفسها. لأن «روبير» له ١١ رواية وقصة منشورة، كما حصلت إحداها على جائزة بوليتزر في عام ١٩٩٣م، كما ينشط ورشات للكتابة بجامعة فلوريدا.

ويقول روبير على موقعه بالشبكة: إن أهدافه بيداغوجية محضة وقد قرر مع نفسه الكشف عن كل شيء بمراحله وتعثراته، عن الأفكار التي تولد لتختفي ولتظهر أخرى. وهو ما لا يمكن لأي درس نظري تقديمه ووصفه ما عدا هذه الطريقة المباشرة والميدانية. ولأن الكتابة فعل خاص فالويب وحده يستطيع فضح الخصوصيات المتناهية أمام العالم.

ولأهداف بيداغوجية يعلق روبير مباشرة على حركاته ومراحل إبداعاته. فيشرح مثلا سبب اختيار كلمة ما أو سيكولوجيا بطله الرئيس. وفي النهاية يجيب عن الأسئلة التي تصل إليه على البريد الإلكتروني، ورافضاً لكل دعوة للاشتراك الجماعي في النص المنشور، لأن الأمر مرتبط أصلاً بإبداعية خاصة، وليس عملاً جماعياً كما درجت عادة آخرين على الشبكة.

وقد اجتذبت تجربة روبير أنظار الكثيرين من هواة الكتابة ومحترفيها، ففي ظرف أسابيع عرف موقعه إقبال أكثر من ١٤ ألف ارتباط. ووصلت إليه أسئلة من جميع أنحاء العالم. وشكره عدد من مستعملي الإنترنت على رفع القداسة عن طريقة الاشتغال اليومي للكتاب، وهو ما شجع الكثيرين منهم على معاودة الكتابة بعد توقف أو الاستمرار في تجربتهم البسيطة.

ومن جهته يقول روبير: إن طريقته في الكتابة وعاداته لم تتغير بعد استعماله للويب المباشر، ونصيحته الوحيدة للروائيين المبتدئين اعتمادهم على حسهم الذاتي النفسي، وليس على ترسانتهم الثقافية. وليتشجعوا في مواجهة هلع الشاشة البيضاء مؤسسين لطريقة جديدة للكتابة.

الجزائر عبر العصور

صدر دليل الجزائر السياسي لعام ٢٠٠٢م متضمناً شريطاً للأحداث التاريخية بدءاً من ألف سنة قبل الميلاد وصولا إلى أبرز المحطات السياسية والاقتصادية والثقافية والإعلامية في البلاد حتى مطلع العام الجاري.

ويعد الكتاب الذي أصدرته المؤسسة الجزائرية للاتصال والنشر والإشهار بنكاً للمعلومات الشاملة عن الجزائر يتناول فيه مؤلفه رشيد بن يوب مراحل تاريخية بارزة من العصر الحجري الحديث إلى مجيء الفينيقيين ثم الوصول إلى ماسينيسا مؤسس أول دولة جزائرية.

وجاء ماسينيسا متصدراً قائمة الأسماء التي غاص المؤلف في تفاصيل حياتها، كما تضمن الكتاب الصادر بالفرنسية مراحل المقاومة الشعبية التي خاضها الجزائريون قبل وخلال فترة الاستعمار الفرنسي الذي امتد من عام ١٨٣٠ إلى عام ١٩٦٢م.

ويقدم الكتاب للمهتمين بالمسائل السياسية سيرة ذاتية لأكثر من ٤٠٠ شخصية تاريخية ووطنية وتسلسلاً زمنياً لأعمن العنف التي عانتها البلاد في الفترة من ١٩٩٢م إلى أواخر ٢٠٠١م كما يتضمن ملحقات ثقافية واقتصادية.

ويخصص الدليل باباً مهماً للمنظومة الإعلامية، إذ



آثار جزائرية

يتناول مضمون الصحافة الحكومية بدءاً من الاستقلال عن فرنسا عام ١٩٦٢م إلى عام ٢٠٠١م قبل الانتقال إلى الحديث عن الصحافة الخاصة التي ظهرت عام ١٩٩٠م، وأفرد لها مساحة واسعة شملت أيضاً قائمة بأسماء رجال الصحافة الذين لقوا حتفهم من جراء موجة العنف. جاء غلاف الكتاب ملوناً وحمل صوراً لوجوه سياسية ومسؤولين بينهم الرئيس الحالي عبدالعزيز بوتفليقة ورئيس الحكومة علي بن فليس.

جائزة للترجمة باسم ابن خلدون

أحدثت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (ألسكو) بالتعاون مع الغرفة التجارية العربية الفرنسية جائزة سنوية للترجمة من الفرنسية إلى العربية أطلق عليها اسم «جائزة ابن خلدون للترجمة»، وتهدف الجائزة إلى مكافأة مترجمين عرب أو ناطقين بالفرنسية في مجالي العلوم الاجتماعية والتقنيات الحديثة، وتبلغ قيمة الجائزة ٢٠ ألف دولار.

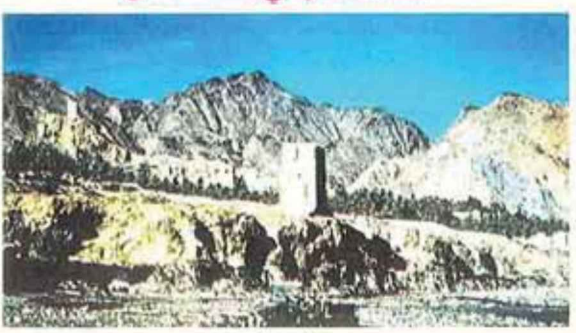
ابن حزم في ندوة دولية

بمشاركة عدد من المفكرين والباحثين من إسبانيا وفرنسا وبريطانيا وسورية ولبنان والمغرب والسعودية والأردن والعراق منهم: محمد محفل وفرنادو بالدس ومحمود علي مكي، ونبيل سليمان، ومعجب الزهراني، وسعاد الحكيم، وسالم يفوت وهنري زغيب، وألفت يوسف، تستضيف جامعة حلب بالتعاون مع المركز الثقافي الإسباني ثرفانتس ندوة دولية بعنوان «ابن حزم الأندلسي» مؤلف كتاب «طوق الحمامة في الألفة والألاف» الذي يعد أشهر كتاب عن الحب في التراث العربي الإنساني.

وتطرح في الندوة عدة بحوث تتناول شخصية ابن حزم وفكره وفلسفته، ومن هذه البحوث: «قراءة أثرية لطوق الحمامة»، و«موقف ابن حزم من الفلسفة»، و«النزوع الصوفي في فكر ابن حزم الأندلسي»، و«طوق الحمامة في الرواية العربية»، و«خطاب المحبة ضد خطاب التوحش: مقاربة لصورة المرأة في طوق الحمامة»، و«موقف المستشرقين من ابن حزم»، و«القيم الأخلاقية والجمالية عند ابن حزم».

ويعرض في آخر الندوة فيلم «طوق الحمامة المفقود» من إخراج التونسي الناصر خمير.

اكتشاف آثار في سلطنة عمان



آثار عمانية

اكتشف فريق تابع لقسم الآثار في جامعة السلطان قابوس آثاراً تعود إلى نحو ألف عام قبل الميلاد من بينها وحدات سكنية ومقابر في منطقة تقع في ولاية سمائل التي تبعد نحو ثمانين كيلو متراً عن مسقط.

وقد عثر فريق علماء الآثار في قرية منال في ولاية سمائل وسط البلاد، على عدد من الوحدات السكنية ومجموعة من المقابر الدائرية وأوان فخارية وغيرها من القطع التي كانت مستخدمة في العصر الحديدي.

وتعود الآثار المكتشفة إلى أواخر الألف الثاني وأوائل الألف الأول قبل الميلاد، وهي الفترة التي تعرف باسم العصر الحديدي.

وتثبت الاكتشافات أن هذه المنطقة كانت مأهولة منذ أكثر من ثلاثة آلاف عام. وعثر الفريق نفسه في هذا الموقع أيضاً على «عينات من البرونز والأصداف وعظام حيوانات ورسوم صخرية».

وتواصل فرق التنقيب الأعمال الميدانية التي أدت حتى الآن إلى الكشف عن آثار تعود إلى المراحل الإسلامية ابتداء من القرن الحادي عشر.

أخناتون يعود من ألمانيا

حصلت مصر مؤخراً على التابوت الذهبي للملك الفرعوني أخناتون بعد أن بقي في ألمانيا نحو ٩٠ عاماً، وجاء ذلك بعد مفاوضات شاقة بين الجانبين المصري والألماني أسفرت في النهاية عن حصول مصر على هذه القطعة الأثرية المهمة التي خرجت من مصر بطريقة غير شرعية.

وقال الدكتور جاب الله علي جاب الله (رئيس وفد الحكومة

المصرية): إن التابوت الذي عثر عليه عام ١٩٠٧م في إحدى مقابر وادي الملوك في الأقصر كان قد سرق من داخل المتحف المصري منذ أكثر من ٨٠ عاماً.

وقال وزير الثقافة المصري فاروق حسني: إن المتحف الألماني وافق على إعادة القطعة إلى مصر عندما علم أنها مسروقة وظهورها مخبأة في قبوه.

وتابع حسني قائلاً: «إن مصر طلبت من رئيس وزراء ولاية فافاريا، وعاصمتها مدينة ميونخ خلال زيارته للقاهرة العام الماضي إعادة القطعة الأثرية لمصر فوافق على ذلك، إلا أن المتحف الألماني طلب مقابل ذلك تنظيم معرض أثري لمقبرة أخناتون على أن يضم خمس قطع أثرية من مصر عرضت في متحف ميونخ في الفترة من ١٦ أكتوبر حتى ١٥ يناير الماضي، وبعد انتهاء فترة العرض أصبح الوعد الألماني واجب التنفيذ فسلمت لوفد أثري كبير سافر خصيصى إلى ميونخ لتسلم القطعة المسروقة إضافة إلى القطع المصرية الخمس المعروضة».

وأضاف الوزير أن هذه القطع ستعرض مجدداً في المتحف المصري، وهي تمثال لأخناتون بارتفاع نصف متر، ولوحة من الطين منقوش عليها نصوص، ولوحة من مقبرة الفرعون «أي» وأحد الأواني الكانوبية ولوحة من مقبرة أخناتون التي سرقت أرضية تابوتها من المتحف المصري.

وأشار حسني إلى أن مصر عازمة على استرداد آثارها المسروقة من الخارج، وأنها ستتعقب الجناة في جميع دول العالم وهناك محاولات مع عدة دول أوربية لتسليم الآثار المصرية المهربة إليها. وأكد أن مصر لن تتردد في تحويل «مافيا» تهريب الآثار إلى الأنتربول لمحاكمتهم واستخدام جميع الطرائق الدبلوماسية لاسترداد هذه الآثار.

رحيل بيار بورديو

توفي في باريس في ٢٤ يناير كانون الثاني الماضي عالم الاجتماع الفرنسي بيار بورديو عن عمر يناهز ٧١ عاماً بعد صراع طويل مع مرض السرطان.

ويعد بورديو من أهم الذين أحدثوا تغييراً جديداً في علم الاجتماع منذ عام ١٩٦٠م حتى أصبحت مفاهيمه رائجة وذات تأثير في الثقافات الأخرى.

ولد بيار بورديو من أصول فلاحية، وبدأ عمله أستاذاً في ثانوية (مولان) عام ١٩٦٠م، وترأس إدارة مجلة «أكت» المهتمة بالدراسات الاجتماعية.



بيار بورديو

عرف اسمه عام ١٩٦٤م بعد نشره كتاب «الورثاء» الذي ينتقد فيه نظام التعليم العالي في فرنسا، وحقق شهرة كبيرة بعد نشره كتاب «فقر العالم»، عن العذاب الاجتماعي في عام ١٩٩٣م. أسس جمعية تناهض وتنتقد الحريات الجديدة (العولمة) كما أسس اللجنة العالمية لمساندة المثقفين الجزائريين، وساند الحركات المناهضة للعولمة في عام ١٩٩٥م، وله شعار مشهور عن العولمة «يا مثقفي العالم اتحدوا».

أصدر نحو أربعين دراسة وكتاباً دارت حول كشف الآليات الخفية للهيمنة والممارسات التسلطية التي تذوب في الثقافة الجمعية فتصبح مستساغة، كما وظف بعض كتاباته لكشف العوامل الخفية التي توجه الإعلام في المجتمعات الديمقراطية فيصبح بوق دعاية للأطراف المهيمنة في المجتمع، وكان رافضاً طوال حياته أن يدخل التلفاز بيته، كما رفض الحوارات التلفازية. وألف كتاباً ضخماً بعنوان «حول التلفزيون» عام ١٩٩٦م وجه فيه اتهاماً للإعلام المرئي عن مسؤوليته في نشر الجهل وتعميمه، وترسيخ التسلط وتلطيفه.

من أهم كتبه «قواعد الفن»، و«التمييز»، و«نبلاء الدولة الحاكمة»، و«السيطرة الذكورية»، و«سيطرة الرجل»، وكتابان في الفلسفة «الأنطولوجيا الفلسفية لدى مارتن هايدغر» و«التأملات الباسكالية»، ودراسات انتقد فيها علم الجمال عند كانط.

مؤتمر دولي حول الفنون والحرف الإسلامية

ينظم مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية (إرسيكا) بإستانبول التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي، ووزارة الثقافة والإرشاد في الجمهورية الإسلامية الإيرانية مؤتمراً دولياً حول الفنون والحرف الإسلامية في مدينة أصفهان الإيرانية في الفترة من ٤ ـ ٩ أكتوبر/تشرين الأول القادم.

ويشارك في هذا المؤتمر الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي، والمنظمات والهيئات الدولية العاملة في هذا المجال، وبعض الجامعات، وأكاديميون وعلماء في تاريخ الفنون والحرف اليدوية، والفنانون المتخصصون في هذه الفنون، إضافة إلى الحرفيين الذين سيعرضون أعمالهم.

ويرمي المؤتمر إلى التنمية والمساعدة في إثارة الانتباه إلى الفنون والحرف الإسلامية، وتقويم الوضع الراهن للفنون والحرف الإسلامية في العالم الإسلامي، وتحديد المعايير الاقتصادية والاجتماعية والثقافية الواجب أخذها للتطوير المستقبلي لهذا الميدان، ومناقشة الإجراءات التي يمكن اتخاذها لتفادي فقدان القيم والتقاليد الإسلامية بهدف المحافظة على الطبيعة المميزة والخاصة للتراث الإسلامي، إضافة إلى حث الشباب الحرفي على انتاج أعمال جديدة، وتطوير إستراتيجية للتعاون الدولي في هذا الميدان.

ويقدم المشاركون في المؤتمر ورقات بحوث تشتمل على ٢٤ موضوعاً عن الفنون والحرف الإسلامية في الماضي، والحاضر والمستقبل. والفنون الإسلامية والتكنولوجيا الحديثة، ويتبع ذلك عروض موجزة من خبراء الدول الأعضاء وبعض المتخصصين يليه نقاش عام حول هذا الموضوع.

ومن برامج هذا المؤتمر: مسيرة دولية للمشاركين تضم الحرفيين تحت شعار «إحياء وحماية التراث الثقافي الإسلامي»، وذلك في اليوم الأول، إضافة إلى معرض لمجموعة من روائع الفنون والحرف الإسلامية، وأجنحة عروض الحرفيين في مواقع عملهم، وزيارات ميدانية لفرق عمل الحرفيين، ومعرض للمنتجات والإصدارات الثقافية، كما تقدم وزارة الثقافة الإيرانية برنامج رحلات تثقيفية لأهم المعالم التاريخية الإيرانية.

جان جينيه في المغرب

تنظم دار الفنون بالدار البيضاء في الفترة من ١٥ يناير/كانون الثاني ـ ٢٨ فبراير/شباط معرضاً تحت عنوان «جان جينيه والعالم العربي» بهدف تكريم هذا المفكر الذي يقول عنه منظمو المعرض: إنه اعتراف من المغرب لهذا الأديب المتمرد صديق المغرب والعرب، والمساند لحقوق الفلسطينيين والعمال المهاجرين بأوربا، والمعروف أن جينيه كتب في المغرب أهم أعماله، وعاش جزءاً من حياته فيها، ودفن بمدينة العرائش.

ولد جينيه عام ١٩١٠م في باريس، وتوفي عام ١٩٨٦م، وعاش حياة اليتم منذ الصبا عندما تركته أمه وتبنته عائلة حتى سن ١٣ سنة، ورفض الاندماج في المجتمع، وعاش حياة التشرد والتسكع في أحياء المدن، وكانت أعماله انعكاسات لرؤية المتسكع الفلسفية.

ويتضمن المعرض كتباً عن حياة جينيه ومخطوطات وصوراً ووثائق مصورة عن حياته، بالإضافة إلى أوراق بيضاء لفنانين من المغرب من مخرجين وفنانين تشكيليين، يقدم فيها كل واحد منهم تحية خاصة لهذا المبدع، كما يتضمن المعرض كلمات لأصدقاء جينيه من أمثال: ليلى شهيد، وأنيس بلفريح، ومحمود درويش، والطاهر بن جلون، وكاظم جهاد، ومحمد برادة، ومحمد شكري، وإدموند عمران الملاح، وخوان غويتسولو، وعبدالكبير الخطيبي، بالإضافة إلى بعض الأفلام التي أنجزت اعتماداً على أعماله أو عن حياته وندوة عن الكاتب بمشاركة أدباء وباحثين من إسبانيا وفرنسا، وبهذه المناسبة تصدر دار توبقال خمسة كتب لجان جينيه منها أربع مسرحيات ورواية «أسير عاشق» التي ترجمها الشاعر العراقي كاظم جهاد الذي يشارك في ندوة عن حياة جينيه وأعماله.



جان جينيه

غياب أربعة عقود عن موطنه

بعد غياب دام نحو أربعين عاماً قضاها في منفاه الاختياري بفرنسا، عاد إلى القاهرة مؤخراً الدكتور المفكر عبدالرحمن بدوي، ليتلقى العلاج بقسم المخ والأعصاب بمعهد ناصر للأورام، وتقوم الدولة بعلاجه على نفقتها الخاصة، وقد زاره الأمين العام للجامعة العربية عمرو

موسى، كما يقوم وزير الصحة المصري إسماعيل سلام، ومندوب عن الدكتور عاطف عبيد رئيس مجلس الوزراء المصري بالاطمئنان على حالته بانتظام.


عبدالرحمن بدوي في شبابه

ويعدّ بدوي من أبرز المفكرين العرب الذين أثروا المكتبة العربية في معظم مجالات المعرفة والثقافة والفكر والترجمة، وبلغت مؤلفاته ٨٠ كتاباً، ووضع عدداً من الكتب بالفرنسية دفاعاً عن الإسلام، ورداً على المستشرقين. ولد عبدالرحمن بدوي في ٤ فبراير/شباط ١٩١٧م بقرية شرباص التابعة آنذاك لمديرية الدقهلية لأب من كبار ملاك الأراضي قبل الثورة، وحصل على الشهادة الابتدائية عام ١٩٢٩م، وشهادة الكفاءة عام ١٩٣٢م والبكالوريا في عام ١٩٣٤م من مدرسة السعيدية، والتحق بآداب القاهرة، وحصل على شهادة الليسانس الممتازة من قسم الفلسفة عام ١٩٥٠م، وأنشأ قسماً للفلسفة في آداب عين شمس، وعمل استاذاً في جامعات عربية في كل من ليبيا، وطهران، والكويت، ليستقر بعد ذلك في باريس، ونال جائزة مبارك في العلوم الاجتماعية عام ١٩٩٩م بترشيح من أكاديمية الفنون.

الجدير بالذكر أن سيرة عبدالرحمن بدوي الذاتية صدرت عام ٢٠٠٠م، وأذهلت الأوساط الثقافية العربية، لما تضمنته من هجوم على عدد كبير من الكتاب والمفكرين والأدباء العرب، كما وجه نقداً لاذعاً لرموز المجتمع المصري والعربي.

تعريب وسائل الإعلام العبرية

ذكرت صحيفة إيلاف الإلكترونية أن وسائل الإعلام الإسرائيلية تتابع تعريب وسائل إعلامها وخاصة تلك التي لها مواقع على شبكة الإنترنت، ولا يقتصر الأمر على الصحف الإلكترونية إنما يتجاوزها إلى غير الإلكترونية المكتوبة أصلاً بالعبرية فقد قررت جذب زوار الإنترنت من العرب سواء داخل المنطقة العربية أو خارجها. ومن بين المواقع الإسرائيلية التي تم تعريبها موقع صغير ومثير يعرف باسم «عينان ميركزي» ويعني الموضوع الرئيس، وهو موقع معروف لدى الأوساط الإعلامية في إسرائيل بجرأته في الكتابة وإبداء الرأي، إذ لا يتردد في مهاجمة الحكومة وشخصيات بارزة في السياسة الإسرائيلية، إضافة إلى نشره أخباراً حساسة يخالف ما تنشره وسائل الإعلام الإسرائيلية الأخرى.

والقسم العربي في موقع «عينان ميركزي» يظهر في الجانب الأيسر من الصفحة الرئيسة، وتوجد صفحة فيها أهم الأخبار اليومية عن منطقة الشرق الأوسط. والجديد في هذا الموقع أنه يمكن لعرب إسرائيل أن يتصلوا على رقم مجاني والاستماع مجاناً لآخر النشرات الإخبارية.

وصحيفة «معاريف» هي مثال آخر لسياسة تعريب الصحف العبرية، وهي أشهر الصحف الإسرائيلية انتشاراً في إسرائيل، إذ قام مالكها بالتعاون مع رجال أعمال عرب بإنشاء صحيفة تابعة لها باللغة العربية اسمها «الأهالي» وسيقوم الصحفي سالم جبران من مواليد حيفا بإدارة هذه الصحيفة، ويعد أول عربي يتم قبوله في لجنة إدارة سلطة البث في إسرائيل.

وقام بإغلاق صحيفة «العين» في الناصرة التي كان يديرها ليتفرغ للصحيفة الجديدة «الأهالي».

وقامت صحيفة «يديعوت أحرونوت»، المنافسة الكبرى لصحيفة «معاريف»، بالإعلان عن نيتها القيام بخطوة مماثلة حتى يتسنى للقراء العرب معرفة وجهة نظر الإسرائيليين.

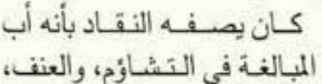
وفكرة تعريب المواقع العبرية ليست جديدة، فقد نادى الكثير من المسؤولين في الأوساط السياسية والعسكرية بتنفيذ تلك الفكرة للوصول إلى أكبر عدد من العرب، ونقل الأخبار المتنوعة لهم من وجهة نظر إسرائيلية.

رحيل ثيلا رائد الرواية الإسبانية الحديثة

توفي الكاتب والروائي الإسباني كاميلو خوسيه ثيلا الحائز على جائزة نوبل للآداب في عام ١٩٨٨م، وأحد أبرز رواد الرواية الإسبانية الحديثة في السابع عشر من يناير/كانون الثاني الماضي في مدريد عن عمر يناهز ٨٥ عاماً. ولد خوسيه في ١١مايو/أيار عام ١٩١٦م في قرية صغيرة بمقاطعة لاكورونيا في إقليم جاليثيا في إسبانيا، وكان أبوه جاليثياً وأمه إنجليزية ذات أصل إيطالي، درس ثيلا القانون، والطب، والفلسفة، وعمل صحفياً وممثلاً،

وأنشأ مجلة «بابليز دوصن آرمادانز»، وأدارها من عام ١٩٥٦م إلى عام ١٩٧٩م. مارس ثيلا كل أنواع الكتابة الأدبية: من شعر إلى مقالات وأدب ورحلات وذكريات ومسرحيات، وقصص قصيرة، وروايات، وألف أكثر من مئة كتاب، وكانت روايته الأولى «عائلة باسكوال دوارتي» عام ١٩٤٦م التي مثلت إعادة إحياء رواية ما بعد الحرب الإسبانية، وهو العمل المتفرد الأكثر قراءة بشكل واسع الانتشار في الرواية الإسبانية بعد رواية «دون كيخوته» لسرفانتس مع أن كل الناشرين الذين حاول التعامل معهم حينما كان كاتبًا شابًا، أرادوا إثناءه عن الكتابة. ومع رواية «خلية النحل» ١٩٥١م، واجه بجسارة رقابة عصر الجنرال فرانكو.

كان ثيلا يمتلك قدرة خرافية على العمل، فهو يقرأ ويكتب عشر ساعات يوميًا، وتم تكريمه في داخل إسبانيا وخارجها، فنال في عام ١٩٨١م خلال رحلة للولايات المتحدة لقب مواطن شرف لكل من تكساس وتوسان بأريزونا، كما يحمل اسمه عدد من الشوارع والميادين، ومنح عدة درجات شرفية من عدة جامعات منها: جامعة سيراكيوز، وجامعة برمنجهام وجامعة جون.ف. كنيدي (بوينس أيرس)، جامعة بالمادي مايوركا، وجامعة سانتياجودي كومبوستلا، وجامعة إنتر أميركا (بورتوريكو) والجامعة العبرية بالقدس.


كاميلو خوسيه ثيلا

كان يصفه النقاد بأنه أب المبالغة في التشاؤم، والعنف، وهو اللقب الذي رفضه رفضاً قاطعاً معبراً عن ذلك بكلمته «تعد المبالغة في التشاؤم والعنف قديمة قدم الأدب».

من رواياته: «عنبر الراحة» ١٩٤٤م، و«السحب التي تمر بالقرب» ١٩٤٥م، و«رحلة إلى القرية» ١٩٤٨م، و«السيدة كلدويل تحدث ابنها» ١٩٥٣م، و«سان كاميلو» ١٩٣٦م، و«حكايات غروبية بدون حب» ١٩٦٢م، و«ماريا سابينا» ١٩٦٩م، و«قاموس كلمات ممنوعة» ١٩٩٨م، و«طقوس الظلام رقم ٥» ١٩٧١م، و«القاموس السري وسجل الديوثات» ١٩٧١م، و«لحن ماثوركا على ميتين» و«حمار بوردان» ١٩٨٤م، و«رحلة جديدة إلى القرية» ١٩٨٦م، و«المسيح ضد أريزونا».

وكانت «الفيصل» قد نشرت حواراً في عددها رقم ٣٠٤ الصادر في شوال ١٤٢٢هـ مع كاميلو خوسيه ثيلا، ترجمه حسين عيد.

افتتاح مكتبة رائد التنوير في الكويت


عبد العزيز حسين

في إطار مهرجان القرين الثقافي الذي أقيم في الكويت في الفترة من ١٠ - ٢١ يناير/كانون الثاني الماضي افتتح وزير الاعلام رئيس المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الشيخ أحمد الفهد الصباح مكتبة عبدالعزيز حسين، وتضم مجموعته الخاصة ومقتنياته، وتحوي ٢٠ ألف كتاب ومخطوطة. وكان الأديب الراحل قد أوصى أن تؤول ملكية مكتبته إلى الدولة بعد وفاته.

وكان مجلس الوزراء الكويتي قد قرر في عام ١٩٩٧م إطلاق اسم عبدالعزيز حسين - رحمه الله - على مركز مشرف الثقافي تقديراً لجهوده في خدمة الثقافة والتعليم في الكويت والعالم العربي، وقدم القطاع الخاص ممثلاً في مؤسسة الكويت للتقدم العلمي التي يرأس مجلس إدارتها أمير دولة الكويت الشيخ جابر الأحمد الصباح وكل من جاسم المرزوق وعائلته، والمكتب العربي للاستشارات الهندسية تبرعات لإنشاء المكتبة.

وكان الراحل عبدالعزيز حسين تولى إدارة المعارف في الكويت في الفترة من عام ١٩٥٣م إلى ١٩٦١م. وتولى في عام ١٩٥١م رئاسة وفد الكويت المكلف بالرد على الادعاءات العراقية أمام مجلس الأمن الدولي في نيويورك وتقديم طلب قبول عضوية الكويت لدى الأمم المتحدة، وكان أول سفير للكويت، ثم أصبح وزير الدولة لشؤون مجلس الوزراء مرتين: الأولى من عام ١٩٦٣ حتى عام ١٩٦٥م، والثانية من عام ١٩٧١م حتى عام ١٩٨٥م، وكان مستشاراً في ديوان الشيخ جابر الأحمد الصباح أمير الكويت عام ١٩٨٥م حتى وفاته. وساهم الراحل في تأسيس معهد العالم العربي في باريس، وكان مؤسساً ورئيساً لأول مجلس أمناء معهد تاريخ العلوم العربية الإسلامية.



أبوصقر، كامل/العولمة التجارية والإدارية والقانونية: رؤية إسلامية جديدة.ط٢.ـ بيروت: دار الوسام، ٢٠٠١م، ٤٤٨ص.

يتناول الكتاب ظاهرة (العولمة)، ويناقش ـ من منظور إسلامي ـ بعض جوانبها وتداعياتها الإيجابية والسلبية على الحياة التجارية والإدارية والقانونية، ويلقي الضوء على نماذج العولمة الرئيسة، وهي الأمريكي والأوربي والياباني والصيني.

وتنبع أهمية هذا الكتاب من كونه يمثل إطلالة معرفية مهمة على واحدة من أهم القضايا التي تشكل تحدياً للإنسان العربي، وهو يدخل قرناً جديداً، يفترض فيه أن يكون مستعداً لتيارات العولمة التي تطال كل مجال اقتصادي وتجاري وسياسي واجتماعي.

وجاء الكتاب في ستة فصول اتخذت العناوين الآتية: «تقييم الذات وتقديرها»، و«تقييم الآخرين ومناوشة النماذج»، و«توليد الخيارات وتطويرها والتأهيل للأنموذج الرباني»، و«وسيلة التطوير الداخلية للأنموذج (المضاربة بالإدارة)»، و«أشكال العمل التجاري»، و«صعوبات العولمة ومشكلاتها».

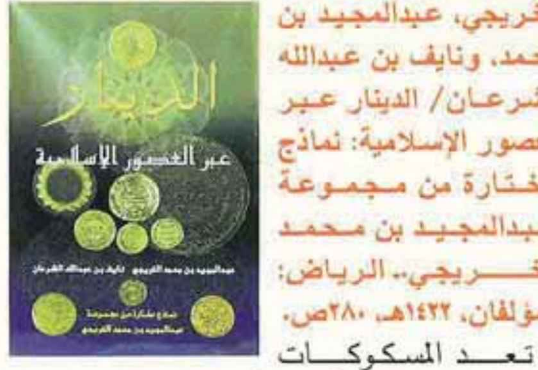
النجفي، محمود المرعشي (وآخرون)/ فهرس النسخ الخطية بالمكتبة الخاصة لسماحة آية الله المرعشي النجفي.ـ إيران (قم): مكتبة آية الله المرعشي النجفي، ١٤٢٢هـ/١٣٨٠ هـ ش، مج ٢٩ (٧٨٤ص).

هذا هو المجلد التاسع والعشرون من سلسلة فهارس مكتبة آيه الله المرعشي النجفي التي تعدّ من أكبر المكتبات في الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وهي تحتوي على ستين ألف عنوان في واحد وثلاثين ألف مجلد من المخطوطات النادرة في شتى ميادين العلم وبلغات متعددة.

وقد اتبع المفهرس في فهرسته ذكر اسم الكتاب كاملاً، واسم المؤلف، وتاريخ وفاته، وموضوع الكتاب، واللغة، والتقييدات التي كتبت في أول النسخة أو في آخرها، كذلك إضافة تسمية الشخص الذي كتبت النسخة له، أو الخزانة التي كتبت لها، أو أي تمليكات عليها، مع الإشارة إلى نوعية الخط، واسم الناسخ، وتاريخ النسخ، وذكر المصادر والمراجع التي ورد ذكر المخطوطة فيها.

ووضعت عدة فهارس تشتمل على الترتيب الهجائي لاسم المؤلف، والكتاب، واللغة، والموضوع، كما أضيفت في نهاية الفهرس صور من الورقة الأولى أو الأخيرة فيها إشارة إلى اسم الكتاب، والمؤلف، وتاريخ النسخ ورقمها التسلسلي في المكتبة.

احتوى الفهرس على وصف لاربعمئة مخطوطة، تبدأ برقم ١١٤٠١ وتنتهي برقم ١١٨٠٠.



الخريجي، عبدالمجيد بن محمد، ونايف بن عبدالله الشرعان/ الدينار عبر العصور الإسلامية: نماذج مختارة من مجموعة عبدالمجيد بن محمد الخريجي.ـ الرياض: المؤلفان، ١٤٢٢هـ، ٢٨٠ص.

تعد المسكوكات الإسلامية مصدراً مهماً من مصادر التاريخ الإسلامي، فهي تعكس بصدق مدى ما وصلت إليه الدولة الإسلامية من رقي وتقدم، فهي بما تحمله من أسماء الخلفاء والملوك والسلاطين إضافة إلى سنوات السك المدونة عليها، تساعدنا على تصحيح عدد من الهفوات، وسد الثغرات في لوائح تسلسل الأسر الحاكمة لمعظم الدول الإسلامية في عصورها المختلفة.

ويتناول هذا الكتاب مراحل تطور الدينار عبر العصور الإسلامية من خلال مجموعة كبيرة من

الدنانير الإسلامية التي تغطي معظم العصور الإسلامية وتنتمي إلى عدد من الأسر الحاكمة، وتتمتع هذه المجموعة - التي تعود ملكيتها إلى الأستاذ عبدالمجيد بن محمد الخريجي - بثراء غير عادي من القطع الذهبية النادرة من المغرب الإسلامي بدءا من ا نقود العربية اللاتينية حتى نقود أشراف مراكش، كذلك مصر، وبلاد الشام، والعراق، وإيران، وتركيا، ومعظم الأقاليم الشرقية للدولة الإسلامية، كما تشتمل على دنانير نادرة جرى سكها في بعض مدن الجزيرة العربية.

اعتمدت هذه الدراسة على منهجية موحدة؛ وذلك بإيراد نبذة تاريخية من كل دولة على حدة، ثم تناول التطورات النقدية التي طرأت على الدينار الإسلامي خلال فترة حكمها، ثم الدراسة الوصفية لدنانيرها الذهبية، وقد صحب الدراسة الوصفية دراسة تحليلية لأهم الأسماء والألقاب ومدن السك، مع جدول يتضمن تسلسل حكام كل دولة، وتاريخ بداية حكم كل منهم ونهايته بالتواريخ الهجرية معادلة في الوقت نفسه بالتواريخ الميلادية.

وتنبع أهمية هذه الدراسة من كونها صدرت بشكل مغاير للدراسات السابقة، إذ جاء الهدف منها مزدوجاً بحيث يخدم الباحثين والمختصين في هذا المجال من جهة، ويكون عوناً ومساعداً لهواة جمع المسكوكات الإسلامية «الدينار الإسلامي» من جهة أخرى.

دلبوكيرك، أفونسو/ السجل الكامل لأعمال أفونسو دلبوكيرك ثاني نائب للملك البرتغالي في الهند، ترجمة: عبدالرحمن عبدالله الشيخ.- أبوظبي: المجمع الثقافي، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ٤مج (١٦١٤ص).

الكتاب سجل كامل لأعمال أفونسو دلبوكيرك (الكبير) ثاني نائب للملك البرتغالي في الهند، وأحد القادة العسكريين البرتغاليين المشهورين في الهند في فترة تمدد البرتغاليين حين كانوا في ذروة حيويتهم. وقد قام بتأليفه وجمع وثائقه من أرشيف لشبونة والمراسلات الواردة إلى الملك دوم عمانويل والمصادر الأرشيفية الملكية - ابنه غير الشرعي أفونسو دلبوكيرك (الصغير). وقد نوه المترجم أن الابن - وإن كان غير شرعي - لكنه كثير الدفاع عن أبيه والتماس الأعذار له، فلابد أن يراعي القارئ أن المؤلف، عدو للإسلام واستعماري.

أشار المترجم كذلك في المقدمة إلى ضرورة معرفة القارئ لبعض المصطلحات التي استعملها المؤلف وربطها بالظروف التاريخية التي كتب فيها الكتاب مثل كلمة (مور) Moors، و(الترك) Turks، و(جوب) Jop وغيرها.

وجاء الكتاب في أربعة أجزاء تناول فيها المؤلف الغزو البرتغالي للخليج العربي وسواحل الجزيرة العربية، وما صاحب ذلك من عنف ودموية، وما ترتب على ذلك من تحويل التجارة الدولية عبر الخليج والبحر الأحمر والجزيرة العربية عن طريق رأس الرجاء الصالح، ونتائج ذلك وأثره في تاريخ المنطقة. كذلك تناول الكتاب الكشوفات البرتغالية في الهند وتأسيس الإمبراطورية البرتغالية هناك.

البدوي، أحمد محمد/ الطيب صالح: سيرة كاتب ونص.- القاهرة: الدار الثقافية للنشر، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ١٩٥ص.

تناول المؤلف في هذا الكتاب حياة الروائي السوداني الطيب صالح، وتعرض لسيرته «بما يعين على حسن التذوق، وسردنا الأعمال في سياق تاريخي، مترادفا - كفرسي رهان - مع الاستقبال والواقع»، كما يقول المؤلف في المقدمة.

وقد جاء الكتاب في ستة كتب، أولها بعنوان «من الجسر إلى جنة العفاريت»، والثاني بعنوان «من الأعراف إلى البشائر»، والثالث «سمندل

الموسم»، و«انبجاس الإشراقة من الرماد»، والرابع «الأمشاج والمجالي»، والخامس «موسم الهجرة إلى الشمال: الرموز»، والسادس والأخير «بندر شاه».

وختم الكتاب ببليوجرافيا توثق أعمال الطيب صالح في مجال الرواية والقصة القصيرة، وما ترجم منها إلى لغات شتى، وما كتب عنها في الكتب والدوريات باللغة العربية وغيرها من اللغات.

تيموفييف، إيغور / كمال جنبلاط: الرجل والأسطورة، ترجمة: خيري الضامن.- بيروت: دار النهار للنشر، ٢٠٠٠م، ٥١٤ص.

هذا الكتاب هو باكورة مؤلفات الكاتب والصحفي الروسي تيموفيف، وقد بنى المؤلف كتابه على وثائق علمية ومقابلات وذكريات رفاق دراسة وأصدقاء ومعاصرين للزعيم السياسي اللبناني الراحل كمال جنبلاط، يتضمن الكتاب أربعة عشر فصلا رئيسًا، بدأه بالحديث عن مولد كمال جنبلاط، وسنوات دراسته في لبنان، وتأثره ببعض الاتجاهات الفكرية التي بلورت تفكيره فيما بعد. ثم التحاقه بكلية الحقوق في باريس وتخرجه فيها عام ١٩٣٨م. وفي فصل بعنوان «البيعة» يتناول المؤلف وفاة حكمت جنبلاط ثم مبايعة الدروز كمال جنبلاط وتوليه زمام الأمور في قصر «المختارة» ودخوله في معترك السياسة الذي كان يرفضه في السابق، وفي الفصل الخامس بعنوان «الإيمان بالحياة» إشارة إلى مقال كتبه جنبلاط تحت هذا الاسم يوضح فيه أهم أفكاره السياسية.

كما تناول المؤلف أفكار كمال جنبلاط الحزبية في الفصل السادس.

أما الفصل السابع فجاء بعنوان «الثورة البيضاء» نسبة إلى تأثر كمال جنبلاط بالمهاتما غاندي، وفي الفصل الثامن والتاسع يعرض المؤلف لمواقف جنبلاط من الرئيس كميل شمعون وعلاقتهما التي ساءت بسبب معارضته للرئيس شمعون، أيضًا علاقاته مع الرئيس فؤاد شهاب ورئيس وزرائه صائب سلام، وتولي جنبلاط مهام وزير التربية، ثم وزارتي التصميم العام والأشغال العامة، ووزارة الداخلية فيما بعد.

وفي الفصل الحادي عشر تحت عنوان «زمان القلق والآمال» يحكي التطورات السياسية في الشرق الأوسط والحروب العربية مع إسرائيل، وموقف جنبلاط من المقاومة الفلسطينية ووجودها في لبنان.

وفي الفصل الثالث عشر بعنوان «النصر يطرق الأبواب» يتناول الحرب الأهلية اللبنانية.

وتحت عنوان «موعد مع القدر» يتناول مواقف جنبلاط السياسية التي أدت إلى قتله في ١٦ مارس/آذار عام ١٩٧٧م قبل أن يكمل عامه الستين.

حمامات إيليا (قصص ألمانية)، ترجمة: علي عودة.- إربد: دار الكندي للنشر والتوزيع، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ١٤٢ص.



تضم مجموعة «حمامات إيليا» إحدى عشرة قصة قصيرة مترجمة عن اللغة الألمانية، إذ يجيء هذا العمل محاولة جادة لتقديم قصص ألمانية جديدة لقاصين وقاصات، ممن تركوا بصمات إبداعية ملموسة على الساحة الأدبية الألمانية فتغطي قصص هذه المجموعة مساحة زمنية تمتد ما بين عقد الستينيات في القرن المنصرم وبداية القرن الجديد.

واختار المترجم هذه النصوص «على تنوعها وتنوع كتابها واختلاف الزمان والمكان فيها» إنما

يحاول أن يركز الاهتمام بالمادة الأساسية التي تشد بنيان الحياة وتكون مسارات العيش، وتفتح دروب التواصل الإنساني، وترصد إحساس الإنسان المرهف بالمكان والزمان والحالة المعيشة.

وتشتمل المجموعة على قصص لثلاث قاصات، فنقرأ قصة «المعجزة» لـ (لوِيسة كاشينتس) الكاتبة المنتمية إلى الذروة المبكرة للتطور الجديد التي شهدتها كتابة القصة الألمانية الأمريكية القصيرة ممثلة همنغواي، وفوكنر، كما نقرأ قصة «حب» لـ كاتيا بيرنز، كما نقرأ لـ فولفغانغ راوش قصة « في مقصورة القطار»، كما تحتوي المجموعة على قصة مهمة لـ هانس بيندر، وغنتر غراس، وهيربت تساند وباربي ماريا لينكه).



السالم، سالم بن محمد/ خدمات المعلومات المتاحة للمعوقين بصرياً في المملكة العربية السعودية: دراسة نظرية وتطبيقية.ـ الرياض: مركز الأمير سلمان لأبحاث الإعاقة، ١٤٢١هـ. ٤١٢ص.

أصبحت فئة المعوقين تمثل شريحة واسعة في المجتمع المعاصر ولاسيما المعاقين بصرياً، وقد أثبتت البحوث والدراسات أن الإنسان الكفيف محب للبحث والاطلاع في مصادر المعرفة المختلفة، مع ملاحظة أن تركز المكتبة العربية يصب بوجه عام على المعلومات التي تستفيد منها الفئات السوية (العادية) وإهمال الفئات الخاصة (المعاقين)، خصوصاً ذوي العوق البصري.

ويتمثل الهدف الرئيس لهذا الكتاب دراسة الوضع الراهن للمؤسسات المعنية بتقديم خدمات المعلومات للمعوقين في المملكة العربية السعودية، مع إشارة خاصة إلى مكتبات معاهد النور للبنين، والمكتبة المركزية الناطقة الموجهة إلى خدمة المعوقين بصرياً من المكفوفين وضعاف البصر، وقد حاول المؤلف من خلال هذه الدراسة الإجابة عن عدة أسئلة منها: ما الوضع الراهن للمكتبات المخصصة للمكفوفين وضعاف البصر في المملكة؟ وما مدى إقبال هذه الفئة على هذا النوع من المكتبات؟ وهل الخدمة المقدمة تلبي الاحتياجات الحقيقية للفئات المستهدف؟ وما أنسب أسلوب لتطوير المكتبات المعنية بخدمة هذه الشريحة المهمة في المجتمع، بحيث تكون قادرة على صقل شخصيتها، وتطور مهاراتها، وتنمية معارفها؟.

استعان المؤلف بعدد من الجداول والإحصاءات والرسوم البيانية في توثيق معلوماته، وأورد في آخر الكتاب عدداً من الملاحق تحتوي على نماذج من خطابات الاستبانة التي استعان بها المؤلف في جمع معلومات الدراسة.



الراجحي، عبدالعزيز بن فيصل/هدي الساري إلى أسانيد الشيخ إسماعيل الأنصاري (١٣٤٠ - ١٤١٧هـ).ـ الرياض: المؤلف، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ٨٥٠ص.

الكتاب ثبت جامع في ترجمة الشيخ إسماعيل الأنصاري، وذكر شيوخه وأسانيده إلى أئمة الدين وتصانيفهم في علوم الشريعة والعربية وغيرها اشترط فيه المؤلف على شيخه الأنصاري أن يعتمده في الإجازة به، وقد خرّج الراجحي هذا الثبت لشيخه؛ وفاءً لبعض حقه عليه.

وجاء الكتاب في مقدمة وخمسة أبواب، تناول في المقدمة اهتمام أهل السنة بالحديث النبوي، وجاء الباب الأول «في ذكر أشياخه ومجيزيه»، وتناول في الثاني «وصل أسانيد الشيخ إسماعيل بجملة من الحفاظ والعلماء»، وجاء الثالث عن «وصل أسانيد الشيخ إسماعيل بجملة من كتب التوحيد والتفسير والحديث والفقه واللغة وغيرها»، والرابع «في وصل أسانيد الشيخ

إسماعيل بجملة من الأثبات والبرامج والمعاجم والفهارس والمشيخات»، وأورد في الخامس ملحقًا فيه:

ـ نصوص جملة من الإجازات وصورها.

ـ صور إجازات الشيخ إسماعيل الأنصاري للمؤلف.

ـ شهادة علمية من الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، والشيخ عبدالرزاق عفيفي للشيخ إسماعيل.

ـ صورة البرقية التي أرسلها الشيخ عبدالعزيز بن باز لعائلة الشيخ إسماعيل يعزيهم بها.

ـ ردّ المؤلف على سمير الزهيري في رده على الشيخ إسماعيل الأنصاري

ـ قائمة بمؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية طبعت ضمن «مجموع الفتاوي»، وغيرها.

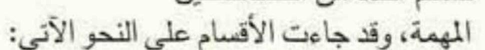


المالكي، حسن بن فرحان/ نحو إنقاذ التاريخ الإسلامي (قراءة نقدية لنماذج من الأعمال والدراسات الجامعية) ط٣.ـ عمّان: مركز الدراسات التاريخية، ١٤٢١هـ/٢٠٠م، ٣٤٨.

«التاريخ الإسلامي مبتلى ببعض العلماء الذين يجازفون بإصدار الأحكام المستعجلة، حول الأحداث، والمواقف، والشخصيات، والنتائج، متناسين الطريقة الصحيحة والمثلى، في البحث عن الحقيقة، ذلك البحث الذي يحترم العلم، ويلتزم النقل الصحيح، ويحترم العقل، ولا يهمل الاستيفاء في جمع شتات المادة، العلمية من مختلف المصادر».

حاول المؤلف في هذا الكتاب نقد (سلبيات البحث)؛ وذلك من خلال عدة مقالات نشرت في صحيفة الرياض شملت حوارات مع عدد من الأساتذة الأكاديميين، وطلاب الدراسات العليا، منهم: الدكتور عبدالحليم عويس، والأستاذ محمود شاكر، والدكتور عبدالله العسكر، والدكتور أكرم العمري، والأستاذ عبدالحميد فقيهي، والدكتور سليمان العودة وغيرهم.

تناول المؤلف كذلك أسباب الاختلاف وحدد العلاج، وأورد في آخر الكتاب النتائج والتوصيات.



عتريس، محمد/ معجم بلدان العالم.ـ القاهرة: الدار الثقافية للنشر، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ٤٥٦ص.

يقدم هذا المعجم عددًا من المعلومات الأساسية عن كل بلد، وقد صنفت هذه المعلومات في ستة أقسام رئيسة، يندرج تحت كل قسم عدد من التفاصيل المهمة، وقد جاءت الأقسام على النحو الآتي:

ـ الاسم الرسمي للبلد، والعاصمة وعدد سكانها، والمدن الرئيسة، والموانئ الرسمية، والمساحة بالأميال المربعة وبالكيلومترات المربعة.

ـ السكان: تعدادهم، والكثافة السكانية، والأجناس، واللغة، والدين، ومعرفة القراءة والكتاب.

ـ نظام الحكم: السلطة التنفيذية، والسلطة التشريعية، والأحزاب السياسية، والتقسيمات الإدارية، وميزانية الدفاع، وعدد أفراد الجيش العامل.

ـ الاقتصاد: العملة، إجمالي الناتج المحلي، نصيب الفرد منه، مساحة الأرض الزراعية، والمحاصيل الزراعية، والثروة الحيوانية، والثروة المنجمية، وإنتاج الكهرباء، والصناعة، والصادرات، والواردات، والشركاء التجاريون.

ـ جغرافية البلاد: الموقع، والجيران، والسطح والتضاريس، والمناخ.

ـ التاريخ: نبذة وافية تتبع بدايات الدولة منذ عصر ما قبل الميلاد حتى اليوم، فهي تقدم تاريخها القديم والحديث والمعاصر في تسلسل زمني وتتابع منضبط للأحداث مع تجنب الفجوات التي تنجم عن الاختصار، وتجعل الأحداث غامضة.

زود المعجم بفهرس أبجدي «كشاف» بأسماء بلدان العالم مجتمعة ومرتبة ترتيبًا أبجديًا حسب النطق

ووفقًا لاسم الشهرة، كما زود بخرائط حية ناطقة، وألحق به معجمًا شارحًا Glossary لكثير من المصطلحات والألفاظ والأسماء.



محقق، علي/ وثائق العلاقات الإيرانية السعودية بين عامي ١٩٢٥ و١٩٧٨م.- طهران: مركز الوثائق وتاريخ الدبلوماسية بوزارة الخارجية الإيرانية، ٣٩١ص.

هذا الكتاب باللغة الفارسية، وهو مجموعة من الوثائق التي تتعلق بالعلاقات الثنائية بين إيران والسعودية ويتكون من مقدمة وأربعة فصول: فالأول خصص لنقل الوثائق المتعلقة بالعلاقات السياسية الإيرانية السعودية ويبلغ عدد هذه الوثائق (٧٥) وثيقة، بعضها صدر من السفارة الإيرانية في مصر وبعضها من السفارة الإيرانية بجدة.

أما الفصل الثاني فذكر فيه الوثائق المتعلقة بالعلاقات الاقتصادية الثنائية بين البلدين، وبلغ عددها (١٢) وثيقة.

أما الفصل الثالث الذي يضم ١٨ وثيقة فتتعلق بالعلاقات الثقافية بين البلدين وفي الفصل الرابع هناك مجموعة من الوثائق التي تبولدت بين الطرفين.

الطريقي، عبدالله بن محمد/ معجم مصنفات الحنابلة.- الرياض: المؤلف، ١٤٢٢هـ، ٨مج.

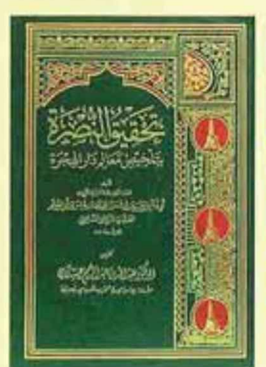
هذا الكتاب هو معجم ضخم يضم كل ما ألفه علماء المذهب الحنبلي وأتباعه في كل الفنون، ويتناول الفترة من سنة ٢٤١هـ حتى سنة ١٤٢٠هـ، ويشتمل على ثمانية آلاف عنوان، ومعلومات عن هذه المصنفات، المفقود منها والمخطوط ومكان وجود مخطوطاته، والمطبوع ونوع طباعته وتاريخها إضافة إلى ترجمة موثقة لمؤلفه.

ويعد ثبتًا موثقًا لجميع ما سطره علماء بذلوا جل جهدهم ووقتهم في إثراء الحركة العلمية على مدار قرون طويلة وأزمنة مديدة في كل فن على مختلف العصور.

الجهني، عيد بن مسعود/ النظام السياسي والإداري في المملكة العربية السعودية.- الرياض: المؤلف، ١٤٢١هـ، ٥٤٩ص.

يتناول المؤلف تجربة المملكة العربية السعودية في الأخذ بنظام الحكم الإسلامي، ويستعرض ما تحقق من نتائج باهرة في جميع المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وهذا ما يثبت بصورة علمية قدرة الإسلام على مواجهة متطلبات كل عصر، ويرد على المزاعم القائلة: إن النظام الإسلامي أصبح غير صالح في العصر الحديث.

جاء الكتاب في ستة فصول تناول في فصله الأول «نشأة المملكة العربية السعودية»، وتحدث في الفصل الثاني عن «نظام الحكم في المملكة العربية السعودية»، وجاء الفصل الثالث عن «السلطة التنفيذية»، وناقش الفصل الرابع «التطور التنظيمي للإدارة المحلية بالمملكة»، متناولا التطور التنظيمي لهذه الإدارة والتشريعات المحلية المتعاقبة حتى صدور نظام المناطق مع دراسة مقارنة مع نظم الإدارة المحلية في الدول العربية، وخصص الفصل الخامس للحديث عن «مجلس الشورى»، فتعرض لمفهوم الشورى في الإسلام الذي يعد قاعدة من أهم القواعد الأساسية في الحكم الإسلامي، وتناول آراء علماء المسلمين في حكم الشورى، وختم بالفصل السادس الذي جاء عن «السلطة القضائية في المملكة».

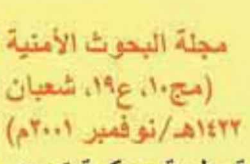


المراغي، أبوبكر بن الحسين (ت ٨١٦هـ)/ تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة، تحقيق: عبدالله بن عبدالرحيم عسيلان.- الرياض: المحقق، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ٤٧٦ص.

قصد المؤلف أن يكون هذا الكتاب تاريخاً موجزاً لمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، وتعريفاً ووصفاً لمعالمها، وقد تحدث فيه عن فضائل المدينة وفضل سكانها وأسماء المدينة، وتناول بشيء من الإيضاح تاريخ المسجد النبوي وما طرأ عليه من زيادات في عصور الخلفاء الراشدين، وغير ذلك مما يخص تاريخ المدينة.

استفاد المؤلف في إنجاز هذا العمل من مصدرين، فقد جمع في كتابه هذا بين كتابين يعدّان من أشهر مصادر تاريخ المدينة المنورة، وهما: الدرة الثمينة في أخبار المدينة لابن النجار، والتعريف بما آنست دار الهجرة من معالم دار الهجرة للمطري، ولم يقتصر علمه على مجرد الجمع، بل تأمل في الكتابين، وعمل على تهذيبهما، وأضاف إلى ما أخذه منهما إضافات كثيرة في وصف المعالم وتحديدها وتاريخها وما وقع فيها من أحداث.

كان هذا الكتاب قد حققه من قبل محمد عبدالجواد الأصمعي عام ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م، وقد اعتمد في تحقيقه على نسخة حديثه وسقيمة مؤرخة بتاريخ ١٣١٣هـ مع وجود نسخ نفيسة لهذا المخطوط، فظهرت الطبعة وفيها كثير من التصحيفات والتحريفات مما دعا إلى تحقيق المخطوطة مرة أخرى ليجيء التحقيق هذه المرة معتمداً على مخطوطة أصلية كتبت في حياة المؤلف (سنة ٧٦٧هـ) وهي مقروءة على المؤلف ومصححة من قبله، وفي حواشيها إضافات من المؤلف نفسه.





مجلة البحوث الأمنية (مج١٠، ع١٩، شعبان ١٤٢٢هـ/نوفمبر ٢٠٠١م)

دورية علمية محكمة تصدر عن مركز البحوث والدراسات بكلية الملك فهد الأمنية وتعنى بالبحوث والدراسات العلمية في مجالات الأمن بمفهومه الشامل.

نقرأ في محتويات هذا العدد ما يأتي: «البصمة الوراثية كدليل فني أمام المحاكم» لإبراهيم بن صادق الجندي، وحسين الحصيني، و«حق الإنسان في الحياة: دراسة تأصيلية مقارنة» لأحمد عبدالعزيز الحليبي، و«البحث الجنائي المعاصر: المعطيات والمتطلبات» لحسني بن درويش عبدالحميد، و«استخدامات شبكة الإنترنت في مجال الإعلام الأمني العربي» لفايز الشهري، و«دور الأنشطة الطلابية في وقاية الشباب من الانحراف» لعبدالله السدحان، إضافة إلى تقرير عن ندوة «المجتمع والأمن» لعبد الحفيظ المالكي، وعرض لكتاب «الحاسب الآلي في علم البصمات» لحمد القاسم، وكتاب «العمل الإعلامي الأمني العربي» لعبدالعزيز الغريب.

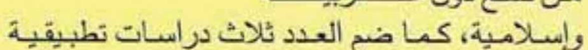
العنوان:
الرياض ١١٥٣٢ ص.ب: ٤٦٤٦١
هاتف: ٢٤٦٢٦٨٨ - ناسوخ: ٢٤٦١٣٧٦



الأدب الإسلامي (مج٨، ع٣٠، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)

مجلة فصلية تصدر عن رابطة الأدب الإسلامي العالمية.

ضم هذا العدد تسعاً وثلاثين قصة قصيرة متنوعة المضامين والأساليب، وشارك فيها كتاب من تسع دول عربية وإسلامية، كما ضم العدد ثلاث دراسات تطبيقية



ونقدية عن القصة القصيرة لكل من: عبدالفتاح عثمان، وإبراهيم سعفان، وحسين علي محمد، وفي العدد ثلاث قصص مترجمة من آداب الشعوب الإسلامية: واحدة من الأوردية وترجمها سمير عبدالحميد، واثنتان من التركية ترجمها كل من عوني لطفي أوغلو، وحسن صالح.

ومن الأبواب الثابتة ضمت مكتبة الأدب الإسلامي تعريفاً بكتاب خصائص القصة الإسلامية للدكتور مأمون فريز جرار، وبالمجموعة القصصية «دموع ضرغام» لعبدالله السلامة، بالإضافة إلى أخبار الأدب الإسلامي، والورقة الأخيرة بعنوان: «القصة التربية والأبواب الخلفية» لعبد الرزاق ديار بكرلي، ويأتي هذا العدد الخاص بالقصة القصيرة الإسلامية ضمن خطة المجلة في إصدار أعدادها خاصة عن رموز الأدب الإسلامي وفنونه.

العنوان:

الرياض ١١٥٣٤ - ص.ب ٥٥٤٤٦

هاتف: ٢٩١٠٧٩٩ - ناسوخ: ٤٧٩٣٢٣٤

بيادر
(ع٣٤، رمضان ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)

دورية فصلية ثقافية إبداعية تصدر عن نادي أبها الأدبي.

احتوى هذا العدد على موضوعات عدة، ففي باب الدراسات: كتب محمد مسير مباركي «الشعر بين العقل والجنون»، وقدم عبدالله الحميد أضواء على حياة الشيخ عبدالله بن يوسف الوابل، وتحت عنوان «سيكولوجية الاتصال الاجتماعي ومعرفة الذات» كتبت أمل المخزومي.

وكتب علي زعلة عن نبض رمضاني في ذاكرة الديوان العربي، وفي باب الشخصيات هناك مقابلة مع الصحافي والكاتب خليل الفزيع أجراها أحمد التيهاني، أما في باب واحات فقد كتب كل من: عبدالله السمطي، وعبدالعزيز سعود البابطين، ومهدي أحمد الحكمي، وعيسى على جرابا، وجابر أبوحسين، وأحمد قران الزهراني، وعبدالله ثابت عسيري، وفي باب السرديات قدم كل من: فهد المصبح، غازي عبدالله حريري، إبراهيم عواض الشهراني، مصطفى عبدالله عبدالواحد، وحاتم صادق خريبط، وتحت عنوان بدايات، كتب كل من: حسن علي الهمامي، وعبداللطيف الحربي، وحليمة عسيري، وموسى يحيى حسن محرق، وقراءات لأحمد علي آل مريع، وفضاءات لغيمة شهيد العسيري.

نادي أبها الأدبي - أبها - ص.ب ٤٧٨

هاتف ٠٧٢٢٤٤٢١٠ ناسوخ: ٧٢٢٦٢١٦٥

المملكة العربية السعودية

رسالة الخليج العربي
(ع٨٠، س٢٢، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)

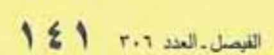
مجلة فصلية محكمة تعنى بالدراسات التربوية والثقافة العامة وتصدر عن مكتب التربية العربي لدول الخليج.

اشتمل هذا العدد على عدد من البحوث والدراسات المركزة في العملية التعليمية، فكتب عبدالعزيز بن سعود العمر بحثاً عن «أثر استخدام التعلم التعاوني على تحصيل طلاب العلوم في المرحلة الجامعية»، وقدم صالح بن عبدالله جاسم دراسة تبحث في «فاعلية استخدام دائرة التعلم في تحسين تحصيل العلوم لدى تلاميذ الصف الأول المتوسط بدولة الكويت».

بينما تناول عبدالرحمن بن محمد العشوان «معايير اختيار المعلم المتعاون»، كما ضم العدد الأبواب الثابتة منها: نشاطات مكتب التربية العربي وأجهزته، والتعريف بالكتب الحديثة، والمطبوعات الي أصدرها المكتب.

الرياض ١١٦١٤ - ص.ب: ٩٤٦٩٣

هاتف: ٤٨٠٠٥٥٥



المنصفون من الغربيين:

الإعلامي السويسري الشهير ماركو ماير نموذجاً

ثابت عيد
زيورخ - سويسرا

تقوم وسائل الإعلام الغربية الصهيونية حالياً بشن حملة قذرة ضد العرب والمسلمين. إنها عملية غسيل مخ خطيرة للشعوب الغربية من أجل إقناعها بأن كل العرب والمسلمين إرهابيون. وسارعوا إلى اختراع مفردات جديدة وظفوها لتحقيق أهدافهم الدنيئة؛ فهذا إرهابي «نائم»، وذلك إرهابي «لافت للنظر»، وذاك إرهابي «غير لافت للنظر»، سخافات لا أول لها ولا آخر. والعرب عاجزون عن الدفاع عن أنفسهم، يتلقون كعادتهم الضربات، فيتوجعون قليلا، ثم يسكتون.

في مثل هذه الأجواء المسمومة قد يتساءل بعض الناس عن موقف المثقفين الغربيين من هذه الحملة القذرة ضد العرب والمسلمين، أود أن أقدم هنا نموذجاً فريداً لبعض المنصفين من المثقفين السويسريين.

إنه ماركو ماير، رئيس تحرير مجلة du السويسرية، كبرى مجلات أوربا الثقافية. بدأ ماير مشواره الإعلامي مع صحيفة أسبوعية في زيورخ هي «العالم الأسبوعية»، ثم انتقل إلى مجلة du نائباً لرئيس التحرير، ثم ترأس كلية الإعلام السويسرية في مدينة لوزون، قبل أن يعود مؤخراً رئيساً لتحرير مجلة du.

بماذا تتميز شخصية ماركو ماير؟ لعل روح الانفتاح على العالم، وحب المعرفة، أهم ما يميز شخصيته. ففي شبابه رحل إلى أمريكا الجنوبية، وزار دولاً كثيرة هناك، وهاله ما رآه من مظالم وجرائم في حق الإنسانية، خاصة في عصر الديكتاتورية في شيلي. ولولا طبيعته المحبة للخير، ولولا موقفه الأساسي الرافض للظلم، والمؤيد للحق، لما استطاع أن يميز بين الحق والباطل، ولمرّ مرور الكرام على كل هذه الجرائم البشعة التي تحدث يومياً في عالمنا هذا.

ونصل الآن إلى موقف ماير من الإسلام. أحياناً أتخيل أن المنصف للإسلام من الغربيين غالباً ما يكون غير مثقل بتحيزات الاستشراق، وعداءات الكنيسة. ولنذكر موقف شاعر ألمانيا العظيم جوته من الإسلام. إن جوته لم يكن مستشرقاً، ولم يكن قسيساً، بل كان إنساناً موهوباً، متفتحاً على ثقافات العالم. فلما أدرك عظمة الثقافة الإسلامية، لم يتردد في إعلان إعجابه الشديد بها. ويكفي أن نتصفح ديوانه العظيم الذي كتبه بعنوان: «الديوان الغربي - الشرقي». لنرى مدى تأثره بالثقافة الإسلامية، وإعجابه الشديد باللغة العربية. لقد ترجم هذا الديوان الدكتور عبدالرحمن بدوي، باذلاً في ذلك مجهوداً خارقاً في عصر نضبت فيه القرائح. ولنذكر الشاعر الألماني الكبير رويكرت الذي نقل مقامات الحريري إلى اللغة الألمانية بلغة شعرية ألمانية صافية. ومن المؤسف له حقاً أن رويكرت لم يترجم إلا أجزاء من القرآن، نشرها مؤخراً المستشرق الألماني بوبتسن. وهي الترجمة الجزئية التي قالت عنها عميدة الاستشراق الألماني آنا ماري شيمل إنها الترجمة الألمانية الوحيدة لمعاني القرآن التي تعطي القارئ فكرة عامة عن عظمة الأسلوب القرآني، وإعجازه.

إن رويكرت وجوته كانا من عظماء كتاب ألمانيا، وتوصلا ببصيرتيهما إلى عظمة الإسلام، وغنى الثقافة الإسلامية، فكانا من خير المنصفين للحضارة العربية الإسلامية. فهل يمكن عدّ هذه الحالة ظاهرة؟ أعني هل صرنا لا نجد المنصفين إلا خارج الاستشراق والكنائس؟ يقيناً ثمة منصفون كثيرون في الدوائر الاستشراقية، ولكن المنصف من خارج هذه الأوساط غالباً ما يكون أكثر تحرراً من قيود الماضي وأحكامه.

نعود إلى ماركو ماير: قصة ماركو ماير مع الإسلام تعود إلى عام ١٩٩٤م، عندما كلفته مجلة du بالإشراف على إصدار عدد ممتاز مزدوج عن الإسلام بمناسبة مرور خمسين عاماً على تأسيس المجلة. عظمة هذه المجلة تعود في المقام الأول إلى فكرتها: فهي مطبوعة شهرية، لا تعالج إلا موضوعاً واحداً في كل عدد. وهو ما يتيح المجال لمعالجات عميقة محترمة. المحررون في المجلة وظيفتهم الأساسية ليست

الكتابة في حد ذاتها، بل البحث عن كبار المتخصصين، وتكليفهم بالكتابة للمجلة. إنه عالم الاختصاص المتقدم جداً.

قبل تكليف ماير بالإشراف على هذا العدد استعلم رئيس تحرير المجلة في ذلك الوقت، الأستاذ با خمان، من زملائه وأصدقائه، عن متخصصين وباحثين يمكن استشارتهم واستكتابهم. فكان اسمي من الأسماء التي وصلت إليهم من صديقي القديم إريك جيسلينج الذي قمت معه بعمل فيلم عن التطرف الإسلامي في مصر عام ١٩٩٢م. في لقائي الأول بماركو ماير شعرت أنني أمام فيلسوف شاعر، أو شاعر فيلسوف. شخصية متفتحة، غير متحيزة، محبة لخير الإنسانية، حريصة على تحقيق التفاهم بين الشعوب.

عرض علي ماير تصوراته عن هذا العدد الخاص عن الإسلام. فطلبت منه بعض الوقت لأضع له تصوراتي الشخصية عن المشاركين والموضوعات المطلوب معالجتها. اتفقنا مبدئيًا على الشكل النهائي للعدد، وأيضًا على الموضوعات الرئيسة والباحثين المشاركين. حرصنا على اختيار نحو ثلاثين باحثا من كبار المتخصصين في الدراسات الإسلامية من الشرق والغرب. فاستكتبنا من علماء المسلمين مثلاً: الشيخ محمد الغزالي - رحمه الله - والدكتور محمد عمارة، والدكتور يوسف القرضاوي، والدكتور محمد عابد الجابري. واعتذر د. إدوارد سعيد عن المشاركة. وصادف ذلك غياب الباحث الإيراني فلاطوري - رحمه الله - صاحب المشروع العملاق لتصحيح صورة الإسلام في الكتب المدرسية في أوربا، وكان الدكتور رشدي راشد أيضاً غائبًا في اليابان. ومن الغربيين شاركت عميدة الاستشراق الألماني آنا ماري شيمل، وتلميذها جيرنوت روتر، وزميله الألماني هالم (تيبينجن)، وكذلك المفكر الألماني هوبرت هيركومر. وزودنا العدد بترجمة ألمانية لقصة نجيب محفوظ القصيرة: «جنة الأطفال» التي يعالج فيها مسألة الدين. وكلفتني المجلة بعمل قاموس لبعض المصطلحات الإسلامية.

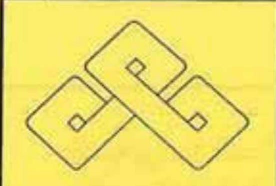
أعترف أنه لولا انفتاح ماركو ماير، وانصافه، وتحرّره من جميع أشكال التحيز والعنصرية، لما كان من الممكن أن ينجح هذا المشروع. والطريف أن ماير فاجأني بكتابة المقال الافتتاحي للعدد عن قصة تعاوننا في إصدار هذا العدد، فقد دفعه تواضعه الجم، ونبله الجلي، إلى القول: «لولا ثابت عيد، لما كان هذا العدد!». فلما قرأت مقاله، بادرته قائلاً: «الصحيح هو أنه لولا ماركو ماير لما كان هذا العدد!». لاقى العدد نجاحًا كبيرًا، وازداد الطلب عليه، حتى إنهم أصدروا منه ثلاث طبعات متتالية. وسارعت وسائل الإعلام السويسرية للتنويه به، والإشارة إليه.

من الأسباب الرئيسة لنجاح هذا العدد حرص ماركو على تقديم الحقائق غير مشوهة، وإصراره على إعطاء الفرصة كاملة للعلماء المسلمين، كالغزالي، والقرضاوي، وعمارة، والجابري، لمخاطبة الغربيين مباشرة، من دون أي تعديلات أو تشويهات. أمّا مشاركة الغربيين، فقد رأى ماير إعطاء الأولوية للمنصفين من أمثال شيمل وروتر وهيركومو، واستبعاد المتحيزين بقدر الإمكان.

كانت النتيجة أن صار هذا العدد من أنجح الأعداد التي تصدرها المجلة في تاريخها المديد. وسارع الجامعيون بالذات إلى اقتنائه ودراسته. لقد كانت قصة نجاح فريدة، وكان ماركو ماير - بشخصيته المتفتحة، النبيلة المتسامحة - هو قائد هذا النجاح. فلولا موهبته، وحساسيته المرهفة، ومشاعره الرقيقة، وبصيرته النافذة، لما أمكن إخراج هذا العدد الرائع والفريد عن الإسلام.

ثم إن السنين مرت علينا، وشغلتنا الحياة بهمومها ومشكلاتها، فكنا لا نلتقي إلا في المناسبات، قبل أن تنقطع الاتصالات بيننا تقريبًا في السنوات الأخيرة. وفي خضم الأحداث الجارية، بعد الحادي عشر من سبتمبر / أيلول ٢٠٠١م، وفي ظل هذه الحملات الإعلامية القذرة ضد العرب والمسلمين، حرصت على الابتعاد عن المشاركة في أي مناقشات علنية، حتى فاجأني ماير بظهوره من جديد نجماً ساطعاً، في هذا الظلام الدامس. أخبرني باستنكاره الشديد لهذه الحملات الدنيئة ضد العرب والمسلمين، وأنه قرّر إعادة نشر قاموسي الخاص بالمصطلحات الإسلامية المنشور في عدد المجلة عن الإسلام عام ١٩٩٤م، وقرّر إعادة نشره في عدد شهر نوفمبر/ تشرين الثاني عام ٢٠٠١م من المجلة.

تعجبت لحال الدنيا. فماير ترك إسهامات نحو ثلاثين متخصصاً في الشؤون الإسلامية، ولم يرضَ، إلا بنشر إسهامي أنا المتواضع، في عدد المجلة الأخير المخصص للصين. قال إن القاموس لم يفقد صلاحيته. ثم قام بتكليف بعض الزملاء بالتعليق على الأحداث الأخيرة. وفوق كل ذلك كتب هو مقدمة محترمة لعدد الصين هذا، أعلن فيها - تصريحاً وتلميحًا - عن استنكاره لهذه الحملة الشرسة القذرة ضد العرب والمسلمين. ثم كتبت لماركو ماير قائلاً: إنني أشكره جم الشكر، على موقفه النبيل باسم مليار مسلم، مازال معظمهم يعيش في غيبوبة شديدة.



The Institute for the Transregional Study of the Contemporary Middle East, North Africa, and Central Asia, Princeton University Announces its Theme for 2002-2003 and Invites Applications for Two Positions

2002-2003 Theme: The Imagination of War, Violence and Terror: The Unfolding of a New Order in the Middle East and Central Asia?

We intend to examine the pertinence of these three clusters of ideas in accounting for the confrontations and wars among nations and social, political and religious movements in the region. This involves looking at the use of ideas in their linguistic and other settings by all protagonists, including leading powers and international organizations, in dealing with conflicts in the Middle East, Central Asia and the Islamic world in general. We would like to locate our lecture series at the crossroads between the humanities and social sciences, engaging speakers from the fields of literature, the arts, journalism, anthropology, cultural studies, as well as political and other social sciences. The word 'imagination' is loosely understood here to include the construction of theories as well as other modes of description, representation and discourse. Candidates with expertise in the area of the Institute's 2002-2003 theme are encouraged to apply for the positions described below.

The Positions

Visiting Professor or Visiting Lecturer: The applicant for this endowed chair should be an academic of high stature, or someone active in relevant public life, whose research, teaching, and professional activities relate to the Institute's theme for 2002-2003. The position is for one academic year and is open to any discipline. The successful applicant will be expected to offer one course, either at the graduate or undergraduate level, to help prepare the Institute's annual conference, and to participate in seminars and public lectures organized under the Institute's auspices. Preference will be given to applicants who can lecture in English. The Institute will provide round-trip, economy-class airfare for the applicant and his or her immediate dependents from their place of residence. Salary will be commensurate with that of Princeton faculty members of similar rank and standing.

Visiting Fellow or Visiting Research Fellow: Preference will be given to academics who have recently received the Ph.D. or its equivalent, or who show great promise in research and publication, and whose research, teaching, and professional activities relate to the Institute's theme for 2002-2003. The appointment of the fellow may be for one academic year or one semester. The fellow's primary responsibility will be to pursue independent research; there is no teaching obligation associated with this position. The Institute will provide round-trip, economy-class airfare for the applicant and his or her immediate dependents from their place of residence. Salary will be commensurate with that of Princeton faculty members of similar rank and standing.

To Apply

Applicants for the Visiting Professorship/Lectureship should send a current curriculum vitae, a description of research interests while at Princeton and an outline of the subject they would prefer to teach. Applicants should also have three letters of reference sent directly to the Institute. All materials should be sent to the address given below and must be received by March 8, 2002.

Applicants for the Visiting Fellowship/Research Fellowship should send a current curriculum vitae and a statement of research interests while at Princeton. Applicants should also have three letters of reference sent directly to the Institute. All materials should be sent to the address given below and must be received by March 8, 2002.

The Institute for the Transregional Study of the Contemporary Middle East, North Africa, and Central Asia
226 Bendheim Hall, Princeton University
Princeton, New Jersey 08544 U.S.A.
Fax: (609) 258-0204 • E-mail: transreg@princeton.edu • www.wws.princeton.edu/~transreg